

الصواعق الإلهية في الرد على الوهابية

تأليف

الشيخ سليمان بن الشيخ عبد الوهاب بن سليمان بن علي
ابن أحمد بن راشد بن يزيد بن مشرف النجدي الحنبلي
شقيق مؤسس المذهب الوهابي

المتوفى ١٢١٠ هـ

في الرد على أخيه محمد بن عبد الوهاب

محقق وعلّق

السراوي

ماجستير في الفقه المقارن

الصَّوَاعِقُ الْإِلَهِيَّةُ
فِي الرَّدِّ عَلَى الْوَهَابِيَّةِ

حقوق الطبع محفوظة للمحقق

الطبعة الأولى ١٩٩٨

طبع بموجب قرار وزارة الأعلام السورية

رقم: ٤١١٧٠

تاريخ: ١٩٩٧/١١/١٩م

دَارُ «ذُو الْفَفَارِ» بِكَيُوت • لِبْنَان

الصَّوَاعِقُ الْإِلَهِيَّةُ فِي الرَّدِّ عَلَى الْوَهَابِيَّةِ

تأليف:

الشيخ سليمان بن الشيخ عبد الوهاب بن سليمان
ابن علي بن أحمد بن راشد بن يزيد بن مشرف النجدي الحنبلي
المتوفى سنة (١٢١٠ هـ)
في الرد على أخيه محمد بن عبد الوهاب مؤسس المذهب الوهابي

تحقيق وتعليق

السَّراوِي

ماجستير في العلوم الإسلامية

تخصص فقه مقارن



مقدمة الحق

الحمد لله ربّ العالمين، والصلاة والسلام على محمد وآل بيته الطيّبين الطاهرين.

وبعد:

يتّسم الدين الإسلامي في أبرز ما يتّسم به، بأنه دين الدنيا والآخرة، ومن هنا يجب على المسلم أن يهتم بالجانبين، فيعمل لآخرته كما يعمل لدنيائه، ويتزوّد من حياته الحاضرة لحياته الأبدية الأخروية؛ كما قال الله تعالى:

﴿وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ وَلَا تَنْسِ نَصِيكَ مِنَ الدُّنْيَا﴾^(١).

ولهذا كان من الواجب على المسلم أن يعمل بالفرائض الدينية، ويتجنّب الحرّمات الإلهية، ويلتزم بقواعد الشرع الحنيف، جهد إمكانه فيصليّ الخمس، ويصوم شهر رمضان، ويزكّي ماله، ويحجّ بيت الله الحرام، ويأمر بكلّ خير قدّر عليه، ويعتمد في تحصيل السعادة الأخروية

(١) سورة القصص: آية (٧٧).

على العمل الصالح والطاعة لله تعالى، لاسيما وأن الآيات القرآنية نصّت على أنّ كلّ امرئ مرهون بعمله، إن خيراً فخير وإن شراً فشر؟..
كما نصّت الأحاديث الشريفة المأثورة عن رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) وعزّته الطاهرة، وصرّحت بضرورة العمل والطاعة للحصول على النّجاة من العذاب والسّعادة في الجنة.

وليس للمسلم أن يعوّل على شيء إذا أهمل الواجبات وترك الفرائض، أو إستهان بها، نعم خلّق الإنسان محاصراً بالشّهوات، محاطاً بالغرائز، ولذلك ربما سها ولها، وربّما بدرت منه معصية، واستحوذ عليه الشيطان، ووقع في شباكه وشراكه، فعصى من حيث لا يريد، وخالف من حيث لا يجب، ثمّ تعرّض لضغط الوجدان، ووخز الضمير، فهل له أن يئأس في هذه الحالة ويقنط، وقد قال تعالى: ﴿لَا يَيْأَسُ مِنْ رُوحِ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْكَافِرُونَ﴾^(١).

كلّا ليس له إلّا الرّجاء في رحمة الله، والأمل في عفوه ولطفه، وقد فتح الإسلام نوافذ الأمل والرّجاء أمام العاصي النّادم، ليعود إلى ربه، ويواصل مسيرة تكامله في ثقةٍ وطمأنينة.

ومن هذه النوافذ: الرّجوع إلى توحيد الله تعالى، وإمتثال أوامره وإجتناّب نواهيه، والتوحيد في العبادة ممّا اتفق على اختصاصه بالله سبحانه جميع المسلمين بل الإلهيين، وهو الهدف والغاية الأسمى من بعث

(١) سورة يوسف: آية (٨٧).

الأنبياء والمرسلين، قال الله سبحانه: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ﴾^(١).

وناهيك في أهمية ذلك أنّ الإسلام قرّره شعاراً للمسلمين يؤكّدون عليه في صلواتهم الواجبة والمندوبة بقولهم: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾^(٢)، كما أنّ مكافحة النّبي (صلى الله عليه وآله وسلم) بل وسائر الأنبياء للوثنيين تتركز على هذه النقطة غالباً كما هو ظاهر لمن قرأ القرآن الكريم.

وبالجملة لا يوجد مسلم ينكر هذا الأصل أو يشكّ فيه، وإنما الكلام في تشخيص مصاديق العبادة وجزئياتها عن غيرها، فترى قوماً كإبن تيمية وأتباعه يرمون غيرهم بالشّرك في العبادة بالتبرّك بآثار الأنبياء والتوسّل بهم إلى الله سبحانه وتعالى ونحو ذلك، فتميّز العبادة عن غيرها هي المشكلة الوحيدة في ما فهموه ورموا به غيرهم، فيجب قبل كلّ شيء دراسة واقعية عن حقيقة العبادة على ضوء الكتاب والسنة.

فنقول: قد تُعرّف العبادة «بالخضوع والتذلّل»، أو «نهاية الخضوع»، ولكنهما تعريفان ناقضان لا يساعدهما القرآن الكريم وسيرة الأنبياء (عليهم السّلام).

إنّ القرآن الكريم أمر الإنسان بالتذلّل لوالديه فيقول: ﴿وَإِخْفِضْ لَهُمَا

^(١) سورة النحل: آية (٣٦).

^(٢) سورة الفاتحة: آية (٤).

جَنَاحِ الذِّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ وَقُلْ رَبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا ﴿١﴾، فلو كان الخضوع والتذلل عبادة لمن يتذلل له لكان أمره تعالى بذلك أمراً بإتخاذ الشُّرك له تعالى في العبادة؟! كما أنَّه سبحانه أمر الملائكة بالسُّجود لآدم فيقول: ﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ﴾ (٢).

مع أنَّ السجود نهاية التذلل والخضوع للمسجود له، فهل ترى أن الله سبحانه يأمر الملائكة بالشُّرك في العبادة؟.

إنَّ إخوة يوسف ووالديه سجدوا جميعاً ليوسف بعد إستوائه على عرش الملك والسُّلطنة كما يقول تعالى: ﴿وَخَرُّوا لَهُ سُجَّدًا﴾ (٣).

إنَّ كلَّ المسلمين إقتداءً برسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) يقبلون الحجر الأسود المستقرَّ في زاوية الكعبة المشرفة، ومن المعلوم أنَّ التَّقبيل - في مثل ذلك - يدلُّ على الخضوع والتذلل.

إذن ليس معنى العبادة التي تختص بالله سبحانه ولا تجوز لغيره تعالى هو الخضوع والتذلل، أو نهاية الخضوع، فإذا ما هي حقيقة العبادة؟.

حقيقة العبادة - على ما يستفاد من القرآن الكريم - هي: «الخضوع والتذلل، لفظاً وعملاً مع الإعتقاد بالوُهيّة المخضوع له»، فإذا لم ينشأ الخضوع من هذا الإعتقاد، فلا يكون عبادة، ويدلُّ على ذلك الآيات التي

(١) سورة الإسراء: آية (٢٦).

(٢) سورة البقرة: آية (٣٤).

(٣) سورة يوسف: آية (١٠٠).

تأمر بعبادة الله وتنهى عن عبادة غيره، كقوله سبحانه وتعالى: ﴿وَيَا قَوْمِ
اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ﴾^(١).

وقد ورد هذا المضمون في عشرة موارد أو أكثر في القرآن الكريم^(٢)،
ومعنى هذا التعليل أنّ الذي يستحقّ العبادة هو من كان إلهاً، وليس هو إلاّ الله،
فإذا تحقّق وصف الألوهية في شيء جازت - بل وجبت - عبادته دون سواه.

والمراد من الألوهية هو ما يعدّ من شؤون الإله أعني الاستقلال في
الذات والصفات والأفعال، فمن اعتقد لشيء نحواً من الاستقلال إمّا في
وجوده، يحصر الألوهية المطلقة لله سبحانه وإبطال ألوهية غيره تعالى.
لكن المستفاد من مطالعة عقائد الوثنية في كتب الملل والنحل - ويؤيده
القرآن الكريم أيضاً - أنّ معظم الانحرافات في مسألة التوحيد كان في مجال
الربوبية والتدبير، فالمشركون مع اعترافهم بحصر الخالقية لله تعالى وأنّ
جميع من سواه مخلوق له سبحانه، كانوا يعتقدون بوجود أرباب من دون
الله وأنّ لهم الألوهية في مجال الربوبية والتدبير فمقتضى الجمع بين الآيات
الدالة على أنّ المشركين في عصر الرسالة كانوا معترفين بالتوحيد في
الخالقية، وما يصرّح بأنهم كانوا معتقدين بوجود آلهة سوى الله سبحانه،
هو أنّ ما يعتقدونه من الألوهية لغيره تعالى، كان راجعاً إلى الربوبية
والتدبير، ومما يؤيد ذلك، الآيات الدالة على أنهم كانوا يعتقدون

(١) سورة الأعراف: آية (٥٩).

(٢) يمكن للقارئ أن يراجع لذلك الآيات التالية، الأعراف: (٦٥، ٧٣، ٨٥)،
وهود (٥٠، ٦١، ٨٤)، الأنبياء: (٢٥)، المؤمنون: (٢٢، ٢٣)، طه: (١٤).

بأنّ الأرباب والآلهة يملكون مقام الشّفاعَة، فيشفعون لمن أرادوا، بلا إذن منه سبحانه ولا رضا منه.

بناءً على ما تقدّم من معنى الألوهيّة يمكن أن نعرّف العبادة بتعريف ثانٍ وهو: أنّ العبادة عبارة عن الخضوع أمام من يعتقد بأنه يملك شأنًا من شؤون وجود العابد في آجله وعاجله، أي يعتقد بربوبيّة المخضوع له ولا يشترط الاعتقاد بمالكيته جميع شؤونه، بل يكفي الاعتقاد بكونه مالكا لشأن من شؤونه في الحياة الدنيوية والأخروية.

ويدلّ على ذلك أنّ قسماً من الآيات تعلّل الأمر بحصر العبادة في الله وحده، بأنّه الرّبّ، فمن ذلك قوله سبحانه وتعالى: ﴿وَقَالَ الْمَسِيحُ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ أُعْبِدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ﴾^(١).

وقوله سبحانه وتعالى: ﴿إِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاعْبُدُون﴾^(٢).

وقوله سبحانه وتعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ﴾^(٣).

وغير ذلك من الآيات التي تجعل العبادة دائرة مدار الربوبية.

خلاصة القول في المقام، إنّ أيّ خضوع ينبع من الاعتقاد بأنّ المخضوع له إله العالم أو ربّه أو فوّض إليه تدبير العالم كلّّه أو بعضه، أو

(١) سورة المائدة: آية (٧٢).

(٢) سورة الأنبياء: آية (٩٢).

(٣) سورة آل عمران: آية (٥١).

من بيده مصير العباد» غير الله سبحانه وتعالى»، يكون الخضوع له بأدنى مراتبه عبادة و يكون صاحبه مشركاً في العبادة إذا أتى به لغير الله ويقابل ذلك الخضوع غير النابع من هذا الاعتقاد، فخضوع أحد أمام موجود وتكريمه - مبالغاً في ذلك - من دون أن ينبع من الاعتقاد بالوحيته، لا يكون شركاً ولا عبادة لهذا الموجود، وإن كان من الممكن أن يكون حراماً، مثل سجود العاشق للمعشوق، أو المرأة لزوجها، فإنه وإن كان حراماً في الشريعة الإسلامية لكنه ليس عبادة بل حرام لوجه آخر، ولعلّ الوجه في حرمة هو أنّ السجود حيث أنه وسيلة عامة للعبادة وأنّ الله يعبد بها عند جميع الأقسام والملل وصار بحيث لا يراد منه إلاّ العبادة، لذلك لم يسمح الإسلام بأن يستفاد منها حتى في الموارد التي لا تكون عبادة، والتحريم إنما هو من خصائص الشريعة الإسلامية إذ لم يكن حراماً قبله وإلاّ لما سجد يعقوب وأبناؤه ليوسف (عليه السلام)، إذ يقول عز وجل: ﴿وَرَفَعَ أَبَوَيْهِ عَلَى الْعَرْشِ وَخَرُّوا لَهُ سُجَّدًا﴾^(١).

ومن هذا القبيل سجود الملائكة لآدم (عليه السلام).

قال الجصاص: قد كان السجود جائزاً في شريعة آدم (عليه السلام) للمخلوقين، ويشبه أن يكون قد كان باقياً إلى زمان يوسف (عليه السلام) إلاّ أنّ السجود لغير الله على وجه التكرمة والتحيّة منسوخ بما روت عائشة وجابر وأنس أنّ النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) قال: «ما ينبغي

(١) سورة يوسف: آية (١٠٠).

لبشر أن يسجد لبشر، ولو صلح لبشر أن يسجد لبشر. لأمرت المرأة أن تسجد لزوجها من عظم حقه عليها» (١).

وقال جعفر سبحاني: لا يكون تقويل يد النبي أو الإمام، أو المعلم أو الوالدين، أو تقويل القرآن أو الكتب الدينية، أو أضرحة الأولياء، وما يتعلّق بهم من آثار، إلّا تعظيماً وتكريماً، لا عبادة وبذلك يتضح أنّ كثيراً من الموضوعات التي تعرّفها فرقة الوهابية عبادة لغير الله وشركاً به، ليس صحيحاً على إطلاقه، وإنّما هو شرك وعبادة على وجه، وخضوع عقلائي على وجه آخر، ولا يكون شركاً إلّا إذا كان المخضوع له معنوياً بالألوهية وأنه فوّض إليه الأفعال الإلهية من الخلق والتدبير والإحياء والإماتية والرزق وغير ذلك من الشؤون الإلهية المطلقة، أو الاعتقاد بأنّ في أيديهم مصير العباد في حياتهم الدنيوية والأخروية (٢).

فلولا هذا الاعتقاد لما اضطبع العمل بالشرك، بل صار بين كونه أمراً عقلائياً مفيداً كما إذا كان الخضوع عن حق كالخضوع للأنبياء والأولياء والعلماء والصلحاء والآباء والمربين، وكونه عملاً لاغياً غير مفيد إذا وقع في غير محله على ما عرفت.

وإنّ من القواعد المضروبة شرعاً إحالة الإباحة في الأفعال والأقوال ما لم ينه عنها الشارع المقدّس خصوصاً أو عموماً من غير معارض. وعليها الأدلّة من الإجماع وحكم العقل والنقل، وقد اعترف بها ابن

(١) [أحكام القرآن] للحصاص : (ج ١/ص ٣٢).

(٢) [الإلهيات] لجعفر سبحاني: (ج ١/ بحث التوحيد).

تيمية في كتابه [منهاج السنة] في الردّ على الأشاعرة القائلين بتعذيب من لا ذنب له: « بأنّ هذا يخالف للكتاب والسنة والعقل أيضاً ».

أقول: والإجماع أيضاً، وذلك لأنّ المسلمين جميعاً، بل وسائر أهل الملل والنحل على إباحة الفعل عند فقد بيان من الشّارع على المنع وعدم الرّخصة، والعقل ناطق بأنّ من القبيح عقاب العبد على فعل فعله قبل أن ينهاه عنه مولاه، أو قبل وصول نهيه إليه والنقل مصرّح في كتاب الله سبحانه وتعالى وسنة نبيه (صلى الله عليه وآله وسلم):

فمن الكتاب قوله تعالى: ﴿ وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّى نَبْعَثَ رَسُولًا ﴾^(١).
دلّ على نفي التعذيب مطلقاً عمّن لم يبعث إليه الرّسول ولم تقم عليه الحجة ﴿ لِيَهْلِكَ مَنْ هَلَكَ عَنْ بَيِّنَةٍ، وَيَحْيَى مَنْ حَيَّ عَنْ بَيِّنَةٍ ﴾^(٢)، و﴿ لَنَلَّا يَكُونُ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ ﴾^(٣)، وإلاّ كانت لهم الحجة، كما قال تعالى:
﴿ وَلَوْ أَنَا أَهْلُكُنَاهُمْ بَعْدَازٍ مِنْ قَبْلِهِ لَقَالُوا رَبَّنَا لَوْلَا أَرْسَلْتَ إِلَيْنَا رَسُولًا فَنَتَّبِعَ آيَاتِكَ مِنْ قَبْلِ أَنْ نَذَلَّ وَنُخْزَى ﴾^(٤). وقوله تعالى: ﴿ كَلَّمَا أَلْقَى فِيهَا فَوْجٌ سَأَلُهَا خَزَنَتُهَا أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَذِيرٌ قَالُوا بَلَى قَدْ جَاءَنَا نَذِيرٌ فَكَذَّبْنَاهُ ﴾^(٥).
دلّت على أنّ جميع من يلقي في النار إنما هو بعد تمامية الإنذار، وقوله

(١) سورة الإسراء: آية (١٥).

(٢) سورة الأنفال: آية (٤٢).

(٣) سورة النساء: آية (١٦٥).

(٤) سورة طه: آية (١٣٤).

(٥) سورة الملك: آية (٨).

تعالى: ﴿يا معشر الجن والإنس ألم يأتكم رسل منكم يقصّون عليكم آياتي وينذرونكم لقاء يومكم هذا قالوا شهدنا على أنفسنا﴾ إلى قوله تعالى: ﴿ذلك إن لم يكن ربك مهلك القرى بظلم وأهلها غافلون﴾^(١) صرح فيه تبارك وتعالى باعتراف المخاطبين من الجن والإنس بأنهم جاءتهم الرسل وقصّوا عليهم الآيات، وبيّنوا لهم التكاليف، لكنهم حيث كفروا بآيات ربهم وعصوا رسلهم أهلكهم الله بهذا السبب، وإلا فلا يعذب من لم يكن عالماً بالآيات، أو لم يأتهم النذير لقوله تعالى: ﴿وما كان الله ليضلّ قوماً بعد إذ هداهم حتى يبين لهم ما يتقون﴾^(٢) .

أي من الأمر بالطاعة، والنهي عن المعصية، فلو عذبهم لكان ظلماً. وقد نزه سبحانه نفسه عن الظلم بقوله: ﴿وما كان ربك مهلك القرى حتى يبعث في أمّها رسولاً يتلوا عليهم آياتنا وما كنّا مهلكي القرى إلاّ وأهلها ظالمون﴾^(٣) .

ويبين أن المعذبين في النار هم الظالمون لأنفسهم بالمعصية، وترك الطاعة، فمن لم يكن ظالماً لا تجوز عقوبته. ولو عوقب لكان ظلماً عليه. وبالجملة دلّت الآيات على أنّ كلّ من صنع مثل صنع الأمم الخالية، وأنكر على الله آياته ورسله، وفعل المنكرات والقبائح بعدما تمت عليه الحجّة، وظهرت له التكاليف الإلهية والزّواجر الشرّعية عوقب

(١) سورة الأنعام: آية (١٣٠-١٣١).

(٢) سورة التوبة: آية (١١٥).

(٣) سورة العنكبوت: آية (١٤).

على إنكاره وإقدامه على القبائح المنهي عنها، حيث يقول تعالى: ﴿ولقد جاء آل فرعون النذر كذبوا بآياتنا كلّها فأخذناهم أخذ عزيز مقتدر﴾^(١).

فالمرآخذة لا تكون إلاّ بالبيان وظهور الزّواجر الإلهية، فلو لم تظهر لم تكن لله على الناس حجة.

قال ابن تيمية: الأصل الذي عليه السلف والجمهور: أنّ الله تعالى لا يكلف نفساً إلاّ وسعها، فالوجوب مشروط بالقدرة، والعقوبة لا تكون إلاّ على ترك مأمور أو محظور بعد قيام الحجة^(٢).

وهذا هو الذي نسبته إلى أبي حنيفة والشافعي وابن حزم، وهذا هو المطابق لسنة النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) قال: «رفع عن أمّتي تسعة أشياء: الخطأ، والنسيان، وما استكروها عليه، وما لا يعلمون، وما لا يطيقون، وما اضطرّوا إليه...»^(٣).

وعن أبي هريرة، قال (صلى الله عليه وآله وسلم): «ما أمرتكم بشيء فخذوه، وما نهيتكم عنه فاتتهوا»^(٤).

وفيه أيضاً عن أبي هريرة قال: قال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم):

(١) سورة القمر: آية (٤٢).

(٢) [منهاج السنة]: لابن تيمية (ج ٣/ص ٢٠).

(٣) [سنن ابن ماجه]: (ج ١/ص ٣٤٧- حديث ١٦٦٠ أو ١٦٦١).

(٤) [سنن ابن ماجه]: (ج ١/ص ٥- حديث ١) «باب إتياع سنة رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم)».

وسلم): «ذروني ما تركتكم، فإنما هلك من كان قبلكم بسؤالهم واختلافهم على أنبيائهم فإذا أمرتكم بشيء فخذوا منه ما استطعتم، وإذا نهيتكم عن شيء فانتهوا» (١).

وفيه أيضاً أن رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) قال: «يوشك الرجل متكاً على أريكته يحدث بحديث من حديثي، فيقول: بيننا وبينكم كتاب الله عز وجلّ فما وجدنا فيه من حلال استحللناه، وما وجدنا فيه من حرام حرّمناه، ألا وإنّ ما حرّم رسول الله مثل ما حرّم الله» (٢).

قوله: ألا وإنّ ما حرّم رسول الله... يدلّ على أنّ ما لم يحرّمه الرسول لم يكن حراماً من جانب الله تعالى، ولم يكن مثل ما حرّم الله، وهذا وسابقه تفسير لقوله تعالى: ﴿ما أتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا﴾ (٣).

ثمّ إنّ الغرض من وضع هذه المقدّمة أنّه لا وجه لإنكار الطائفة الوهابية على فرق المسلمين أموراً لم يردّ من الشّارع فيها نهى وزجر، وإنّ الحكم فيها بالانتهاء والارتداع جزماً وحتماً خلاف ما عليه كتاب الله وسنة رسوله، بل يكون بدعة لأنّه إدخال ما ليس من الدين في الدين، وحكم بغير علم.

(١) [سنن ابن ماجه] (ج ١/ص ٥٠- حديث ١٢).

(٢) [سنن ابن ماجه]: «باب تعظيم حديث النبي (صلى الله عليه وآله وسلم)» (ج ١/

ص ٧- حديث ١٢).

(٣) سورة الحشر: آية (٧).

واحتمال كونه من الدين لا يصيرُه من الدين، وإلا لما كان معنى لقوله (صلى الله عليه وآله وسلم): «وما نهيتكم عنه فانتهاوا»^(١).

ولبيان هذا نقول أنّ من القواعد الشرعية أصولاً وفروعاً قاعدة التأويل والإجتihad، والغرض من التمهيد في هذه المقدمة لبيان أنّ هناك أناساً من هذه الأمة أخذتهم العصبية والجهالة، فزعموا أنّها الهداية والديانة، فجعلوا يخاطبون من عداهم بيا كافر ويا مشرك، ويتعدّون عليهم في أماكنهم، والبقاع التي تحت سلطتهم، بالضرب والسب والشتم خلافاً لله تعالى ولرسوله (صلى الله عليه وآله وسلم)، واعتداءً منهم على المسلمين، إذ ليس فيما أقدموا عليه من التعدي في الكتاب والسنة عين ولا أثر!

والعجب: مع ذلك أنهم يجعلون أنفسهم من أهل السنة، والجمال أنّ السنة النبوية، على خلاف صنعهم، والإنكار على أفعالهم!!

قال ابن تيمية في الجواب عن المطاعن في الجماعة: إنّ أكثر هذه الأمور لهم فيها معاذير يخرجها عن أن تكون ذنباً، وتجعلها من موارد الإجتihad التي إن أصاب المجتهد فيها فله أجران، وإن أخطأ فله أجر، وعامة المنقول الثابت من الخلفاء الراشدين من هذا الباب^(٢).

أقول: وذلك مأخوذ من قول رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم): «إذا حكم الحاكم فاجتهد ثم أصاب فله أجران، وإذا حكم فاجتهد ثم

^(١) [سنن ابن ماجه]: (ج ١/ص ٥٠- حديث ١) «باب إتباع سنة رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم).

^(٢) [منهاج السنة]: (ج ٣/ص ١٩).

أخطأ فله أجر»^(١).

قال ابن تيمية: قول السلف وأئمة الفتوى كأبي حنيفة والشافعي والثوري وداود بن علي وغيرهم لا يؤثّمون مجتهداً مخطئاً، لا في المسائل الأصولية ولا في الفرعية، كما ذكر ذلك ابن حزم عنهم وغيره، ولهذا كان أبو حنيفة والشافعي وغيرهما يقبلون شهادة أهل الأهواء إلاّ الخطائية، ويصحّحون الصّلاة خلفهم، والكافر لا تقبل شهادته على المسلمين ولا يصلّي خلفه.

وقالوا: هذا القول المعروف عن الصّحابة والتّابعين لهم بإحسان وأئمة الدين أنهم لا يكفرون ولا يفسّقون، ولا يؤثّمون أحداً من المجتهدين المخطئين، لا في مسألة علمية ولا عملية»^(٢).

وقال ابن حزم: «وذهبت طائفة إلى أنه لا يكفّر ولا يفسّق مسلم بقول قاله في إعتقاد أو فتيا، وأنّ كلّ من اجتهد في شيء من ذلك فدان بما رأى أنّه الحقّ فإنّه مأجور على كلّ حال، إن أصاب فأجران وإن أخطأ فأجر واحد»^(٣).

أقول: إن كان ما ذكرته أئمة الدين هو الأساس والأصل المعتمد عليه عند المسلمين فبأيّ وجه صحيح شرعي يقدمون أقوام على رفض من

(١) [سنن ابن ماجة]: (ج ٢/ص ٣٤ - حديث ١٨٧٢) «باب الحاكم يجتهد فيصيب الحق».

(٢) [منهاج السنة]: (ج ٣/ص ٢٠).

(٣) [الفصل في الأهواء والملل والنحل]: (ج ٣/ص ٢٤٧).

عداهم من المسلمين ورميهم بالكفر والشرك؟؟ حتى قاموا يسومونهم
سوء العذاب ويجعلون بلادهم بلاد حرب.

وقد قال الله تعالى: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾^(١). وقوله تعالى:
﴿وَاذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ
بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا﴾^(٢). وقوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ
سَيَجْعَلُ لَهُمُ الرَّحْمَنُ وُدًّا﴾^(٣).

وقوله تعالى: ﴿الْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ﴾^(٤).
وقوله تعالى: ﴿وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِمْ مِنْ غَلٍّ إِخْوَانًا عَلَى سُرَدٍ
مُقَابِلِينَ﴾^(٥).

وقوله تعالى: ﴿فَإِنْ تَابُوا وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ فَأِخْوَانُكُمْ فِي
الدِّينِ وَنَفَصَلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾^(٦).

وفي الصَّحاح من الروايات ما هي ناطقة بأنَّ من قال: «لا إله إلاَّ الله،
محمد رسول الله» كان محترم المال والعرض والدم.
منها: حديث ابن عباس أنَّ رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم)

(١) سورة الحجرات: آية (١٠).

(٢) سورة آل عمران: آية (١٠٣).

(٣) سورة مريم: آية (٩٦).

(٤) سورة التوبة: آية (٧١).

(٥) سورة الحجر: آية (٤٧).

(٦) سورة التوبة: آية (١١).

قال لمعاذ بن جبل، حين بعثه إلى اليمن: «إِنَّكَ ستأتي قوماً أهل كتاب، فإذا جئتهم فادعهم إلى أن يشهدوا أن لا إله إلا الله، وأنّ محمداً رسول الله، فإن هم أطاعوا لك بذلك فأخبرهم أنّ الله قد فرض عليهم خمس صلوات في كلّ يوم وليلة، فإن هم أطاعوا لك بذلك فأخبرهم أنّ الله قد فرض عليهم صدقة تؤخذ من أغنيائهم فتردّ على فقرائهم، فإن هم أطاعوا لك بذلك فإياك وكرائم أموالهم»^(١).

وعن علي بن أبي طالب (عليه السلام) حين أعطاه النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) الراية يوم خيبر صرخ: «يا رسول الله على ماذا أقاتل الناس؟ قال: قاتلهم حتّى يشهدوا أن لا إله إلاّ الله وأنّ محمداً رسول الله، فإذا فعلوا ذلك فقد منعوا منك دمائهم»^(٢).

وعن ابن عباس أنّ النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) لما أمر بالإيمان بالله وحده قال: أتدرون ما الإيمان بالله وحده؟ قالوا: الله ورسوله أعلم، قال: شهادة أن لا إله إلاّ الله، وأنّ محمداً رسول الله، وإقام الصلاة، وإيتاء الزكاة، وصيام رمضان، وأن تعطوا من المغنم الخمس...^(٣). قلت: وأنت أيها المطّلع على كتاب الله تعالى، والواقف على سنة

(١) [صحيح البخاري]: «كتاب الزكاة: باب أخذ الصدقة».

(٢) [صحيح البخاري]: «كتاب الإيمان: باب يقاتل الناس حتّى يشهدوا أن لا إله إلاّ الله وأنّ محمداً رسول الله».

(٣) [صحيح البخاري]: «كتاب الإيمان: باب شهادة أن لا إله إلاّ الله وأنّ محمداً رسول الله».

سيّد المرسلين هل ترى لأعمال العداوة والنّصب لأهل الحق وأخيك المسلم من جهة غير التعديّ لحدود الله؟.

ومعلوم أنّ مذهب الإسلام وما جاء به محمّد رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) بمعزل عن أمثال هذه التعديّات: ﴿أفحكم الجاهلية يبغون ومن أحسن من الله حكماً لقوم يوقنون﴾^(١).

فمن حكم بما يراه فقد تبع هواه الذي نهى الله عنه نبيه (صلى الله عليه وآله وسلم) بقوله تعالى: ﴿ولا تتبع أهواءهم﴾^(٢).

وأمر أن يحكم بما أنزل الله، فمن خرج عن ذلك فقد أنكر على الله بعدما جاءه الحق، وأتته البينات، فالميزان في متابعة الحقّ المصير إلى ما حكم به القرآن، وإلاّ فما من طائفة إلاّ وهي على زعمها تأمر بالعدل والإحسان كما هو الغالب المتداول بين الجهلة، حيث أنّ المطاع منهم والشّيخ فيهم يحكم بالعادات الجارية، لا بما يقول الكتاب والسنة، فيشملهم قوله تعالى: ﴿فإن تولّوا فاعلم إنّما يريد الله أن يصيبهم ببعض ذنوبهم وإنّ كثيراً من الناس لفاسقون﴾^(٣).

وقوله تعالى: ﴿ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الفاسقون﴾^(٤).

(١) سورة المائدة: آية (٥٠).

(٢) سورة المائدة: آية (٤٨).

(٣) سورة المائدة: آية (٤٩).

(٤) سورة المائدة: آية (٤٧).

إن لم يستحلّوا خلاف قول الله وقول رسوله (صلى الله عليه وآله وسلم)، وإلا فإن استحلوا ذلك فأولئك هم الكافرون، حيث يقول سبحانه: ﴿ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الكافرون﴾^(١).
نعم لو فرض أنّ المسلمين تنازعوا أو اختلفوا إلى شيء فالواجب عليهم أن يردوه إلى الله ورسوله لقوله تعالى: ﴿فإن تنازعتم في شيء فردّوه إلى الله والرسول إن كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر﴾^(٢).
وقوله تعالى: ﴿وما اختلفتم فيه من شيء فحكمه إلى الله﴾^(٣).
ومع ذلك لو طعن طاعن في طائفة من المسلمين ورماهم بالسبّ والشتم ونسبة الكفر والإلحاد كان ذلك تفرقاً منهياً عنه بقوله تعالى: ﴿إنّ الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعاً لست منهم في شيء﴾^(٤).
وقوله تعالى: ﴿يا أيّها الذين آمنوا اتّقوا الله حقّ تقاته ولا تموتنّ إلّا وأنتم مسلمون واعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرّقوا﴾^(٥).
وقوله تعالى: ﴿ولا تكونوا كالذين تفرّقوا واختلفوا من بعد ما جاءهم اليّنات وأولئك لهم عذاب عظيم﴾^(٦).

(١) سورة المائدة: آية (٤٤).

(٢) سورة النساء: آية (٥٩).

(٣) سورة الشورى: آية (١٠).

(٤) سورة الأنعام: آية (١٥٩).

(٥) سورة آل عمران: آية (١٠٢).

(٦) سورة آل عمران: آية (١٠٥).

فإنَّ اللهَ تبارك وتعالى أمر المؤمنين بالاعتصام بحبله، ونهاهم عن التفرُّق، وفسَّر الاعتصام بحبله بالتمسُّك بدينه، ولا ريب أنَّ دينه الإسلام لقوله تعالى: ﴿إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ﴾^(١).

والإسلام هو الإيمان المفسَّر بالشهادتين.

فإذن.. المسلمون على ملَّة واحدة، نعم جعل لهم حدوداً وحرماً لا يجوز التعدي عنها لقوله تعالى: ﴿تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ فَلَا تَعْتَدُوهَا﴾^(٢)، فحرَّم عليهم الظلم، وحرَّم عليهم دمائهم وأعراضهم وأموالهم، ففي حجة الوداع قال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم): «إِنَّ دِمَائَكُمْ وَأَمْوَالَكُمْ وَأَعْرَاضَكُمْ عَلَيْكُمْ حَرَامٌ كَحَرَمَةِ يَوْمِكُمْ هَذَا، فِي شَهْرِكُمْ هَذَا، فِي بَلَدِكُمْ هَذَا، أَلَا هَلْ بَلَّغْتُ؟ أَلَا لِيَبْلُغَ الشَّاهِدُ الْغَائِبَ»^(٣). وفي رواية أخرى أنه قال: «أَنْظُرُوا وَلَا تَرْجِعُوا بَعْدِي كَفَّاراً يَضْرِبُ بَعْضُكُمْ رِقَابَ بَعْضٍ»^(٤).

هذه الأحاديث من الأحاديث التي أثبتتها المحدثون بكافة طبقاتهم من العامة والخاصة والسنة والشيعة.

ولا حاجة إلى ذكر المزيد من هذه الأحاديث لأنَّ جميع الفرق تذكرها وتحتجُّ بها لإثبات ما هي عليه من عقائد، ومن المضحك أنَّ كلَّ فرقة من

(١) سورة آل عمران: آية (١٩).

(٢) سورة البقرة: آية (٢٢٩).

(٣) [صحيح البخاري]: (ج ٨/ص ١٠٨)، و[صحيح مسلم]: (ج ٢/ص ٨٨٩).

(٤) [صحيح البخاري]: (ج ٨/ص ١٠٨).

هذه الفرق الإسلامية التي تولدت وتكوّنت خلال هذه القرون تعتبر نفسها هي الفرقة النّاجية، وتعرّف غيرها بأنها من أهل النار.

وكلّ يدّعي وصلاً لبليلى
وليلي لا تقرّ لهم بذاكا
ومن جملة تلك المذاهب التي تولدت قبل قرنين تقريباً هو مذهب محمد بن عبد الوهاب، وقبل أن نختم المقدّمة فلا بأس أن نذكر شيئاً يسيراً من ترجمة حياة محمد بن عبد الوهاب:

« هو محمد بن عبد الوهاب بن سليمان التّميمي، نشأ في بلدة العيينة من بلاد نجد، قرأ الفقه على مذهب أحمد بن حنبل، وكان من حضره يتكلّم بكلمات لا يعرفها المسلمون، سافر إلى مكة ثم سافر إلى المدينة، واشتغل بالدراسة عند الشيخ عبد الله بن ابراهيم بن يوسف، وأظهر الإنكار على الاستغاثة برسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) عند قبره، ثم رحل إلى نجد، ثم إلى البصرة يريد الشّام، فلمّا ورد البصرة أحسّ المسلمون بذلك فأخرجوه منها، فخرج هارباً، وبعد مدّة جاء إلى بلدة حريملة من نجد، وكان أبوه في تلك البلدة، فجعل ينكر على مسلمي أهل نجد عقائدهم، فنهاه أبوه فلم يمتنع حتى مات أبوه فتجرّأ على إظهار عقائده والإنكار على المسلمين، وتبعه حثالة من النّاس، إلى أن ضجّ الناس، وهمّوا بقتله، فخرج قاصداً العيينة، ورئيسها يومذاك عثمان بن أحمد بن معمر، فأطعمه ابن عبد الوهاب في ملوكية نجد فساعده عثمان فتظاهر الرجل بنواياه وهدم قبر زيد بن الخطاب، فعظم أمره، وبلغ الخير إلى صاحب الإحساء والقطييف سليمان بن محمد بن عزيز، فأرسل

سليمان كتاباً إلى عثمان يأمره بقتل الرجل، فلما ورد الكتاب إلى عثمان أرسل إلى محمد بن عبد الوهّاب وأخبره وأمره بالخروج من البلدة، فخرج الرجل إلى الدرعية وذلك سنة (١١٦٠هـ).

والدرعية هو المكان الذي خرج منه مسيلمة الكذاب، وأظهر الفساد، وكان صاحبها محمد بن سعود من قبيلة عنيزة، فتوسّل الرجل بامرأة الحاكم إليه، وطمعه في الغزو للغلبة على بلاد نجد، فبايعه محمد بن سعود على سفك دماء المسلمين، وجعل ابن سعود يجهز لنصرته الجيوش، ويألب لترويج طريقته العساكر حتى استقام أمره، فكتب إلى رؤساء بلاد نجد وقضاتها يطلب منهم الطاعة والانقياد، فأجابه قوم وأهمله آخرون، فجهز الجيش من أهل الدرعية، وقاتلهم وقتل من خالفه من المسلمين، حتى دخل البعض إلى طائعته طائعين ومكرهين، وتمّت إمارة بلاد نجد لآل السعود بالسيف والغلبة حتى مات ابن عبد الوهّاب سنة (١٢٠٦هـ)^(١).

وبقي دينه الجديد، ودافعت الحكومة السّعودية عن هذا المبدأ، وقاتلوا المسلمين، وقتلوا ودمّروا، وأحرقوا، وأفسدوا في البلاد والعباد وجرت منهم الولايات على المسلمين، وما قتلوا في هذه المدة خارجاً عن الدين، بل كان جميع المقتولين موحدّين يشهدون أن لا إله إلا الله وأنّ محمداً رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم)، وذنبهم الوحيد أنهم لا يعتنقون المبدأ الجديد الذي اخترعه ابن عبد الوهّاب واعتقد به.

وقد ردّ على محمّد بن عبد الوهّاب علماء كثيرون معاصرون له

^(١) [تاريخ نجد]: لابن الآلوسي.

ومتأخرون عنه، ولا زالت سهام الردّ من علماء الإسلام مشاركة ومغاربة مسدّدة إليه إلى وقتنا هذا، وفي طليعة الرّادين عليه: شقيقه الشيخ سليمان بن عبد الوهاب النّجدي، قال: «إنّ الفرقة النّاجية وصفها أهل العلم، وليس فيكم خصلة واحدة»^(١).

ومن ردوده كتابه الذي نقدم له.

وله ردّ ثاني هو: [فصل الخطاب في الردّ على محمد بن عبد الوهاب] ذكره اسماعيل باشا^(٢).

المؤلف في سطور: هو سليمان بن عبد الوهاب بن سليمان بن علي بن أحمد بن راشد بن يزيد بن مشرف النّجدي الحنبلي المتوفى في سنة (١٢١٠ هجري - ١٧٩٥ ميلادي)^(٣).

من آثاره:

١- [فصل الخطاب في الردّ على محمّد بن عبد الوهاب].

٢- [الصّواعق الإلهية في الردّ على الوهابية]: وهو هذا الكتاب الذي

بين يديك.

(١) [الصّواعق الإلهية]: (ص ٤١/ ط استانبول عام ١٣٩٩ هـ).

(٢) [إيضاح المكنون]: (ج ٢/ ص ١٩٠).

(٣) [كشف الظنون]: (ج ٤/ ص ٧٢ - ج ٦/ ص ٣٥٠)، و[الكشاف]: أطلس (ص

١٢٦-١٢٧)، ومجلة [كلية اللغة العربية بجامعة محمّد بن سعود]: (ج ٥/ ص ٤٩٩-

٥٠٠)، و[فهرس التيمورية]: (ج ٤/ ص ١٢٠)، و[إيضاح المكنون]: (ج ٢/ ص ٧٢-

وص ١٩٠)، و[معجم المؤلّفين]: (ج ١/ ص ٧٩٣).

وفي الختام: نمدّ يد الأخوة والمحبة لكلّ منصف يريد الصّلاح والاصلاح، ويفكر في مجابهة العدو المشترك والوقوف أمامه، فنوحّد صفوفنا ونجمع قوانا ونستعين بالقواسم المشتركة بيننا، وبأسلوب صحيح ومنطقي، وفي جوّ أخوي نناقش موارد الخلاف نقاشاً علمياً نرفع الإيهامات والأفكار المشبوهة حولنا من خلال الأدلة الشرعية الثابتة المحكمة، وهي: القرآن والسنة والعقل.

ومن هذا المنطلق قام مؤلّف هذا الكتاب بمناقشة أفكار أخيه محمد بن عبد الوهّاب، ودفع التهجم العنيف الذي وجّهه نحو أفكار ومبادئ المذاهب الإسلامية، وليكون هداية لمن اهتدى وحنة على من أضله الشيطان وغوى، سالكاً سبيل الحق، وبعيداً عن العاطفة والتعصّب، مستمداً من كتاب الله تعالى، وصحاح كتب المسلمين، وآراء كبار علمائهم، وسنة الماضي من السلف.

عملي في هذا الكتاب:

أقمت عملي في هذا الكتاب على طبعة اسطنبول (تركيا)، ومن حيث أنّ طبعته غير لائقة فقد استخرت الله تعالى في إعادة طبعه بعد تحقيقه والإشارة إلى مصادره، وإضافة بعض التعليقات المفيدة إليه.

جعل الله عملي هذا خالصاً لوجهه الكريم، وخدمة لدينه القويم،
وقربة إلى الله تعالى، وآخر دعوانا أن الحمد لله ربّ العالمين، وأفضل
الصّلاة وأتمّ التّسليم على محمّد وآله الطّاهرين.

كتبه

السيد السراوي

(تشرين الثاني: ١٩٩٦ ميلادي)

مقدمة المؤلف

الحمد لله ربّ العالمين، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له،
وأشهد أنّ محمداً عبده ورسوله، أرسله بالهدى ودين الحق ليظهره على
الدين كلّه ولو كره المشركون، صلى الله عليه وعلى آله إلى يوم الدين.
أمّا بعد: من سليمان بن عبد الوهاب إلى حسن بن عيدان... سلام
على من اتّبع الهدى، قال الله تعالى: ﴿وَلَتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ
وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ﴾^(١).
وقال النبي (صلى الله عليه وسلّم): «الدين النصيحة»^(٢).

(١) سورة آل عمران: آية (١٠٤).

(٢) صحيح أخرجه مسلم في [الصحيح]: (ج ١/ص ٥٣)، و[البخاري] في [الصحيح]
(ج ٢/ص ٤٢/باب ١٢)، ولأبي عاصم في [السنة]: (ج ٢/ص ٥٠٥/حديث ١٠٨٩)
وتمام النص: عن عطاء بن يزيد، عن تميم الداري، أنّ النبي (صلى الله عليه وآله وسلم):
قال: «الدين النصيحة».. قالوا: لمن يا رسول الله؟ قال: لله، ولرسوله، ولأئمة
المسلمين وعامتهم. وفي زيادة: وكتابه. وأخرى: والمؤمنين. أخرجه أبو عوانه
(ج ١/ص ٣٧)، وأبو داود في [السنن] (حديث ٤٩٤٤)، والنسائي في [السنن] (ج ٢/
ص ١٨٦)، وأحمد بن حنبل في [المسند]: (ج ٤/ص ١٠٢). والدارمي (حديث
٢٧٥٤) عن ابن عمر، والترمذي في [السنن]: (حديث ١٩٢٦).

وأنت كتبت إلي أكثر من مرة تستدعي ما عندي حيث نصحتك على لسان ابن أخيك، فها أنا أذكر لك بعض ما عملت من كلام أهل العلم فإن قبلت فهو المطلوب والحمد لله، وإن أبيت فالحمد لله، فإنه سبحانه لا يعصى قهراً، وله في كلّ حركة وسكون حكمة.

فنقول: إعلم أنّ الله سبحانه وتعالى بعث محمداً (صلى الله عليه وسلم) بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله، وأنزل عليه الكتاب تبياناً لكلّ شيء فأنجز الله له ما وعده وأظهر دينه على جميع الأديان، وجعل ذلك ثابتاً إلى آخر الدهر حين إنخراط أنفس جميع المؤمنين، وجعل « أمة » خير الأمم كما أخبر بذلك بقوله: ﴿ كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ ﴾ ^(١).

وجعلهم شهداء على الناس، قال تعالى: ﴿ وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ ﴾ ^(٢).

واجتباهم كما قال تعالى: ﴿ هُوَ اجْتَبَاكُمْ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ

^(١) سورة آل عمران: آية (١١٠)، وتام الآية: ﴿ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُقِيمُونَ بِاللهِ وَلَوْ آمَنَ أَهْلُ الْكِتَابِ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ مِنْهُمُ الْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ الْفَاسِقُونَ ﴾.

^(٢) سورة البقرة: آية (١٤٣)، وتام الآية: ﴿ وَيَكُونُ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا وَمَا جَعَلْنَا الْقِبْلَةَ الَّتِي كُنْتَ عَلَيْهَا إِلَّا لَنَعْلَمَ مَنْ يَتَّبِعِ الرَّسُولَ مِمَّنْ يَنْقَلِبْ عَلَى عَقْبَيْهِ وَإِنْ كَانَتْ لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى الَّذِينَ هَدَى اللهُ وَمَا كَانَ اللهُ لِيُضَيِّعَ إِيمَانَكُمْ إِنَّ اللهُ بِالنَّاسِ لَرُؤُوفٌ رَحِيمٌ ﴾.

من حرج»^(١).

وقال النبي (صلى الله عليه وسلم): «أنتم توفون سبعين أمة أنتم خيرها وأكرمها عند الله»^(٢). ودلائل ما ذكرنا لا تحصى. وقال (صلى الله عليه وسلم): «لا يزال أمر هذه الأمة مستقيماً حتى تقوم الساعة»^(٣).
ورواه البخاري وجعل إقتفاء أثر هذه الأمة واجباً على كل أحد بقوله

(١) سورة الحج: آية (٧٨)، وتام الآية: ﴿ملة أبيكم إبراهيم هو سماكم المسلمين من قبل وفي هذا ليكون الرسول شهيداً عليكم وتكونوا شهداء على الناس فأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة واعتصموا بالله هو مولاكم فنعم المولى ونعم النصير﴾
(٢) أخرجه الطبراني في [الكبير]: (ج ١٩/ص ٤٢٢/حديث ١٠٢٣) عن بهز بن حكيم، عن أبيه، عن جده.

(٣) صحيح أخرجه البخاري في [الصحيح]: (ج ٦/ص ٣٨٥) «كتاب الأنبياء» (باب المناقب)، ومسلم في [الصحيح]: (حديث ١٩٢٢)، والحاكم في [المستدرک]: (ج ٣/ص ٦١٧)، والبيهقي في [شرح السنة]: (ج ١٤/ص ٢١٢/حديث ٤٠١١) (باب: ظهور طائفة من هذه الأمة على من خالفهم ودعاء النبي صلى الله عليه واله وسلم).

وأبي عاصم في [السنة]: (ج ٣/ص ٥١٨/حديث ١١٢٢ - وحديث ١١٢٣) ونص الحديث: «لا يزال هذا الأمر في قريش ما بقي من الناس اثنان» أخرجه: أحمد بن حنبل في [المسند]: (ج ٣/ص ٢٤٣، و٢٦١، و٣٩٥).

و[فتح الباري]: لابن حجر (ج ١٣/ص ١٠١، و١٠٧) «كتاب الأحكام» (باب: الأمراء)، والنووي في [شرح مسلم]: (ج ٢/ص ١١٩)، و[جامع الأصول] لابن الأثير الجوزي (ج ٤/ص ٤٣) «كتاب الخلافة والامارة» (باب: الأول في الأحكام، الفصل الأول، حديث ٢٠١٧).

تعالى: ﴿وَمَنْ يَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّى وَنُصْلِهِ جَهَنَّمَ
وَسَاءَتْ مَصِيرًا﴾^(١).

وجعل إجماعهم حجة قاطعة لا يجوز لأحد الخروج عنه، ودلائل ما
ذكرنا معلومة عند كل من له نوع ممارسة في العلم.

إعلم أنّ ما جاء به محمد (صلى الله عليه وسلم) أنّ الجاهل لا يستبدّ
برأيه^(٢) بل يجب عليه أن يسئل أهل العلم كما قال تعالى: ﴿فَاسْئَلُوا أَهْلَ
الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾^(٣).

وقال (صلى الله عليه وسلم): «هل لا إذا لم يعلموا سئلوا فإنما دواء العي السؤال»^(٤)

^(١) سورة النساء: آية (١١٥) وتام الآية ﴿وَمَنْ يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ
الهُدَى وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّى وَنُصْلِهِ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيرًا﴾.

^(٢) أشار المؤلف إلى حديث رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم): «ثلاث
مهلكات شح مطاع، وهوى متبع، وإعجاب المرء برأيه»، أخرجه السيوطي في كتابه [الجامع
الصغير]: (ج ١/ص ٤٦٩/حديث ٣٤٧٢) «باب حرف الثاء» عن الطبراني في [المعجم الأوسط].

^(٣) سورة الأنبياء: آية (٧) وتام الآية: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ إِلَّا رَجُلًا نُوحِي إِلَيْهِمْ﴾.

^(٤) صحيح أخرجه ابن ماجة في [السنن]: «كتاب الطهارة: باب المجروح تصيبه
الجنابة فيخاف على نفسه» (حديث ٥٧٢)، والحاكم في [المستدرک]: (ج ١/ص ١٧٨) عن عطاء
وإبن عباس، وإبن حبان في [الصحيح]: (حديث ٢٢٠١) عن إبن عباس، والدارقطني في [السنن]:
(ج ١/ص ١٩٠) عن إبن عباس، وعن جابر بن عبد الله الأنصاري.

والألباني في [إرواء الغليل]: «باب المجروح يتيمم» (حديث ٣٣٦)، والبغوي في
[شرح السنة]: (ج ٢/ص ١٢٠/حديث ٣١٣)، والحديث عن عطاء عن جابر بن عبد
الله الأنصاري عن النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) قال: «قتلوه قتلهم الله ألا
سألوا»، وفي رواية: «هلا سألوا إذا لم يعلموا فإنما شفاء العي السؤال».

وهذا إجماع قال في غاية السؤال: «قال الإمام أبو بكر الهروي^(١):
«أجمعت العلماء قاطبة على أنه لا يجوز لأحد أن يكون إماماً في الدين
والمذهب المستقيم حتى يكون جامعاً هذه الخصال:

وهي: أن يكون حافظاً للغات العرب؛ واختلافها؛ ومعاني أشعارها؛
وأصنافها، واختلاف العلماء والفقهاء؛ ويكون عالماً؛ فقيهاً؛ وحافظاً
للإعراب وأنواعه، والإختلاف، عالماً بكتاب الله؛ حافظاً له؛ وإختلاف
قرائته، واختلاف القراء فيها، عالماً بتفسيره؛ محكمه ومتشابهه؛ وناسخه
ومنسوخه؛ وقصصه؛ عالماً بأحاديث الرسول (صلى الله عليه وسلم)، مميزاً
بين صحيحها؛ وسقيمها؛ ومتصلها؛ ومنقطعها؛ ومراسيلها؛ ومسانيدها؛
ومشاهيرها، وأحاديث الصحابة؛ موقوفها؛ ومسندها، ثم يكون ورعاً؛
ديناً؛ صائناً لنفسه؛ صدوقاً؛ ثقة، يبني مذهبه ودينه على كتاب الله وسنة
رسوله (صلى الله عليه وسلم).

فإذا جمع هذه الخصال فحينئذ يجوز أن يكون إماماً، وجاز أن يقلد
ويجتهد في دينه، وفتاويه، وإذا لم يكن جامعاً لهذه الخصال، أو أدخل
بواحدة منها كان ناقصاً، ولم يجز أن يكون إماماً وأن يقلده الناس.

قال: قلت: وإذا ثبت أن هذه شرائط لصحة الإجتهد والإمامة، فقد
كل من لم يكن كذلك أن يقتدي بمن هو بهذه الخصال المذكورة.»

وقال: «الناس في الدين على قسمين: مقلد، ومجتهد، والمجتهدون
مختصون بالعلم، وعلم الدين يتعلق بالكتاب والسنة، واللسان العربي الذي

(١) لم أجد له ترجمة في كتب التراجم التي بحثت فيها وأطلعت عليها.

وردابه فمن كان فيما يعلم الكتاب والسنة، وحكم ألفاظهما، ومعرفة الثابت من أحكامهما، والمتقل من الثبوت بنسخ أو غيره، والمتقدم والمؤخر، صحّ إجهاده وأن يقلّده من لم يبلغ درجته، وفرض من ليس بمجتهد أن يسئل ويقلد، وهذا لا إختلاف فيه.. « انتهى. أنظر قوله: «وهذا لا خلاف فيه».

وقال ابن القيم^(١) في [أعلام الموقعين]: «لا يجوز لأحد أن يأخذ من

^(١) هو: محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد بن حريز الزرعي، ثم الدمشقي، الحنبلي، المعروف بابن قيم الجوزية شمس الدين، أبو عبد الله فقيه أصولي، مجتهد مفسر، متكلم، نحوي، محدث، ولد في دمشق: (٧/ صفر/ ٦٩١هـ)، وبرع في علوم الشريعة والحقيقة والعربية، حتى بلغ رتبة التدريس والإفتاء، وارتقى منصب الإفتاء والإمامة، يدرّس بالصدرية، وأمّ مدّة بالجوزية.

توفي في وقت آذان العشاء في ليلة الخميس: (١٣/ رجب/ سنة ٧٥١هـ)، وصلى عليه بالجامع الأموي ثم بجامع جرّاح، ودفن بمقبرة الباب الصغير، وتفقه وأفتى ولازم ابن تيمية، سجن معه في قلعة دمشق.

من تصانيفه:

١- [أعلام الموقعين]. ٢- [التفسير القيم]. ٣- [مدارج السالكين في شرح منازل السائرين]. ٤- [حادي الأرواح إلى بلاد الأفراح]. ٥- [الداء والدواء]. ٦- [بدائع الفوائد في النحو والصرف]. ٧- [أحكام أهل الذمة]. ٨- [أخبار النساء]. ٩- [تحفة المودود بأحكام المولود]. ١٠- [شرح الشروط العمرية]. وكتب أخرى كثيرة.

أنظر: [طبقات الحنابلة]: (ج ١/ ص ٣٥٠) و(ج ٢/ ص ٣٥١)، والعدوي في [الزيارات]: (ص ٢٠)، و[الدرر الكامنة]: (ج ٣/ ص ٤٠٠، و ص ٤٠٣)، و[النجوم الزاهرة]: (ج ١٠/ ص ٢٤٩)، [شذرات الذهب]: (ج ١٦٨، و ص ١٧٠)، و[كشف الطنون]: (ص ٨٩، ١٢٥، ١٢٩، ١٦٨، ٢٠٦).

الكتاب والسنة ما لم يجتمع فيه شروط الإجتهد، ومن جميع العلوم». قال أحمد بن المنادى: «سأل رجل أحمد بن حنبل: إذا حفظ الرجل مائة ألف حديث، هل يكون فقيهاً؟ قال: لا. قال: فمائي ألف حديث؟ قال: لا. قال: فثلاث مائة ألف حديث؟ قال: لا. قال: فأربع مائة؟ قال: نعم. قال أبو الحسين: فسألت جدّي: كم كان يحفظ أحمد؟ قال: أجاب عن ستمائة ألف حديث.

قال أبو إسحاق: لما جلست في «جامع المنصور» للفتيا ذكرت هذه المسألة، فقال لي رجل: فأنت تحفظ هذا المقدار حتى تفني الناس؟ قلت: لا إنما أفني بقول من يحفظ هذا المقدار..»^(١) انتهى.

ولو ذهبنا نحكي من حكي الإجماع لطال، وفي هذا كفاية للمسترشد، وإنما ذكرت هذه المقدمة لتكون قاعدة يرجع إليها فيما نذكره، فإنّ اليوم أبتلى الناس بمن ينتسب إلى الكتاب والسنة، ويستنبط من علومهما، ولا يبالي من خالفه، وإذا طلبت منه أن يعرض كلامه على أهل العلم لم يفعل بل يوجب على الناس الأخذ بقوله وبمفهومه، ومن خالفه فهو عنده كافر هذا، وهو لم يكن فيه خصلة واحدة من خصال أهل الإجتهد، ولا والله عشر واحدة، ومع هذا فراج كلامه على كثير من الجهال، فإننا لله وإنا إليه راجعون.

الأمة كلّها تصيح بلسان واحد، ومع هذا لا يردّ لهم في كلمة بل كلّهم كفار، أو جهّال. اللهم إهد الضّال وردّه إلى الحقّ.

^(١) وفي بعض الروايات: «ألف ألف حديث».

فنقول: قال الله عز وجل: ﴿إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ﴾^(١).
 وقال تعالى: ﴿وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ﴾^(٢).
 وقال تعالى: ﴿فَإِنْ تَابُوا وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ فَخَلُّوا سَبِيلَهُمْ﴾^(٣).

وفي الآية الأخرى: ﴿فَإِخْوَانُكُمْ فِي الدِّينِ﴾^(٤).

قال ابن عباس: حرّمت هذه الآية دماء أهل القبلة.
 وقال أيضاً: لا تكونوا كالخوارج تؤوّلوا آيات القرآن في أهل القبلة،
 وإنما نزلت في أهل الكتاب والمشرّكين، فجهلوا علمها فسفكوا بها
 الدماء، وانتهكوا الأموال، وشهدوا على أهل السنّة بالضلالة، فعليكم
 بالعلم بما نزل فيه القرآن.. انتهى.

وكان ابن عمر يرى الخوارج شرار الخلق، قال: إنهم عمدوا في آيات

^(١) سورة آل عمران: آية (١٩)، وتام الآية: ﴿وَمَا اخْتَلَفَ الَّذِينَ أُوْتُوا الْكِتَابَ إِلَّا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْعِلْمُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ وَمَنْ يَكْفُرْ بِآيَاتِ اللَّهِ فَإِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ﴾.

^(٢) سورة آل عمران: آية (٨٥)، وتام الآية: ﴿وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾.

^(٣) سورة التوبة: آية (٥) وتام الآية: ﴿فَإِذَا أَنْسَلَخَ الْأَشْهُرَ الْحُرُمَ فَاقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ وَخُذُوهُمْ وَاحْصُرُوهُمْ وَاقْعُدُوا لَهُمْ كُلَّ مَرْصَدٍ فَإِنْ تَابُوا وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ فَخَلُّوا سَبِيلَهُمْ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾.

^(٤) سورة التوبة: آية (١٠) وتام الآية: ﴿فَإِنْ تَابُوا وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ فَإِخْوَانُكُمْ فِي الدِّينِ وَنُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾.

نزلت في الكفار فجعلوها في المسلمين (رواه البخاري عنه) ^(١)، فحينئذ ذكر الله عز وجل: ﴿إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ﴾ ^(٢).

وقد قال النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) في حديث جبريل في [الصحيحين]: «الإسلام أن تشهد أن لا إله إلا الله، وأن محمداً رسول الله» ^(٣). وفي حديث ابن عمر الذي في [الصحيحين]: «بُني الإسلام على خمس: شهادة أن لا إله إلا الله، وأن محمداً عبده ورسوله» ^(٤).

^(١) [صحيح البخاري]: «باب قتل الخوارج بعد إقامة الحجة عليهم»، وقوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضِلَّ قَوْمًا بَعْدَ إِذْ هَدَاهُمْ حَتَّى يُبَيِّنَ لَهُمْ مَا يَتَّقُونَ﴾ سورة التوبة: آية (١١٥)، وكان ابن عمر يراهم شرار خلق الله، وقال: «إنهم انطلقوا إلى آيات نزلت في الكفار فجعلوها على المؤمنين».

^(٢) سورة آل عمران: آية (١٩)، وتام الآية: ﴿وَمَا اخْتَلَفَ الَّذِينَ أَوْتُوا الْكِتَابَ إِلَّا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْعِلْمُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ وَمَنْ يَكْفُرْ بِآيَاتِ اللَّهِ فَإِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ﴾.

^(٣) صحيح، أخرجه ابن حبان في [الصحيح]: (ج ١/ص ١٨٨/حديث ١٥٨) عن عبد الله بن عمر، وابن الأثير في [جامع الأصول]: (ج ١/ص ٢٠٨، وص ١٠٩/حديث ١)، ومسلم في [الصحيح]: (ج ١/ص ٣٠، وص ٣١)، و[الترمذي]: (حديث ٢٦١٠) و[النسائي]: (حديث ٤٩٩٠)، و[أبو داود]: (حديث ٤٦٩٥)، و[ابن ماجه]: (حديث ٦٣)، و[أحمد بن حنبل]: (حديث ٥٨٢٢).

^(٤) صحيح أخرجه ابن حبان في [الصحيح]: (ج ١/ص ١٨٨/حديث ١٥٨) عن ابن عمر، ونص الحديث: « وإقام الصلاة، وإيتاء الزكاة، وصيام رمضان، وحج البيت»، وفي [جامع الأصول]: (ج ١/ص ٢٠٧) عن ابن عمر وفيه: « وإيتاء الزكاة، وحج البيت، وصوم رمضان». و[البخاري في الصحيح]: (حديث ٤٢٤٣)، ومسلم في [الصحيح]: (حديث ١٦)، و[الترمذي]: (حديث ٢٦٠٩)، و[النسائي]: (حديث ٥٠٠١)، و[أحمد بن حنبل]: (حديث ٤٧٨٣، وحديث ٥٦٣٩، وحديث ٥٩٧٩، وحديث ٦٢٦٥).

وفي حديث وفد عبد القيس: «أمركم بالإيمان بالله وحده، أتدرون ما الإيمان بالله وحده!! شهادة أن لا إله إلا الله، وأنّ محمداً رسول الله»^(١).

وهو في [الصحيحين] وغير ذلك من الأحاديث وصف الإسلام بالشهادتين، وما معهما من الأركان، وهذا إجماع من الأمة، بل أجمعوا أنّ من نطق بالشهادتين أجريت عليه أحكام الإسلام، لحديث: «أمرت أن أقاتل الناس»^(٢)، ولحديث الجارية: «أين الله؟ قالت: في السماء.. قال: من أنا؟ قالت: رسول الله.. قال: اعتقها فإنّها مؤمنة»^(٣)، وكلّ ذلك في

^(١) صحيح، أخرجه ابن حبان في [الصحيح]: (ج ٧/ص ٣٦/حديث ٤٥٢٤) وفيه قول رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) لأشيع عبد قيس: «إن فيك لخصلتين يجبهما الله الحلم والأناة»، والبخاري في [الصحيح]: (حديث ٥٣)، ومسلم في [الصحيح]: (حديث ١٧)، و[الترمذي]: (حديث ١٥٩٩، وحديث ٢٦١١)، و[النسائي]: (حديث ٥٠٣١)، و[أبو داود]: (حديث ٣٦٩٢، وحديث ٣٦٩٦، وحديث ٤٦٧٧) و[أحمد بن حنبل]: (حديث ٣٣٩٦).

^(٢) صحيح أخرجه الألباني في [إرواء الغليل]: (ج ٨/حديث ٣٤٧٥) ونص الحديث: «عن أنس بن مالك مرفوعاً: أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله وأنّ محمداً رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم)، فإذا قالوها عصموا مني دماءهم إلا بحقها»، والبخاري في [الصحيح]: (ج ١/ص ١٧/حديث ٤٥، وحديث ٢٧٨٦)، ومسلم في [الصحيح]: (ج ١/حديث ٢٢).

^(٣) صحيح أخرجه مسلم في [الصحيح]: (ج ٢/ص ٧٠)، وأبو داود في [السنن]: (حديث ٨٦٢)، وابن أبي عاصم في [السنن]: (ج ١/ص ٢١٥/حديث ٤٨٩، وحديث ٥٩٠)، والنسائي في [السنن]: (ج ١/ص ١٧٩، وص ١٨٠)، والطيالسي: (حديث ١١٠٥)، وأحمد بن حنبل في [المسند]: (حديث ١٧٤٨٥، وحديث ١٨٩٦١، وحديث ١٨٧٢).

[الصحيحين]، ولحديث: «كُفُّوا عَنْ أَهْلِ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ»^(١)، وغير ذلك.

قال ابن القيم: أجمع المسلمون على أنَّ الكافر إذا قال لا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وأنَّ محمداً رسول الله، فقد دخل في الإسلام.. وكذلك أجمع المسلمون أنَّ المرتدَّ إذا كانت رَدَّتُهُ بالشَّرْكَ فإنَّ توبته بالشَّهادتين، وأمَّا القتال إن كان ثم إمام قاتل الناس حتى يقيموا الصَّلَاة، ويؤتوا الزكاة.

وكل هذا مسطور مبين في كتب أهل العلم، من طلبه وجده، فالحمد لله على تمام الإسلام.

فصل:

«الأول: شهادة أن لا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وأنَّ مُحَمَّدَ رسول الله

(صلى الله عليه وآله وسلم)»

إذا فهِمْتُمْ مَا تَقَدَّمَ فَإِنَّكُمْ الْآنَ تَكْفُرُونَ مَنْ شَهِدَ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ

(١) أخرجه الطبراني في [الكبير]: (ج ١٢/ص ٢٢١/حديث ١٣٠٨٩) عن ابن عمر قال: قال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم): «كُفُّوا عَنْ أَهْلِ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، لَا تَكْفُرُوهُمْ بِذَنْبٍ، فَمَنْ كَفَّرَ أَهْلَ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ فَهُوَ إِلَى الْكُفْرِ أَقْرَبَ».

وحده، وأنَّ محمداً عبده ورسوله، وأقام الصَّلاة، وآتى الزَّكاة، وصام رمضان، وحجَّ البيت مؤمناً بالله؛ وملائكته؛ وكتبه؛ ورسله؛ ملتزماً لجميع شعائر الإسلام، وتجعلونهم كفَّاراً، وبلادهم بلاد حرب، فنحن نسألکم من إمامکم في ذلك؟؟! ومَن أخذتم هذا المذهب عنه؟؟! فإن قلتم كفرناهم لأنَّهم مشرکون بالله والذي منهم ما أشرك بالله لم يكفر من أشرك بالله، لأنَّ سبحانه قال: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ﴾^(١)، وما في معناها من الآيات، وأنَّ أهل العلم قد عدَّوا في المكفَّرات من أشرك بالله. قلنا: حقَّ الآيات حقٌّ، وكلام أهل العلم حقٌّ، ولكن أهل العلم قالوا في تفسير أشرك بالله أي ادَّعى أنَّ الله شريكاً كقول المشركين: ﴿هَؤُلَاءِ شُرَكَائُنَا﴾^(٢).

وقوله تعالى: ﴿وَمَا نَرَىٰ مَعَكُمْ شُفَعَاءَ الَّذِينَ زَعَمْتُمْ أَنَّهُمْ فِيكُمْ شُرَكَاءَ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ يَسْتَكْبِرُونَ أَجْعَلُوا آلِهَةً مِّمَّا وَاحِدًا﴾^(٣).

(١) سورة النساء: آية (١١٦) وتَمَام الآية: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرَ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا بَعِيدًا﴾.

(٢) سورة النحل: آية (٨٦) وتَمَام الآية: ﴿وَإِذَا رَأَى الَّذِينَ أَشْرَكُوا شُرَكَاءَهُمْ قَالُوا رَبَّنَا هَؤُلَاءِ شُرَكَائُنَا الَّذِينَ كُنَّا نَدْعُوا مِنْ دُونِكَ فَأَلْقُوا إِلَيْهِمُ الْقَوْلَ إِنَّكُمْ لَكَاذِبُونَ﴾.

(٣) سورة الأنعام: آية (٩٤) وتَمَام الآية: ﴿وَلَقَدْ جِئْتُمُونَا فُرَادَى كَمَا خَلَقْنَاكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَتَرَكْتُمْ مَا خَوَّلْنَاكُمْ وَرَاءَ ظُهُورِكُمْ وَمَا نَرَىٰ مَعَكُمْ شُفَعَاءَ الَّذِينَ زَعَمْتُمْ أَنَّهُمْ فِيكُمْ شُرَكَاءَ﴾.

إلى غير ذلك ممّا ذكره الله في كتابه؛ ورسوله؛ وأهل العلم، ولكن هذه التفاصيل التي تفصلون من عندكم أنّ من فعل كذا فهو مشرك، وتخرجونه من الإسلام من أين لكم هذا التفصيل؟! استنبطتم ذلك بمفاهيمكم؟! فقد تقدّم لكم من إجماع الأمة أنّه لا يجوز لمثلكم الاستنباط، ألستم في ذلك قدوة من إجماع أو تقليد من يجوز تقليده مع أنّه لا يجوز للمقلّد أن يكفّر إن لم تجمع الأمة على قول متبوعه، فبينوا لنا من أين أخذتم مذهبكم؟؟!! هذا!! ولكم علينا عهد الله وميثاقه إن يثبت لنا حقاً يجب المصير إليه لتتبع الحق، إن شاء الله، فإن كان المراد مفاهيمكم فقد تقدّم أنه لا يجوز لنا؛ ولا لكم؛ ولا لمن يؤمن بالله؛ واليوم الآخر، الأخذ بها ولا نكفر من معه الإسلام الذي أجمعت الأمة على من أتى به فهو مسلم، فأما الشّرك ففيه أكبر وأصغر، وفيه كبير وأكبر، وفيه ما يخرج من الإسلام، وفيه ما لا يخرج من الإسلام، وهذا كلّه بإجماع وتفاصيل ما يخرج مما لا يخرج، يحتاج إلى تبين أئمة أهل الإسلام الذي اجتمعت فيهم شروط الإجتهد، فإن أجمعوا على أمر لم يسع أحد الخروج عنه، وإن اختلفوا فالأمر واسع، فإن كان عندكم عن أهل العلم بيان واضح فبينوا لنا وسمعاً وطاعة، وإلاّ فالواجب علينا وعليكم الأخذ بالأصل المجمع عليه، وإتباع سبيل المؤمنين وأنتم تحتجّون أيضاً بقوله عزّ وجل: ﴿لَئِنْ أَشْرَكْتَ لِيَحْبِطَنَّ عَمَلُكَ﴾^(١)، بقوله عزّ وجل في حق الأنبياء: ﴿وَلَوْ أَشْرَكُوا

^(١) سورة الزمر: آية (٦٥) وتام الآية: ﴿وَلَقَدْ أُوحِيَ إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لِيَحْبِطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾.

لَحِطَ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١﴾ ، وبقوله تعالى: ﴿وَلَا يَأْمُرُكُمْ أَنْ تَتَّخِذُوا الْمَلَائِكَةَ وَالنَّبِيِّينَ أَرْبَابًا﴾ ﴿٢﴾ .

فنقول: نعم كلّ هذا حقّ يجب الإيمان به، ولكن من أين لكم أنّ المسلم الذي يشهد أن لا إله إلا الله، وأنّ محمداً عبده ورسوله إذا دعى غائباً أو ميتاً، أو نذر له، أو ذبح لغير الله، أو تمسّح بقبر، أو أخذ من ترابه أنّ هذا هو الشّرك الأكبر الذي من فعله حبط عمله؛ وحلّ ماله؛ ودمه؛ وأنّه الذي أراد الله سبحانه من هذه الآية وغيرها في القرآن.

فإن قلتم: فهمنا ذلك من الكتاب والسنة!!

قلنا: لا عبرة بمفهومكم، ولا يجوز لكم، ولا لمسلم الأخذ بمفهومكم، فإنّ الأمة مجمعة كما تقدّم أنّ الاستنباط مرتبة أهل الاجتهاد المطلق، ومع هذا لو اجتمعت شروط الاجتهاد في رجل لم يجب على أحد الأخذ بقوله دون نظر.

قال الشيخ تقي الدين ^(٣) : من أوجب تقليد الامام بعينه دون نظر إنّه يُستتاب، فإن تاب وإلا قُتل.

^(١) سورة الأنعام: آية (٨٨) وتام الآية: ﴿ذَلِكَ هَدَى اللَّهُ يَهْدِي بِهِ مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَلَوْ أَشْرَكُوا لَحِطَ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ .

^(٢) سورة آل عمران: آية (٨٠) وتام الآية: ﴿يَأْمُرُكُمْ بَعْدَ إِذْ أَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ .

^(٣) هو: عبد الرحمن بن محمد بن عبد الناصر بن تاج الرئاسة، الحلي، الزبيدي، القاهري، الشافعي، تقي الدين أبو محمد، مؤرّخ، محدث، سمع من الميمني وحدث عنه، وناب في الحكم مدة طويلة، وولي القضاء، توفي في أول رمضان سنة (٨١٣هـ).

من آثاره:

١- [تاريخ]: نقل منه ابن حجر. ٢- [شرح على التنبيه]. أنظر: السخاوي [الضوء اللامع]: (ج ٤/ص ١٣٥، وص ١٣٩)، وابن العماد في [شذرات]: (ج ٧/ص ١٠١).

وإن قلتم: أخذنا ذلك من كلام بعض أهل العلم كإبن تيمية؛ وإبن القيم، لأنهم سموا ذلك شركاً...!!

قلنا: هذا حق ونوافقكم على تقليد الشّيوخ أنّ هذا شرك، ولكن هم لم يقولوا كما قلتم أنّ هذا شرك أكبر يخرج من الاسلام، وتجري على كلّ بلد هذا فيها أحكام أهل الرّدّة، بل من لم يكفّرهم عندكم فهو كافر تجري عليه أحكام أهل الرّدّة، ولكنهم (رحمهم الله) ذكروا أنّ هذا شرك وشدّدوا فيه، ونهوا عنه، ولكن ما قالوا كما قلتم، ولا عشر معشاره، ولكنكم أخذتم من قولهم ما جاز لكم دون غيره، بل في كلامهم (رحمهم الله) ما يدلّ على أنّ هذه الأفاعيل شرك أصغر.

وعلى تقدير أنّ في بعض أفرادها ما عو شرك أكبر على حسب حال قائله ونيته، فهم ذكروا في بعض مواضع من كلامهم أنّ هذا لا يكفّر حتى تقوم عليه الحجّة الذي يكفّر تاركها، كما يأتي في كلامهم إن شاء الله مفصلاً.

ولكن المطلوب منكم هو الرجوع إلى كلام أهل العلم، والوقوف عند الحدود التي حدّوا فإنّ أهل العلم ذكروا في كلّ مذهب من مذاهب الأقوال والأفعال التي يكون بها المسلم مرتداً، ولم يقولوا من نذر لغير الله فهو مرتد، ولم يقولوا من طلب من غير الله فهو مرتد، ولم يقولوا من ذبح لغير الله فهو مرتد، ولم يقولوا من تمسّح بالقبور وأخذ من ترابها فهو مرتد، كما قلتم أنتم.

فإن كان عندكم شيء فينبّوه فإنّه لا يجوز كتم العلم، ولكنكم أخذتم

هذا بمفاهيمكم، وفارقتم الإجماع، وكفّرتُم أمة محمد (صلى الله عليه وسلم) كلهم، حيث قلتُم من فعل هذه الأفاعيل فهو كافر، ومن لم يكفره فهو كافر.

ومعلوم عند الخاص والعام أنّ هذه الأمور ملأت بلاد المسلمين، وعند أهل العلم منهم أنّها ملأت بلاد المسلمين من أكثر من سبعمائة عام، وإنّ من لم يفعل هذه الأفاعيل من أهل العلم يكفّروا أهل هذه الأفاعيل، ولم يجروا عليهم أحكام المرتدّ بل أجروا عليهم أحكام المسلمين، بخلاف قولكم حيث أجريتم الكفر والردّة على أمصار المسلمين وغيرها من بلاد المسلمين، وجعلتم بلادهم بلاد حرب حتى الحرمين الشريفين اللذين أخبر النبي (صلى الله عليه وسلم) في الأحاديث الصّحيحة^(١) الصّريحة أنّهما لا يزالا بلاد إسلام، وإنهما لا تُعبد فيهما الأصنام، وحتى أنّ الدجال في آخر الزمان يبطأ البلاد كلّها إلّا الحرمين، كما تقف على ذلك إن شاء الله في هذه الرّسالة.

فكلّ هذه البلاد عندكم بلاد حرب، كفّار أهلها لأنهم عبدوا الأصنام على قولكم، وكلهم عندكم مشركون شركاً مخرجاً عن الملة، فإنّا لله وإنّا

(١) [صحيح البخاري]: (ج ١/حديث ١٠٤)، ومسلم في [الصحيح]: (حديث ١٣٥٤)، والنسائي في [السنن]: (حديث ٣٨٧٦)، وأحمد بن حنبل في [المسند]: (حديث ١٥٩٣٨، وحديث ١٥٩٤٢، وحديث ٢٦٦١٩، وحديث ٢٦٦٢٣)، عن أبي شريح خويلد بن عمرو بن عبد الله. وعن جابر بن عبد الله الأنصاري، و[الترمذي]: (حديث ٣٩٢٢) عن أنس بن مالك.

إليه راجعون، فوالله إنّ هذا عين المحادة^(١) لله؛ ولرسوله؛ ولعلماء المسلمين قاطبة، فأعظم من رأينا مشدداً في هذه الأمور التي تكفّرون بها الأمة النذور، وما عليه ابن تيمية؛ وابن القيم، وهما (رحمهما الله) قد صرّحا في كلامهما تصريحاً واضحاً أنّ هذا ليس من الشّرك الذي ينقل عن الملة، بل قد صرّحوا في كلامهم أنّ من الشّرك ما هو أكبر من هذا بكثير كثير، وأنّ من هذه الأمة من فعله، وعاند فيه، ومع هذا لم يكفّروه، كما يأتي كلامهم في ذلك إن شاء الله.

فأما النذر:

فنذكر كلام الشيخ تقي الدين فيه؛ وابن القيم، وهما من أعظم من شدّد فيه وسماه شركاً.

فنقول: قال الشيخ تقي الدين: النذر للقبور؛ ولأهل القبور؛ كالنذر لإبراهيم الخليل (عليه السلام)، أو الشيخ فلا نذر معصية لا يجوز الوفاء به، وإن تصدّق بما نذر من ذلك على من يستحقّه من الفقراء أو الصّالحين كان خيراً له عند الله وأنفع.. انتهى.

فلو كان الناذر كافراً عنده لم يأمره بالصدقة لأنّ الصدقة لا تقبل من الكافر، بل يأمره بتجديد إسلامه، ويقول له خرجت من الإسلام بالنذر لغير الله.

قال الشيخ أيضاً: من نذر إسراج بئر؛ أو مقبرة؛ أو جبل؛ أو شجرة؛

^(١) يشير المؤلف إلى الآية الكرمة: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَحَادُّونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ كَبْتُوا كَمَا كَبَتَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ﴾ (سورة المجادلة: آية ٥).

أو نذر له أو لسكانه لم يجز، ولا يجوز الوفاء، ويصرف في المصالح ما لم يعرف ربه.. انتهى. فلو كان النذر كافراً لم يأمره بردّ نذره إليه، بل أمر بقتله.

وقال الشيخ أيضاً: من نذر قنديل لقبر النبي (صلى الله عليه وسلم) صرف لجيران النبي (صلى الله عليه وسلم).. انتهى.

فانظر كلامه هذا، وتأمله هل كفر فاعل هذا؟! أو كفر من لم يكفره؟! أو عدّ هذا في المكفّرات هو أو غيره من أهل العلم، كما قلتم أنتم، وخرقتم الإجماع. وقد ذكر ابن مفلح في الفروع، عن شيخه الشيخ تقي الدين ابن تيمية: والنذر لغير الله كنذره لشيخ معين للإستغاثة؛ وقضاء الحاجة منه كحلفه بغيره. وقال غيره: هو نذر معصية؟.. انتهى.

فانظر إلى هذا الشرط المذكور أي نذر له لأجل الإستغاثة به، بل جعله الشيخ كالحلف بغير الله، وغيره من أهل العلم جعله نذر معصية، هل قالوا مثل ما قلتم من فعل هذا فهو كافر؟؟!! ومن لم يكفره فهو كافر؟؟!! عياداً بك اللهم من قول الزور!!.

كذلك ابن القيم ذكر النذر لغير الله في «فصل الشرك الأصغر» من [المدارج] واستدل به بالحديث الذي رواه أحمد عن النبي (صلى الله عليه وسلم) «النذر حلقة»^(١).

^(١) [صحيح مسلم]: (حديث ١٦٤٥)، والترمذي في [السنن]: (حديث ١٥٨٢)، و[النسائي]: (حديث ٣٨٣٢)، و[أبو داود]: (حديث ٣٣٢٣)، وأحمد بن حنبل في [المسند]: (حديث ١٦٨٠، وحديث ١٦٨٦٨، وحديث ١٧٨٧٤، وحديث ١٦٨٨٩، وحديث ١٦٩٧٠) عن عقبة بن عامر، قال: قال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم): «كفارة النذر كفارة اليمين».

وذكر غيره من جميع من تسمّونه شركاء، وتكفّرون به فعل الشّرك الأصغر.

وأما الذّبح:

لغير الله فقد ذكره في المحرّمات، ولم يذكره في المكفّرات، إلّا أنّ ذبح للأصنام، أو لما عبد من دون الله كالشّمس والكواكب. وعده الشيخ تقي الدين في المحرمات الملعون صاحبها كمن غير منار الأرض؛ أو من ضارّ مسلماً، كما يأتي في كلامه إن شاء الله تعالى، وكذلك أهل العلم ذكروا ذلك ممّا أهلّ به لغير الله، ونهوا عن أكله، ولم يكفّروا صاحبه.

وقال الشيخ تقي الدين: كما يفعله الجاهلون بمكّة شرفها الله تعالى، وغيرها من بلاد المسلمين من الذّبح للجن، ولذلك نهى النّبي (صلى الله عليه وسلّم) عن ذبايح الجن..^(١) انتهى.

ولم يقل الشّيخ: من فعل هذا فهو كافر، بل من لم يكفره فهو كافر، كما قُتِم أنتم.

وأما السؤال: من غير الله، فقد فصله الشيخ تقي الدين (رحمه الله) إن كان السّائل يسأل من المسؤول مثل غفران الذّنوب؛ وإدخال الجنة؛ والنّجاة من النار؛ وإنزال المطر؛ وإنبات الشّجر؛ وأمثال ذلك ممّا هو من خصائص الرّبوبية، فهذا شرك وضلال يُستتاب صاحبه، فإن تاب وإلّا قُتل.

^(١) البيهقي في كتابه [السنن] عن الزهري مرسلًا.

ولكن الشخص المعين الذي فعل ذلك لا يكفر حتى تقوم عليه الحجة الذي يكفر تاركها، كما يأتي بيان كلامه في ذلك إن شاء الله تعالى.
فإن قلت: ذكر عنه في الإقناع إنه قال: من جعل بينه وبين الله وسائط يدعوهم ويسألهم ويتوكل عليهم كفر إجماعاً.

قلت: هذا حق ولكنّ البلاء من عدم فهم كلام أهل العلم، لو تأملتم العبارة تأملاً تاماً لعرفتم إنكم تأولتم العبارة على غير تأويلها، ولكن هذا من العجب تتركون كلامه الواضح وتذهبون إلى عبارة مجملة تستنبطون منها ضدّ كلام أهل العلم، وتزعمون إنّ كلامكم ومفهومكم إجماع؟؟!! هل سبقكم إلى مفهومكم من هذه العبارة أحد؟؟!! يا سبحان الله ما تخشون الله.

ولكن: أنظر إلى لفظ العبارة، وهو قوله: يدعوهم ويتوكل عليهم ويسألهم!! كيف جاء بواو العطف، وقرن بين الدّعاء والتوكل والسؤال؟ فإنّ الدّعاء في لغة العرب هو العبادة المطلقة، والتوكل عمل القلب، والسؤال هو الطلب الذي تسمّونه الآن الدّعاء، وهو في هذه العبارة لم يقل «أو سألمهم» بل جمع بين الدّعاء والتوكل والسؤال.

والآن أنتم تكفّرون بالسؤال وحده.. فأين أنتم، ومفهومكم من هذه العبارة، مع أنه (رحمه الله) يبيّن هذه العبارة، وأصلها في مواضع من كلامه.

وكذلك ابن القيم بيّن أصلها، قال الشيخ: «من الصّابئة المشركين ممّن يظهر الإسلام، ويعظّم الكواكب، ويزعم أنه يخاطبها بجوائحه، ويسجد

لها، وينحر ويدعو، وقد صنّف بعض المتتبعين إلى الإسلام في مذهب
المشركين من الصّابئة والمشرّكين البراهمة كتاباً في عبادة الكواكب، وهي
من السّحر الذي عليه الكنعانيون الذي ملوكهم النّماردة الذي بعث الله
الخليل (صلوات الله وسلامه عليه) بالحنفية ملّة إبراهيم، وإخلاص الدين
لله إلى هؤلاء».

وقال ابن القيم: في مثل هؤلاء «يقرّون للعالم صانعاً؛ فاضلاً؛
حكيماً؛ مقدساً عن العيوب والنقائص، ولكن لا سبيل لنا إلى الوجهة إلى
جلاله إلّا بالوساطة، فالواجب علينا أن نتقرّب إليه بتوسّطات
الروحانيات القريبة منه، فنحن نتقرّب إليهم، ونتقرّب بهم، فهم أربابنا
وآلهتنا وشفعاؤنا عند رب الأرباب، وإله الآلهة، فلا نعبدهم إلّا ليقربونا
إلى الله زلفى، فحينئذ نسأل حاجتنا منهم، ونعرض أحوالنا عليهم،
ونصبوا في جميع أمورنا إليهم، فيشفعون إلى إلهنا وإلههم، وذلك لا يحصل
إلّا من جهة الاستمداد بالروحانيات، وذلك بالتضرّع والإبتهال من
الصلوات والزّكوات والذّبايح والقرايين والبحورات، وهؤلاء كفروا
بالأصلين اللذين جاءت بهما جميع الرّسل:

أحدهما: عبادة الله وحده لا شريك له، والكفر بما يعبد من دونه من
إله.

والثاني: الإيمان برسله؛ وبما جاؤا به من عند الله تصديقاً وإقراراً
وإنقياداً..

انتهى كلام ابن القيم، فانظر إلى الوسائط المذكورة في العبارة كيف تحملونها على غير محلها!! ولكن ليس هذا بأعجب من حملكم كلام الله؛ وكلام رسوله؛ وكلام أئمة الإسلام على غير الحمل الصحيح مع خرقكم الإجماع، وأعجب من هذا أنكم تستدلون بهذه العبارة على خلاف كلام من ذكرها، ومن نقلها، ترون بها صريح كلامهم في عين المسألة، وهل عملكم هذا إلا إتياع المتشابه، وترك المحكم. أنقذنا الله وإياكم من متابعة الأهواء.

وأما التبرك والتمسح:

بالقبور وأخذ التراب منها، والطواف بها، فقد ذكره أهل العلم، فبعضهم عدّه في المكروهات، وبعضهم عدّه في الحرّمات، ولم ينطق واحد منهم بأنّ فاعل ذلك مرتدّ كما قلتم أنتم، بل تكفّرون من لم يكفّر فاعل ذلك، فالمسألة المذكورة في [كتاب الجنائز] في «فصل الدفن وزيارة الميت» فإن أردت الوقوف على ما ذكرت لك فطالع [الفروع]^(١) و[الإقناع]^(٢)

(١) كتاب [الفروع على الفقه الحنبلي] وهو: من أعظم ما صنّف في فقه أحمد بن حنبل، وأكثرها وأتمها تحريراً، وأكملها تحقيقاً، كتبه ابن مفلح شمس الدين أبي عبد الله بن مفلح المتوفى سنة (٧٦٣هـ).

راجع: [تصحيح الفروع]: (ج ١/ص ٢٢-٢٣)، و[مدخل ابن بدران]: (ص ٢٢٣). و[البحث الفقهي]: لاسماعيل سالم عبد العال (ص ١٤٥).

(٢) كتاب [الإقناع على الفقه الحنبلي]: بعدما كتب الفروع، كتبه: الحجاوي موسى بن أحمد بن موسى المقدسي المتوفى (٩٦٨هـ).

راجع: [البحث العلمي والدراسات الإسلامية]: (ص ٣٧٦)، و[المدخل] لابن بدران، و[البحث الفقهي]: (ص ١٤٧).

وغيرهما من كتب الفقه.

فإن قدحتم فيمن صنف هذه الكتب، فليس ذلك منكم بكثير، ولكن
ليكن معلوماً عندكم أنّ هؤلاء لم يحكوا مذهب أنفسهم، وإنما حكوا
مذهب أحمد بن حنبل وأحزابه من أئمة أهل الهدى الذين أجمعت الأمة
على هدايتهم ودرايتهم، فإن أبيتم إلاّ العناد، وادّعيتم المراتب العليّة،
والأخذ من الأدلّة من غير تقليد أئمة الهدى، فقد تقدّم أنّ هذا خرق
للإجماع.

فصل:

« الثاني: الجاهل والمخطئ يعذر »

وعلى تقدير هذه الأمور التي تزعمون أنها كفر أعني النذر وما معه
فهنا أصل آخر من أصول أهل السنة، مجمعون عليه كما ذكره الشيخ تقي
الدين؛ وابن القيم عنهم، وهو أنّ الجاهل والمخطئ من هذه الأمة ولو
عمل من الكفر والشرك ما يكون صاحبه مشركاً أو كافراً، أنه يعذر
بالجهل والخطأ حتى تتبين له الحجّة الذي يكفر تاركها بياناً واضحاً ما
يلتبس على مثله، أو ينكر ما هو معلوم بالضرورة من دين الإسلام ممّا
أجمعوا عليه إجماعاً جلياً قطعياً يعرفه كلّ من المسلمين من غير نظر وتأمل،
كما يأتي بيانه إن شاء الله تعالى، ولم يخالف في ذلك إلاّ أهل

البدع.

فإن قلت: قال الله عز وجل: ﴿إِلَّا مَنْ كَفَرَ بِاللَّهِ مِنْ بَعْدِ إِيْمَانِهِ﴾^(١)

الآية نزلت في المسلمين تكلموا بالكفر مكرهين عليه.

قلت: هذا حق، وهي حجة عليكم لا لكم، فإن الذين تكلموا به هو سب رسول الله (صلى الله عليه وسلم) والتبري من دينه، وهذا كفر إجماعاً يعرفه كل مسلم، ومع هذا إن الله عز وجل عذر من تكلم بهذا الكفر مكرهاً ولم يؤاخذه، ولكن الله سبحانه وتعالى كفر من شرح بهذا الكفر صديقاً وهو من عرفه ورضيه واختاره على الإيمان غير جاهل به، وهذا الكفر في الآية مما أجمع عليه المسلمون ونقلوه في كتبهم، وكل من عدّ المكفرات ذكره، وأمّا هذه الأمور التي تكفّرون بها المسلمين فلم يسبقكم إلى التكفير بها أحد من أهل العلم، ولا عدوها من المكفرات بل ذكرها من ذكرها منهم في أنواع الشرك، وبعضهم ذكرها في المحرمات ولم يقل أحد منهم أنّ فعله فهو كافر مرتد، ولا احتجّ عليه بهذه الآية كما احتجتم، ولكن ليس هذا بأعجب من استدلالكم بآيات نزلت في الذين: ﴿إِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ يَسْتَكْبِرُونَ وَيَقُولُونَ إِنَّا لَتَارِكُوا آلِهَتِنَا لِشَاعِرٍ مَجْنُونٍ﴾^(٢).

^(١) سورة النحل: آية (١٠٦) ونعام الآية: ﴿إِلَّا مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالْإِيمَانِ وَلَكِنْ مَنْ شَرَحَ بِالْكُفْرِ صَدْرًا فَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ مِنَ اللَّهِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾.

^(٢) سورة الصافات: آية (٣٥-٣٦).

والذين يقال لهم: ﴿أَنتُمْ لَتَشْهَدُونَ أَنَّ مَعَ اللَّهِ آلِهَةً أُخْرَى﴾ ^(١).
والذين يقولون: ﴿اللَّهُمَّ إِنْ كَانَ هَذَا هُوَ الْحَقُّ مِنْ عِنْدِكَ فَامْطِرْ
عَلَيْنَا حِجَارَةً مِنَ السَّمَاءِ﴾ ^(٢).

والذين يقولون: ﴿أَجْعَلِ الْآلِهَةَ إِلَهًا وَاحِدًا﴾ ^(٣).
ومع هذا تستدلّون بهذه الآيات وتنزلونها على الذين يشهدون أن لا
إله إلا الله وأنّ محمداً رسول الله، ويقولون ما لله من شريك، ويقولون
ما أحد يستحق أن يُعبد مع الله.
فالذي يستدلّ بهذه الآيات على من شهد له رسول الله (صلى الله
عليه وسلّم)، وأجمع المسلمون على إسلامه ما هو بعجيب لو استدلّ
بالآية على مذهبه.

فإن كنتم صادقين فاذكروا لنا من استدلّ بهذه الآية على كفر من
كفرتموه بخصوص الأفعال والأقوال التي تقولون أنّها كفر. ولكن والله ما

^(١) سورة الأنعام: آية (٥١)، وتمام الآية: ﴿قُلْ أَيُّ شَيْءٍ أَكْبَرُ شَهَادَةً قُلْ اللَّهُ
شَهِيدٌ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَأُوحِيَ إِلَيَّ هَذَا الْقُرْآنُ لِأُنذِرَكُمْ بِهِ وَمَنْ بَلَغَ أَنتُمْ لَتَشْهَدُونَ
أَنَّ مَعَ اللَّهِ آلِهَةً أُخْرَى قُلْ لَا أَشْهَدُ قُلْ إِنَّمَا هُوَ إِلَهٌ وَاحِدٌ وَإِنِّي بَرِيءٌ مِّمَّا
تُشْرِكُونَ﴾.

^(٢) سورة الأنفال: آية (٣٢)، وتمام الآية: ﴿إِذْ قَالُوا اللَّهُمَّ إِنْ كَانَ هَذَا هُوَ الْحَقُّ
مِنْ عِنْدِكَ فَامْطِرْ عَلَيْنَا حِجَارَةً مِنَ السَّمَاءِ أَوْ ائْتِنَا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾.

^(٣) سورة ص: آية (٥)، وتمام الآية: ﴿إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ عَجَابٌ﴾.

لكم مثل إلا عبد الملك بن مروان لما قال لابنه^(١): أدع الناس إلى طاعتك فمن قال
عنك برأسه فقل بالسيف على رأسه. هكذا يعني اقطعه، فإننا لله وإنا إليه راجعون.

فصل:

«الثالث: قد يجتمع في المسلم الكفر والنفاق»

وها هنا أصل آخر وهو أن المسلم قد تجتمع فيه المادتان الكفر والإسلام، والكفر والنفاق، والشرك والإيمان^(٢).

^(١) أنظر: [البداية والنهاية]: (ج ٨/ص ٢٨١)، و[تاريخ بغداد]: (ج ١٠/ص ٣٨٩)، و[المنظم في تاريخ الأمم والملوك]: (ج ٦/ص ٣٩)، والطبري في [التاريخ]: (ج ٦/ص ٤٢٣)، و[مروج الذهب]: (ج ٣/ص ١٦٦)، و[البداية والنهاية]: (ج ٩/ص ٧٧).
^(٢) في [صحيح الترمذي]: عن عبد الله بن مسعود قال: قال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم): «إن للشيطان لمة يابن آدم وللملك لمة، فأما لمة الشيطان فإبعاد بالشر وتكذيب بالحق، وأما لمة الملك فإبعاد بالخير وتصديق بالحق...». (حديث ١٩٨٨).

وفي [صحيح البخاري]: عن أبي هريرة قال: قال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم): «لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن، ولا يشرب الخمر حين يشربها وهو مؤمن، ولا يسرق السارق حين يسرق وهو مؤمن، ولا ينتهب نهبة يرفع الناس إليه فيها أبصارهم حين ينتهبها وهو مؤمن» (حديث ٢٤٧٥، وحديث ٥٥٧٨، وحديث ٦٧٧٢)، وأيضاً في [صحيح مسلم]: (حديث ٥٧)، والترمذي: (حديث ٢٦٢٥)، والنسائي في [السنن]: (حديث ٤٨٧٠، وحديث ٤٨٧١، وحديث ٤٨٧٢) و[أبو داود]: (حديث ٤٦٨٩)، وابن ماجه في [السنن]: (حديث ٣٩٣٦)، وأحمد بن حنبل في [المستند]: (حديث ٧٢٧٦، وحديث ٢٧٤١٩)، والدارمي: (حديث ٢١٠٦).
وفي [أبو داود]: عن أبي هريرة قال: قال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم): «إذا زنى الرجل خرج منه الإيمان كان عليه كالظلمة، فإذا انقطع رجع إليه الإيمان» [أبو داود]: (حديث ٤٦٩٠)، والترمذي: (حديث ٣٦٥٣)، والحاكم في [المستدرک]: (حديث ١٠٢٢).

وأنها تجتمع فيه المادتان ولا يكفر كفوفاً ينقل عن الملة كما هو مذهب أهل السنة والجماعة، كما يأتي تفصيله وبيانه إن شاء الله، ولم يخالف في ذلك إلا أهل البدع.

فصل:

« الرابع: خروج الخوارج »

إعلم أنّ أول فرقة فارقت الجماعة الخوارج الذين خرجوا في زمن علي بن أبي طالب (عليه السلام)، وقد ذكرهم رسول الله (صلى الله عليه وسلم) وأمر بقتلهم وقتلهم، وقال: «يمرقون من الإسلام كما يمرق السهم من الرمية أينما لقيتموهم فاقتلوهم»^(١). وقال فيهم: «أنهم كلاب أهل النار»^(٢).

(١) صحيح أخرجه مسلم في [الصحيح]: «كتاب الزكاة» (باب الخوارج شرّ الخلق والخلقة/حديث ١٠٦٨)، والبخاري في [الصحيح]: «استتابة المرتدين» (باب من ترك قتال الخوارج للتألف)، والترمذي في [السنن]: «كتاب الفتن» (باب في صفة المارقة)، وابن الأثير في [جامع الأصول]: (ج ١٠/ص ٩٣/حديث ٧٥٦٠). والنسائي في [السنن]: (حديث ٢٥٧٨، وحديث ٤١٠١)، و[أبو داود]: (حديث ٤٧٦٤)، وابن ماجه: (حديث ١٦٩)، و[أحمد بن حنبل]: (حديث ١٠٦٢٥).

(٢) أخرجه الترمذي في [السنن]: (حديث ٤٠٨٦) عن حماد بن سلمه مختصراً، وابن أبي شيبة: (ج ١٥/ص ٣٠٧، وص ٣٠٨)، والطبراني في [الكبير]: (ج ٨/ص ١٦٧/حديث ١٠٣٤، وص ٢٦٩/حديث ٨٠٣٦). وابن ماجه في [السنن]: (حديث ١٧٦) عن أبي أمامة الباهلي.

وقال: «أنهم يقتلون أهل الإسلام»^(١).

وقال: «شر قتلى تحت أديم السماء»^(٢).

وقال: «يقرؤون القرآن يحسبونه لهم، وهو عليهم»^(٣).

إلى غير ذلك مما صحَّ عن رسول الله (صلى الله عليه وسلم) فيهم، وهؤلاء خرجوا في زمن علي بن أبي طالب (رضي الله عنه)، وكفّروا علياً، وعثمان، ومعاوية، ومن معهم، واستحلّوا دماء المسلمين وأموالهم، وجعلوا بلاد المسلمين بلاد حرب، وبلادهم هي بلاد الإيمان، ويزعمون أنّهم أهل القرآن، ولا يقبلون من السنّة إلّا ما وافق مذهبهم، ومن خالفهم وخرج عن ديارهم فهو كافر، ويزعمون أنّ علياً والصّحابة (رضي الله عنهم) أشركوا بالله ولم يعلموا بما في القرآن بل هم على زعمهم الذين عملوا به، ويستدلّون لمذهبهم بمتشابه القرآن، وينزلون الآيات التي نزلت في المشركين المكذّبين في أهل الإسلام.

^(١) [جامع الأصول في أحاديث الرسول]: (ج ١٠/ص ٨٥/حديث ٧٥٥٣). ومسلم في [الصحيح]: (حديث ١٠٦٤)، والنسائي في [السنن]: (حديث ٢٥٧٨)، و[أبو داود]: (حديث ٤٧٦٤)، وأحمد بن حنبل في [المسند]: (حديث ١١٢٥٤) عن أبي سعيد الخدري، وابن ماجّة في [السنن]: (حديث ١٧٦)، والترمذي في [السنن]: (حديث ٣٠٠٠) عن أبي أمامة الباهلي.

^(٢) الطبراني في [الكبير]: (ج ٨/ص ٢٦٩/حديث ٨٠٣٨، وص ٢٧١/حديث ٨٠٤٤/حديث ١٨٠٤٠/وص ٢٦٧/حديث ٨٠٣٤) عن أبي أمامة وأبو غالب.

^(٣) [صحيح مسلم]: (ج ٨/ص ١٨٠)، والحاكم في [المستدرک]: (ج ٢/ص ١٤٨)، والهيتمي في [مجمع الزوائد]: (ج ٦/ص ٣٥٨/حديث ١٠٤٤٦، وحديث ١٤٤٨/ص ٣٥٩)، والكنجي الشافعي في [كفاية الطالب]: (ص ١٧٦).

هذا وأكابر الصّحابة عندهم ويدعونهم إلى الحق، وإلى المناظرة، وناظرهم ابن عباس (رضي الله عنهما)، ورجع منهم إلى الحق أربعة آلاف، ومع هذه الأمور الهائلة، والكفر الصّريح الواضح، وخروجهم عن المسلمين قال لهم علي (عليه السلام): « لا نبدؤكم بقتال؛ ولا نمنعكم عن مساجد الله أن تذكروا فيها اسمه ولا نمنعكم من الفيء ما دامت أيديكم معنا »^(١).

ثم إنّ الخوارج اعتزلوا وبدؤوا المسلمين الإمام ومن معه بالقتال، فسار علي (عليه السلام) وجرى على المسلمين منهم أمور هائلة، يطول وصفها، ومع هذا كلّهم لم يكفّروهم الصّحابة؛ ولا التابعون؛ ولا أئمة الإسلام، ولا قال لهم علي ولا غيره من الصّحابة قامت عليكم الحجّة وبينا لكم الحقّ. قال الشيخ تقي الدين: لم يكفّروهم علي، ولا أحد من الصّحابة، ولا أحد من أئمة أهل الإسلام.. انتهى.

فانظر (رحمك الله) إلى طريقة أصحاب رسول الله (صلى الله عليه وسلم) في الإحجام عن تكفير من يدّعي الإسلام، هذا وهم الصّحابة (رضي الله عنهم) الذين يرون الأحاديث عن رسول الله (صلى الله عليه وسلم) فيهم.

قال الإمام أحمد: صحّت الأحاديث عن رسول الله (صلى الله عليه وسلم) من عشرة أوجه..

^(١) [المنتظم في تاريخ الأمم والملوك]: (ج ٥/١٣٥) « في أحداث سنة ٣٧ هجري ».

قال أهل العلم: كلّها خرّجها مسلم في [صحيحه] ^(١).

فانظر إلى هدى أصحاب رسول الله (صلى الله عليه وسلم)، وأئمة المسلمين لعلّ الله يهديك إلى إتباع سبيل المؤمنين، وينبئك من هذه البلية التي تزعمون الآن أنّها السنّة، وهي والله طريقة القوم لا طريقة علي ومن معه، رزقنا الله إتباع آثارهم.

فإن قلت: علي نفسه قتل الغالية بل حرّقهم بالنار ^(٢)، وهم مجتهدون، والصّحابة قاتلوا أهل الرّدّة.

قلت: هذا كلّه حق، فأما الغالية فهم مشركون زنادقة أظهروا الإسلام تلبساً حتى أظهروا الكفر، ظهوراً جلياً لا لبس فيه على أحد، وذلك أنّ علياً (رضي الله عنه) لما خرج عليهم من باب كندة سجدوا له، فقال لهم: ما هذا؟ قالوا له: أنت الله. فقال لهم: أنا عبد من عباد الله. قالوا: بل أنت هو الله.

^(١) [صحيح مسلم]: (ج ٨/ص ٨٠)، والهيثمى في [مجمع الزوائد]: (ج ٦/ص ٣٥١-صفحة ٣٦٤)، وأحمد بن حنبل في [المسند]: (ج ٥/ص ٤٥٦)، والطبراني في [الكبير]: (حديث ٢٦٩١)، والبزار في [المسند]: (حديث ١٨٤٩)، والنسائي في [الخصائص]: (ص ٣٢٦)، والسبط ابن الجوزي في [تذكرة الخواص]: (ص ١٩٩).

^(٢) [مناقب أمير المؤمنين (عليه السلام) من الرياض النضرة] لمحّب الدين الطّبري (ص ٢٢٤/حديث ٣١٩)، وأحمد بن حنبل في [الفضائل]: (ج ٢/ص ٦٦٤/حديث ٩٨٩).

فاستتابهم، وعرضهم على السيف، وأبوا أن يتوبوا فأمر بجذّ الأخاديد في الأرض، وأضرّم فيها النّار، وعرضهم عليها، وقال لهم: إن لم تتوبوا قذفتكم فيها، فأبوا أن يتوبوا، بل يقولون له: أنت الله. فقذفهم بالنّار فلما أحسّوا بالنّار تحرقهم قالوا: الآن تحقّقنا أنّك أنت الله لأنّ ما يعذب بالنّار إلا الله.

فهذه قصة الزنادقة الذين حرقهم علي (عليه السلام)، ذكرها العلماء في كتبهم، فإن رأيتم من يقول لمخلوق هذا هو الله فحرّقوه، وإلاّ فاتّقوا الله ولا تلبسوا الحقّ بالباطل، وتقيسوا الكافرين على المسلمين بآرائكم الفاسدة ومفاهيمكم الواهية!!..

فصل:

«الخامس: في قتال أهل الرّدة»

وأما قتال الصّدّيق والصّحابة (رضي الله عنهم) أهل الرّدة، فاعلم أنّه لما توفي رسول الله (صلى الله عليه وسلم) ولم يبق على الإسلام إلاّ أهل المدينة؛ وأهل مكة؛ والطائف؛ وجواثا قرية من قرى البحرين، وأخبار الرّدة طويلة تختمل مجلّد، ولكن نذكر بعضاً من ذلك من كلام أهل العلم ليتيسّر لكم ما أنتم عليه، وأنّ استدلالكم بقصّة أهل الرّدة كاستدلالكم الأول.

قال الإمام أبو سليمان الخطابي^(١) (رحمه الله) مما يجب أن يعلم أن أهل الردّة كانوا أصنافاً: صنف إرتدّوا عن الإسلام ونبذوا الملة وعادوا إلى الكفر الذي كانوا عليه من عبادة الأوثان.

وصنف إرتدّوا عن الإسلام وتابعوا مسيلمة وهم بنو حنيفة وقبائل غيرهم صدقوا مسيلمة ووافقوه على دعواه النبوة، وصنف إرتدّوا ووافقوا الأسود العنسي وما ادّعاه من النبوة باليمن.

وصنف صدقوا طليحة الأسدي وما ادّعاه من النبوة وهم غطفان وفزارة ومن والاهم، وصنف صدقوا سجّاح فهؤلاء كلّهم مرتدّون منكرون لنبوة نبينا (صلى الله عليه وسلم) تاركون للزكاة والصّلاة وسائر شرائع الإسلام، ولم يبق من يسجد لله في بسيط الأرض إلاّ مسجد المدينة ومكة وجواثا قرية في البحرين.

وصنف آخر وهم الذين فرّقوا بين الصّلاة والزكاة ووجوب أدائها إلى الإمام وهؤلاء على الحقيقة أهل بغي، وإنما لم يدعوا بهذا الاسم في ذلك

^(١) هو: أحمد بن محمد؛ بن إبراهيم؛ بن الخطّاب الخطابي؛ البستي؛ من ولد زيد بن الخطّاب، أخي عمر بن الخطّاب أبو سليمان، محدث، لغوي، فقيه، أديب، ولد وتوفي ببست في رباط على شاطئ هندمند من تصانيفه:

١- [معالم السنن في كتاب السنن] لأبي داود. ٢- [غريب الحديث]. ٣- [شرح البخاري]. ٤- [أعلام الحديث]. ٥- [إصلاح الغلط].

توفي ببست في رباط سنة (٣٨٨هـ). أنظر: [الوافي]: (ج ٦/ص ١٢٤)، [معجم الأدباء]: (ج ٤/ص ٢٤٦)، [الباب]: (ج ٢/ص ١٢٣، و ص ٣٧٨)، [مرآة الجنان]: (ج ٢/ص ٤٣٥).

الزّمان خصوصاً لدخولهم في غمار أهل الرّدة، فأضيف الاسم إلى الرّدة كانت أعظم الأمرين وأهمهما، وأرخ قتال أهل البغي من زمن علي بن أبي طالب (عليه السلام) إذ كانوا منفردين في زمانه، لم يختلطوا بأهل الشّرك.

وفي أمر هؤلاء عرضوا الخلاف، ووقعت الشبهة لعمر حين راجع أبو بكر وناظره واحتج بقوله (صلى الله عليه وسلم): «أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا إله إلاّ الله فمن قال لا إله إلاّ الله عصم ماله ونفسه»^(١). إلى أن قال (رحمه الله): وقد بينّا أنّ أهل الرّدة كانوا أصنافاً منهم من ارتدّ عن الملة ودعى إلى نبوة مسيلمة وغيره، ومنهم من أنكر الشّرائع كلّها وهؤلاء هم الذين سبّاهم الصّحابة (رضي الله عنهم) كفاراً. وكذلك رأى أبو بكر سبي ذراريهم وساعده على ذلك أكثر

^(١) [صحيح البخاري]: (حديث ١٣٣٩، وحديث ١٤٥٦، وحديث ١٤٥٧)، وأحمد بن حنبل في [المسند]: (ج ١/ص ٢٧٠، وص ٢٧١/حديث ١١٧) عن أبي هريرة، و[البيهقي]: (ج ٤/ص ١٠٤)، والنسائي في [السنن]: (ج ٦/ص ٥- وج ٧/ص ٧٨)، وابن حبان في [الصحيح]: (حديث ٢١٦).

ومسلم في [الصحيح]: (حديث ٢٠)، والترمذي في [الصحيح]: (حديث ٢٦٠٧)، وأبو داود في [السنن]: (حديث ١٥٥٦)، والطيالسي: (حديث ١١٠٩)، و[ابن ماجة]: (حديث ٣٩٢٩)، و[الدارمي]: (حديث ٢٤٥٠).

و[مسند الشهاب]: (حديث ٥٠٨)، والطبراني في [الكبير]: (ج ١/ص ٢١٧/حديث ٥٩٢- وج ٢/حديث ١١٥- وج ٦/حديث ٥٧٤٦- وج ٨/حديث ٨١٩١).

الصَّحَابَةُ.

ثم لم ينقض عصر الصَّحَابَةِ حتى أجمعوا أنَّ المرتدَّ لا يسبى، فأما مانع الزَّكَاةِ منهم المقيمون على أصل الدين فإنهم أهل بغي ولم يسمّوا أهل شرك أو فهم كفار، وإن كانت الردّة أضيفت إليهم لمشاركتهم للمرتدّين في بعض ما منعه من حقّ الدّين، وذلك أنَّ الردّة إسم لغوي، وكلّ من انصرف عن أمر كان مقبلاً عليه، فقد ارتدّ عنه، وقد وجد من هؤلاء القوم الإنصراف عن الطّاعة ومنع الحق، وانقطع عنهم إسم الثّناء والمدح، وعلّق عليهم الإسم القبيح لمشاركتهم القوم الذين كانوا ارتدّوا حقاً.

إلى أن قال: فإن قيل: «وَهَلْ إِذَا أَنْكَرَ طَائِفَةٌ فِي زَمَانِنَا فَرَضَ الزَّكَاةَ وَامْتَنَعُوا مِنْ أَدَائِهَا يَكُونُ حُكْمُهُمْ حُكْمَ أَهْلِ الْبَغْيِ».

قلنا: لا فإنّ من أنكر فرض الزَّكَاةِ في هذه الأزمان كان كافراً بإجماع المسلمين على وجوب الزكاة، فقد عرفها الخاص والعام، واشترك فيها العالم والجاهل فلا يعذر منكره.

وكذلك الأمر في كلّ من أنكر شيئاً مما اجتمعت عليه الأُمة من أمور الدّين، إذا كان علمه منتشرّاً كالصلّوات الخمس، وصوم شهر رمضان، والإغتسال من الجنابة، وتحريم الرّبا، والخمر، ونكاح المحارم، ونحوها من الأحكام، إلّا أن يكون رجلاً حديث عهد بالإسلام، ولا يعرف حدوده فإنه إن أنكر شيئاً منها جاهلاً به لم يكفر، وكان سبيله سبيل أولئك القوم في بقاء الاسم عليه.»

فأما ما كان الإجماع معلوماً فيه من طريق علم الخاصة، كتحرّيم

نكاح المرأة على عمّتها وخالتها، وأنّ القاتل عمداً لا يرث، وأنّ للجدّ السُّدس، وما أشبه ذلك من الأحكام، فإنّ من أنكرها لا يكفر بل يعذر فيها لعدم استفادة علمها في العامة..». انتهى كلام الخطابي.

وقال صاحب [المفهم]^(١): قال أبو إسحق: لما قبض رسول الله (صلى الله عليه وسلم) ارتدّت العرب إلّا أهل ثلاثة مساجد: مسجد المدينة، ومسجد مكة، ومسجد جوثا.. انتهى.

فهذا شيء ممّا ذكره بعض أهل العلم في أخبار الرّدّة وتفصيلها يطول، ولكن قد تقدّم أنّ مثلكم، أو من هو أجلّ منكم لا يجوز له الإستنباط ولا القياس، ولا يجوز لأحد أن يقلّده بل يجب على من لم يبلغ رتبة المجتهدين أن يقلّدهم، وذلك بالإجماع، ولكن ليكن عندكم معلوماً أنّ من خرج عن طاعة أبي بكر الصديق في زمانه فقد خرج عن الإجماع القطعي لأنه ومن معه هم أهل العلم وأهل الإسلام، وهم المهاجرون والأنصار الذين أثنى الله عليهم في كتابه، وإمامة أبي بكر إمامة حق جميع شروط الأمة

(١) إشارة الى كتاب [المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم]: لمؤلفه أبي العباس أحمد بن عمر القرطبي.

مجتمعة فيه^(١)، فإن كان اليوم فيكم مثل أبي بكر والمهاجرين والأنصار والأمة مجتمع على إمامة واحد منكم فقيسوا أنفسكم بهم، وإلا فبالله عليكم استحيوا من الله، ومن خلقه، واعرفوا قدر أنفسكم، فرحم الله من عرف قدر نفسه، وأنزلها منزلتها، وكف شره عن المسلمين، واتبع سبيل المؤمنين، قال الله تعالى: ﴿وَمَنْ يَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّى وَنُصْلِهِ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيرًا﴾^(٢).

(١) ادعاء الاجماع هذا غير صحيح، لأنه هناك من تخلف عن بيعة أبو بكر، مثل علي بن أبي طالب (عليه السلام) وطلحة والزبير والمقداد وعمار وأبو ذر والهاشميين وسعد بن عباد، وكان سعد لا يصلي بصلاتهم، ولا يصوم بصيامهم، وإذا حج لم يفيض بإفاضتهم، فلم يزل كذلك حتى توفي أبو بكر وولي عمر، فلم يلبث إلا يسيراً حتى خرج إلى بلاد الشام، فمات ببحوران في أول خلافة عمر، ولم يسابع أحداً، فإدعاء المؤلف الإجماع باطل.

أنظر: [السيرة النبوية وأخبار الخلفاء]: (ص ٤٢٦)، وقال: إلا شردمة مع علي ابن أبي طالب تخلفوا عن بيعته. و[المنتظم في تاريخ الأمم والملوك]: (ج ٤/ص ٦٧ و ٦٨).

(٢) سورة النساء: آية (١١٥)، وتام الآية: ﴿وَمَنْ يَشَاقِقِ الرَّسُولَ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدَى وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّى وَنُصْلِهِ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيرًا﴾.

فصل:

« السادس : فرقة القدريّة »

كما تقدّم الكلام على الخوارج، وذكر مذهب الصّحابة، وأهل السنة فيهم، وأنّهم لم يكفّروهم كفراً يخرج من الإسلام، مع ما فيهم بأنّهم كلاب أهل النار، وأنّهم يمرقون من الإسلام.

ومع هذا كلّهم لم يكفّرهم الصّحابة لأنّهم منتسبون إلى الإسلام الظاهر، وإن كانوا مخّلين بكثير منه لنوع تأويل.

وأنتم اليوم تكفّرون من ليس فيه خصلة واحدة ممّا في أولئك، بل الذين تكفّرونهم اليوم، وتستحلّون دماءهم؛ وأموالهم؛ وعقايدهم عقايد أهل السنّة والجماعة الفرقة الناجية جعلنا الله منهم.

ثم خرّجت بدعة القدريّة^(١)، وذلك في آخر زمن الصّحابة، وذلك أنّ القدريّة فرقتان: فرقة أنكرت القدر رأساً، وقالوا أنّ الله يقدر المعاصي على أهلها، ولا هو يقدر ذلك ولا يهدي الضال، ولا هو يقدر على ذلك، والمسلم عندهم هو الذي جعل نفسه مسلماً، وهو الذي جعل

(١) أنظر: أبو داود (حديث ٤٦٩٢)، و[أحمد بن حنبل]: (حديث ٢٢٩٤٦)، والبيهقي في [السنن]: (ج ١٠/ص ٢٠٥) عن عبد الله بن عمر والحاكم في [المستدرک]: (ج ١/ص ٨٥)، وابن حبان في [الصحيح]: (حديث ١٨٢٥) عن عمر بن الخطاب.

نفسه مصلياً، وكذلك سائر الطاعات والمعاصي، بل العبد هو الذي خلقها بنفسه، وجعلوا العبد خالقاً مع الله، والله سبحانه عندهم لا يقدر يهدي أحداً، ولا يقدر يضلّ أحداً، إلى غير ذلك من أقوالهم الكفرية تعالى الله عما يقول أشباه المجوس علواً كبيراً^(١).

الفرقة الثانية من القدرية من قابل هؤلاء وزعم أنّ الله جبر الخلق على ما عملوا، وأنّ الكفر والمعاصي في الخلق كالبياض والسواد في خلق الآدمي ما للمخلوق في ذلك صنع، بل جميع المعاصي عندهم تضاف لله، وإمامهم في ذلك إبليس حيث قال: ﴿فبما أغويتني﴾^(٢).

وكذلك المشركون الذين قالوا: ﴿لو شاء الله ما أشركنا ولا آباؤنا﴾^(٣). إلى غير ذلك من قبائحهم وكفرياتهم التي ذكرها عنهم أهل العلم في كتبهم كالشيخ تقي الدين، وابن القيم، ومع هذا الكفر العظيم

^(١) عن عبد الله بن عمر: إنّ رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) قال: «القدرية مجوس هذه الأمة، إن مرضوا فلا تعودوهم وإن ماتوا فلا تشهدوهم». وعن ابن عباس: إنّ النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) قال: «لا تجالسوا أهل القدر ولا تفتاحوهم».

وعنه، قال: قال النبي (صلى الله عليه وآله وسلم): «صنفان من أمّتي ليس لهما في الإسلام نصيب: المرجئة والقدرية». أنظر: [جامع الأصول]: (ج ١٠/ص ٥٢٦)، و[سنن] أبي داود: (ج ٤/ص ٢٢٢/حديث ٦٤٩١)، و[سنن الترمذي]: (ج ٤/حديث ٢١٤٩)، و[الملل والنحل]: (ج ١/ص ١١١، و١١٢).

^(٢) سورة الأعراف: آية (١٦) وتام الآية: ﴿لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَاطَكَ الْمُسْتَقِيمَ﴾.

^(٣) سورة الأنعام: آية (١٤٨)، وتام الآية: ﴿سَيَقُولُ الَّذِينَ أَشْرَكُوا لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَشْرَكْنَا وَلَا آبَاؤُنَا وَلَا حَرَمْنَا مِنْ شَيْءٍ كَذَلِكَ كَذَّبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ حَتَّى ذَاقُوا بَأْسَنَا قُلْ هَلْ عِنْدَكُمْ مِنْ عِلْمٍ فَتُخْرِجُوهُ لَنَا إِنْ تَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَإِنْ أَنْتُمْ إِلَّا تَخْرُصُونَ﴾.

والضلالة خرج أوائل هؤلاء في زمن الصحابة (رضي الله عنهم) كإبن عمر؛ وإبن عباس؛ وأجلاء التابعين، وقاموا في وجوه هؤلاء وبيّنوا لهم ضلالهم من الكتاب والسنة، وتبرء منهم من عندهم من الصحابة (رضي الله عنهم)، وكذلك التابعون وصاحوا بهم كلّ فجّ، ومع هذا الكفر العظيم أهائل لم يكفّرهم الصحابة، ولا من بعدهم من أئمة أهل الإسلام، ولا أوجبوا قتلهم، ولا أجروا عليهم أحكام أهل الردّة، ولا قالوا قد كفرتم حيث خالفتمونا لأننا لا نتكلم إلّا بالحق، وقد قامت عليكم الحجة ببياننا لكم كما قلتم أنتم..

هذا ومن الرادّ عليهم، والمبين ضلالهم الصحابة والتابعون الذين لا يقولون إلّا حقاً، بل كبير هؤلاء من أئمة دعائهم قتلوه الأمراء... وذكر أهل العلم إنه قتل حداً كدفع الصائل^(١) خوفاً من ضرره، وبعد قتله غسل وصلى عليه، ودفن في مقابر المسلمين، كما يأتي إن شاء الله ذكره في كلام الشيخ تقي الدين.

فصل:

« السّابع: المعتزلة »

(١) الصائل هو: السّاطي العاتي الجائر الذي يتناول على الناس. [الصّاح في اللغة والأعلام]: (ج ١/ص ٧٠٠) « مادة: صؤل ».

الفرقة الثالثة من أهل البدع المعتزلة^(١) الذين خرجوا في زمن التابعين،
وأثروا من الأقوال والأفعال الكفرية ما هو مشهور.
منها: القول بخلق القرآن.

ومنها: إنكار شفاعة النبي (صلى الله عليه وسلم) لأهل المعاصي.
ومنها: القول بخلود أهل المعاصي في النار، إلى غير ذلك من قبائحهم
وفضائحهم التي نقلها أهل العلم عنهم.

ومع هذا فقد خرجوا في زمن التابعين ودعوا إلى مذهبهم، وقام في
وجوههم العلماء من التابعين ومن بعدهم، وردّوا عليهم وبيّنوا باطلهم من
الكتاب، والسنة، وإجماع علماء الأمة، وناظروهم أتم المناظرة، ومع هذا
أصروا على باطلهم ودعوا إليه، وفارقوا الجماعة، فبدعهم العلماء
وصاحوا بهم، ولكن ما كفّروهم ولا أجروا عليهم أحكام أهل الردّة بل
أجروا عليهم هم وأهل البدع قبلهم أحكام الإسلام من التوارث؛
والتناكح؛ والصلاة عليهم؛ ودفنهم في مقابر المسلمين.

(١) المعتزلة: طائفة من العدلية، نشأت في أوائل القرن الثاني الهجري، ويرجع أصلها
إلى «واصل بن عطاء» تلميذ الحسن البصري، ولهم منهج كلامي خاص وأصول
معينة اتفقوا عليها، ومدرسة فكرية وعقلية، أعطت للعقل القسط الأوفر والسّهم
الأكبر حتّى فيما لا سبيل له للقضاء فيه، ولها من نتائج الفكر والمعرفة ما شهد له
التاريخ، ودلّت عليه كتبهم ورسائلهم الباقية.

وما نقله عنهم خصومهم وأعداؤهم، وبإختصار إنّ مذهب فكري كبير يزخر
بمعارف حول المبدأ والمعاد.

ولم يقولوا لهم أهل العلم من أهل السنة قامت عليكم الحجّة حيث بينا لكم لأننا لا نقول إلاّ حقاً، فحيث خالفتمونا كفرتم وحلّ مالكم؛ ودمائكم، وصارت بلادكم بلاد حرب، كما هو الآن مذهبك!! أفلا يكون لكم في هؤلاء الأمّة عبرة فترتدعون عن الباطل وتفيئون إلى الحق.

فصل:

« الثامن: فرقة المرجئة »

ثم خرج بعد هؤلاء المرجئة^(١) الذين يقولون: الإيمان قول بلا عمل،

(١) المرجئة: على وزن المرجعة بصيغة الفاعل من أرجأ الأمر: أخره. قال في [اللسان]: أرجأت الأمر وأرجيته: إذا أخرته. وقرئ أرجه، وأرجئة، قال تعالى: ﴿ترجي من تشاء منهمنّ وتؤوي إليك من تشاء﴾ (الأحزاب: آية ٥١)، والإرجاء: التأخير، والمرجئة صنف من المسلمين، والنسبة إليه مرجئيّ مثال مرجعي. [لسان العرب]: «مادة رجأ».

وطال التشاجر في معنى الإيمان في العصر الأول، وحدثت آراء وأقوال حول حقيقته بين الخوارج والمعتزلة، فذهبت المرجئة إلى أنه عبارة عن مجرد الإقرار بالقول واللسان وإن لم يكن مصاحباً للعمل، فأخذوا من الإيمان جانب القول، وطرحوا جانب العمل، فكأنهم قدّموا الأوّل وأخروا الثاني واشتهروا بمقولتهم: «لا تضرّ مع الإيمان معصية كما لا تنفع مع الكفر طاعة».

وقالوا: مرتكب الذنوب، صغيرها وكبيرها، مؤمناً حتى تارك الصلّاة والصّوم، وشارب الخمر، ومقترب الفحشاء.

أنظر: [الفرق بين الفرق]: (ص ٢٠٢)، و[بحوث في الملل والنحل]: (ج ٣/ص ٧٣ و٧٤).

فمن أقرّ عندهم بالشهادتين فهو مؤمن كامل الإيمان، وإن لم يصلّ لله ركعة طول عمره، ولا صام يوماً من رمضان، ولا أدّى من زكاة ماله، ولا عمل شيئاً من أعمال الخير، بل من أقرّ بالشهادتين فهو عندهم مؤمن كامل الإيمان، كإيمان جبريل وميكائيل والأنبياء، إلى غير ذلك من أقوالهم القبيحة التي إبتدعوها في الإسلام.

ومع أنه صاح بهم أئمة أهل الإسلام وبتّعوهم وضلّلوهم وبيّنوا لهم الحق من الكتاب والسنة وإجماع أهل العلم من أهل السنة من الصحابة، فمن بعدهم، أبوا إلا التّماذي على ضلالهم ومعاندتهم لأهل السنة، متمسّكين هم ومن قبلهم من أهل البدع بمتشابه من الكتاب والسنة.

ومع هذه الأمور الهائلة فيهم لم يكفّروهم أهل السنة، ولا سلّكوا مسلّكهم فيمن خالفكم، ولا شهدوا عليهم بالكفر، ولا جعلوا بلادهم بلاد حرب، بل جعلوا الأخوة الإيمانية ثابتة لهم ولمن قبلهم من أهل البدع، ولا قالوا لهم كفرتم بالله ورسوله لأنّا بيّنا لكم الحقّ فيجب عليكم اتباعنا لأنّا بمنزلة الرسول، من خطأنا فهو عدو الله ورسوله، كما هو قولكم اليوم فإنّا لله وإنّا إليه راجعون.

فصل:

«التاسع: فرقة الجهمية»

ثم حدث بعد هؤلاء الجهمية^(١) الفرعونية الذين يقولون: ليس على العرش إله يعبد، ولا لله في الأرض من كلام، ولا عرج بمحمد (صلى الله عليه وسلم) لرّبه، وينكرون صفات لله سبحانه التي أثبتّها لنفسه في كتابه، وأثبتّها رسوله (صلى الله عليه وسلم)، وأجمع على القول بها الصحابة من بعدهم، وينكرون رؤية الله سبحانه في الآخرة، ومن وصف الله سبحانه بما وصف به نفسه، ووصف به رسوله (صلى الله عليه وسلم) فهو عندهم كافر، إلى غير ذلك من أقوالهم وأفعالهم التي هي غاية الكفر، حتى أنّ أهل العلم سّمّوهم الفرعونية تشبيهاً لهم بفرعون حيث أنكر الله سبحانه.

(١) الجهمية وسمايتها: الجبر والتعطيل، ومؤسّسها جهم بن صفوان السمرقندي المتوفى سنة (١٢٨هـ). قال الذهبي: «جهم بن صفوان، أبو مخرز السمرقندي الضّالّ المبتدع، رأس الجهمية، هلك في زمان صغار التابعين، وما علمته روى شيئاً، لكنّه زرع شراً عظيماً» [ميزان الاعتدال]: (ج ١/ص ٤٢٦) رقم الترجمة: (١٥٨٤). وقال المقرئزي: «الجهمية أتباع جهم بن صفوان الترمذي مولى راسب، وقتل في آخر دولة بني أمية، وهو:

١. ينفي الصفات الإلهية كلّها، ويقول: لا يجوز أن يوصف البارئ بصفة يوصف بها خلقه.

٢. أنّ الإنسان لا يقدر على شيء ولا يوصف بالقدرة، ولا الإستطاعة.

٣. أنّ الجنّة والنّار يفتنان، وتنقطع حركات أهلها. [الخطط]: للمقرئزي (ج ٣/ص ٣٤٩).

أقول: قاعدة مذهبه أمران: الأول الجبر ونفي الإستطاعة والقدرة. الثاني: تعطيل ذاته سبحانه عن التّوصيف بصفات الكمال والجمال، ومن هنا نجمت المعطلة.

ومع هذا فرد عليهم الأئمة، ويبنوا بدعتهم وضلالهم، وبدعوهم وفسقوهم، وجعلوهم أكفر ممن قبلهم من أهل البدع، وأقلّ تثباً بالشريعات، وقالوا عنهم أنهم قدّموا عقولهم على الشرعيات.

وأمر أهل العلم بقتل بعض دعائهم كالجعد بن درهم؛ وجهم بن صفوان، وبعد أن قتلوا غسلوهم وصلّوا عليهم، ودفنوه مع المسلمين، كما ذكر ذلك الشيخ تقي الدين، ولم يجروا عليهم أحكام أهل الردّة كما أجريتم أحكام أهل الردّة على من لم يقل أو يفعل عشر معشار ما قالوا هؤلاء أو فعلوا، بل والله كفرتم من قال الحقّ الصّرف حيث خالف أهواءكم. وإنما لم أذكر فرقة الرافضة^(١) لأنهم معروفون عند الخاصّ والعام، وقبائحهم مشهورة.

(١) الرّفّض: بمعنى التّرك. قال ابن منظور في [اللسان]: «الرّفّض تركك الشّيء، تقول: رّفّضني رّفّضته، رّفّضت الشّيء أرفّضه رّفّضاً: تركه وفرّقه، والرّفّض: الشّيء المتفرّق، والجمع: أرفاض». [لسان العرب]: (ج ٧/ص ١٥٧) «مادة رّفّض».

هذا هو المعنى اللغوي، وأمّا حسب الاصطلاح في الأعصار المتأخرة فهو يطلق على مطلق محبي أهل البيت تارة، أو على شيعتهم تارة أخرى، أو على طائفة خاصة منهم ثالثة، وعلى كلّ تقدير فهذا الاصطلاح اصطلاحي سياسي أطلق على هذه الطائفة، وهو موضوع لا كلام فيه، إنّما الكلام في وجه التسمية ومبدأ نشوئها، فإننا نرى ابن منظور يقول في وجه التسمية: «الروافض: جنود تركوا قائدهم وانصرفوا، فكلّ طائفة منهم رافضة والنسبة إليهم رافضي، والروافض قوم من الشيعة سمو بذلك لأنهم تركوا زيد بن علي. قال الأصمعي: كانوا قد بايعوا زيد بن علي ثم قالوا له: ابرأ من الشيخين نقاتل معك، فأبى فرفضوه وتفرقوا عنه فسموا رافضة. [الفرق بين الفرق]: (ص ٣٥).

ومن هؤلاء الفرق الذين ذكرنا تشعبت الشتان والسبعون فرقة أهل الضلالة المذكورون في السنة، في قوله (عليه الصلاة والسلام): «تفترق هذه الأمة على ثلاث وسبعين فرقة وما سوى الثنتين والسبعين»^(١). وهي الثالثة والسبعون هم الفرقة الناجية أهل السنة والجماعة من أصحاب رسول الله (صلى الله عليه وسلم)، وإلى آخر الدهر، وهي التي لا تزال قائمة على الحق رزقنا الله إتباعهم بحوله وقوته.

وكلما ذكرت من أخبار هذه الفرقة فإنما أخذته من كتب أهل العلم، وأكثر ما نقل عن ابن تيمية وابن القيم.

فصل:

« العاشر: عدم تكفير السلف للجهمية »

^(١) صحيح أخرجه الألباني في [سلسلة الأحاديث الصحيحة]: (حديث ١٤٩٢)، وابن ماجه في [السنن]: (حديث ٣٩٩٣)، و[جامع الأصول]: (ج ١٠/ص ٣٣/حديث ٧٤٩٠، وحديث ٧٤٩١)، وأبو داود في [السنن] «باب شرح السنة» (حديث ٤٥٩٦).

والحاكم في [المستدرك]: (ج ٣/ص ٥٤٧) عن عوف بن مالك، وابن أبي عاصم في [السنة]: (ج ٢/ص ٣٢) «باب فيما أخبر به النبي (صلى الله عليه وسلم) أن أمته تفرق على إثنين وسبعين فرقة وذمه الفرق إلا واحدة» (حديث ٦٣، وحديث ٦٤، وحديث ٦٥). و[الدارمي]: (حديث ٢٥١٨).

وها أنا أذكر لك شيئاً مما ذكر أهل العلم من أنّ مذهب السلف عدم القول بتكفير هؤلاء الفرق الذين تقدّم ذكرهم:

قال الشيخ تقي الدين^(١) في [كتاب الإيمان]: لم يكفر الإمام أحمد الخوارج؛ ولا المرجئة؛ ولا القدرية؛ وإنما المنقول عنه وعن أمثاله تكفير الجهمية، مع أنّ أحمد لم يكفر أعيان الجهمية، ولا كلّ من قال أنا جهمي كفره، بل صلى خلف الجهمية الذين دعوا إلى قولهم وامتنحوا الناس، وعاقبوا من لم يوافقهم بالعقوبات الغليظة، ولم يكفرهم أحمد وأمثاله بل كان يعتقد إيمانهم وإمامتهم، ويدعوا لهم ويرى لهم الإتمام بالصلاة خلفهم، والحج، والغزو معهم، والمنع من الخروج عليهم بما يراه لأمثالهم من الأئمة، وينكر ما أحدثوا من القول الباطل الذي هو كفر عظيم، وإن لم يعلموا هم أنّه كفر كان ينكره، ويجاهدهم على ردّه بحسب الإمكان، فيجمع بين طاعة الله ورسوله (صلى الله عليه وسلم) في إظهار السنّة والدين، وإنكار بدع الجهمية الملحدين، وبين رعاية حقوق المؤمنين من الأئمة والأمة، وإن كانوا جهالاً مبتدعين، وظلمة فاسقين.

إنّتهى كلام الشيخ فتأمّله تأمّلاً خالياً عن الميل والحيف.

وقال الشيخ تقي الدين أيضاً: «من كان في قلبه الإيمان بالرسول وبما جاء به، وقد غلط في بعض ما ناله من البدع، ولو دعى إليها فهذا ليس بكافر أصلاً.

^(١) سبقت ترجمته.

والخوارج كانوا من أظهر الناس بدعة؛ وقتالاً للأمة؛ وتكفيراً لها، ولم يكن في الصحابة من يكفرهم لا علي (عليه السلام) ولا غيره، بل حكموا فيهم بحكمهم في المسلمين الظالمين المعتدين، كما ذكرت الآثار عنهم بذلك في غير هذا الموضع، وكذلك سائر الثنتين والسبعين فرقة من كان منهم فهو كافر في الباطن، ومن كان مؤمناً بالله ورسوله في الباطن لم يكن كافراً في الباطن، وإن كان أخطأ في التأويل كائناً من كان خطأه، وقد يكون في بعضهم شعبة من النفاق ولا يكون فيه النفاق الذي يكون صاحبه في الدرك الأسفل من النار، ومن قال إنّ الثنتين والسبعين فرقة كلّ واحد منهم يكفر كفراً ينقل عن الملة فقد خالف الكتاب والسنة وإجماع الصحابة بل وإجماع الأئمة الأربعة وغير الأربعة، فليس فيهم من كفر كلّ واحد من الثنتين والسبعين فرقة».

إنّتهى كلامه فتأمل، وتأمل حكاية الإجماع من الصحابة وغيرهم من أهل السنة، مع ما تقدّم لك ممّا في مذاهبهم من الكفر العظيم لعنك تنبّه من هذه الهوة التي وقعت فيها أنت وأصحابك!!.

وقال ابن القيم: في طرق أهل البدع الموافقون على أصل الإسلام، ولكنهم مختلفون في بعض الأصول كالخوارج؛ والمعتزلة؛ والقدرية؛ والرافضة؛ والجهمية؛ وغلّات المرجئة.

فهؤلاء أقسام:

أحدها: الجاهل المقلّد الذي لا بصيرة له فهذا لا يكفر ولا يفسق ولا تردّ شهادته، إذا لم يكن قادراً على تعلّم الهدى، وحكمه حكم

المستضعفين من الرجال؛ والنساء؛ والولدان.

الثاني: متمكّن من السّؤال؛ وطلب الهداية؛ ومعرفة الحق، ولكن يترك ذلك إشتغالاً بديناه؛ ورياسته؛ ولذاته؛ ومعاشه، فهذا مفرط مستحقّ للوعيد آثم بترك ما أوجب عليه من تقوى الله بحسب إستطاعته، فهذا إن غلب ما فيه من البدعة والهوى على ما فيه من السنّة والهوى ردّت شهادته، وإن غلب ما فيه من السنّة والهدى على ما فيه من البدعة والهوى قبلت شهادته.

الثالث: أن يسأل ويطلب ويتبيّن له الهدى، ويترك تعصباً أو معاداة لأصحابه فهذا أقلّ درجاته أن يكون فاسقاً، وتكفيره محلّ إجتهااد. انتهى كلامه فانظره وتأمّله، فقد ذكر هذا التفصيل في غالب كتبه، وذكر أنّ الأئمّة وأهل السنّة لا يكفّرونهم هذا مع ما وصف به من الشّرك الأكبر؛ والكفر الأكبر؛ ويبيّن في غالب كتبه مخازيهم. ولنذكر من كلامه طرفاً تصديقاً لما ذكرنا عنه.

وقال (رحمه الله تعالى): في المدارج المثبوت للصّانع نوعان:

أحدهما: أهل الأشرار به في ربوبيته، وإلهيته كالجوس، ومن ضاهاهم من القدريّة، فإنّهم يثبتون مع الله إلهاً آخر، والجوسية القدريّة تثبت مع الله خالقاً للأفعال ليست أفعالهم مخلوقة لله ولا مقدورة له، وهي صادرة بغير مشيئته تعالى، وقدرته ولا قدرة له عليها بل هم الذين جعلوا أنفسهم فاعلين مريدين شيئين، وحقيقة قول هؤلاء أنّ الله ليس ربّاً خالقاً لأفعال الحيوان.

انتهى كلامه، وقد ذكرهم بهذا الشرك في سائر كتبه، وشبههم بالمجوس الذين يقولون أنّ للعالم خالقين.

وانظر لما تكلم على التكفير هو وشيخه كيف حكوا عدم تكفيرهم عن جميع أهل السنة حتى مع معرفة الحق والمعاندة، قال: كفره محل إجتهد كما تقدم كلامه قريباً.

وأيضاً الجهمية ذكرهم بأقبح الأوصاف، وذكر أنّ شركهم شرك فرعون، وأنهم معطلة، وأنّ المشركين أقلّ شركاً منهم، وضرب لهم مثلاً في النونية^(١)، وغيرها من كتبهم كـ[الصواعق] وغيرها.

وكذلك المعتزلة كيف وصفهم بأكبر القبائح، وأقسم أنّ قولهم وأحزابهم من أهل البدع لا تبقى من الإيمان حبة خردل، فلما تكلم على تكفيرهم في النونية لم يكفرهم، بل فصل في موضوع منها فصل في الطرف كما مرّ.

وموضع آخر فيه عن أهل السنة مخاطبة لهؤلاء المبتدعة الذين أقسم أنّ قولهم لا يبقى من الإيمان حبة خردل، يقال واشهد علينا بأننا لا نكفركم بما معكم من الكفران إن أنتم أهل الجهالة عندنا لستم أولى كفر ولا إيمان، ويأتي إن شاء الله تعالى لهذا مزيد من كلام الشيخ تقي الدين، وحكاية إجماع السلف، وإن التكفير هو قول أهل البدع من الخوارج؛ والمعتزلة؛

(١) [النونية]: كتاب في عقائد السلفية على طريقة النظم، تأليف ابن القيم الجوزي في مجلدين طبع حديثاً في المملكة العربية السعودية بشرح الشيخ ابن عثيمين.

والرافضة^(١).

وقال أبو العباس ابن تيمية (رحمه الله) في كلام له في الفرقان: ودخل أهل الكلام المنتسبين إلى الإسلام، ومن المعتزلة، ونحوهم في بعض مقالة الصائبة والمشركين ممن لم يهتدي بهدي الله الذي أرسل به رسله من أهل الكلام؛ والجلد، صاروا يريدون أن يأخذوا مأخذهم كما أخبر النبي (صلى الله عليه وسلم) بقوله: «لتأخذن مأخذ من كان قبلكم»^(٢)...

^(١) إذا كان قصد المؤلف بالرافضة: هم الشيعة، فهذا خطأ منه (رحمه الله)، إنما الشيعة هم: من أحبّ علياً وأولاده (عليهم السلام) باعتبارهم من أهل بيت النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) الذي فرض الله سبحانه مودتهم، قال تعالى: ﴿قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجراً إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى﴾ (سورة الشورى: آية ٢٣). والشيعة بهذا المعنى تعمّ كلّ المسلمين إلّا النواصب، بشهادة أنهم يصلّون على نبيهم وآله في جميع صلواتهم وأدعيتهم، ويتلون الآيات النازلة في حقهم صباحاً ومساءً. أمّا كلمة رافضة فهي نيز من المخالفين لمنهج أهل البيت (ع) وأعدائهم فكانت هذه الكلمة تلفظ سياسياً كما تقدّم في هامش فصل الجهمية.

^(٢) صحيح أخرجه مسلم في [الصحيح] في «كتاب العلم: باب إتباع سنن اليهود والنصارى» (حديث ٢٦٦٩)، والبخاري في [الصحيح]: «كتاب الاعتصام: باب قول النبي (صلى الله عليه وآله وسلم): لتتبعن سنن من كان قبلكم».

[جامع الأصول]: (ج ١/ص ٣٥/حديث ٧٤٩٣)، والترمذي في [السنن]: (ج ٢/ص ٢٧، و ص ٢٨)، وابن أبي عاصم في [السنة]: (ج ١/ص ٣٧/حديث ٧٤، وحديث ٧٥)، وأحمد بن حنبل في [المسند]: (ج ٣/ص ٨٤، و ص ٨٩، و ص ٩٤) (حديث ٣١)، والفاسي في كتابه [إصلاح المساجد].

الحديث صحيح إلى أن قال: إنّ هؤلاء المتكلمين أكثر حقاً، وأتبع للأدلة لما تنوّرت به قلوبهم من نور القرآن والإسلام، وإن كانوا قد ضلّوا في كثير مما جاء به الرسول (صلى الله عليه وسلم) فوافقوا أولئك على أن الله لا يتكلّم ولا تكلم، كما وافقوهم على أنه لا علم له؛ ولا قدرة؛ ولا صفة من الصفات.

إلى أن قال: «فلما رأوا أنّ الرسل متّفقة على أنّ الله متكلم، والقرآن من إثبات قوله وكلامه صاروا تارة يقولون ليس بمتكلم حقيقة بل مجازاً. وهذا قولهم الأول لما كانوا في بدعتهم وكفرهم على الفطرة قبل أن يدخلوا في الفساد والجحود».

إلى أن قال: «وهذا قول من يقول: القرآن مخلوق...». إلى أن قال: «وأنكر هؤلاء أن يكون الله متكلماً وقائلاً على الوجه الذي دلت عليه الكتب الإلهية، وأفهمت الرسل لقومهم، واتّفق عليه أهل الفطرة السليمة..».

إلى أن قال: «ونشأ بين هؤلاء الذين هم فروع الصّائبة، وبين المسلمين المؤمنين إتباع الرسول الخلاف، فكفر هؤلاء ببعض ما جاءت به الرسل وإختلفوا في كتاب الله فآمنوا ببعض واتّبع المؤمنون ما أنزل إليهم من ربّهم، وعلموا أنّ قول هؤلاء أخبث من قول اليهود والنصارى، حتى كان عبد الله بن المبارك يقول: إنا لنحكي قول اليهود والنصارى ولا نحكي قول الجهمية».

وكان قد كثر هؤلاء الذين هم فروع المشركين، ومن اتّبعهم من

الصَّائِبَةِ فِي آخِرِ الْمِائَةِ الثَّانِيَةِ فِي إِمَارَةِ الْمَأْمُونِ، وَظَهَرَتْ عُلُومُ الصَّابِتِينَ
وَالْمُنَجِّمِينَ وَنَحْوَهُمْ، فَظَهَرَتْ هَذِهِ الْمَقَالَةُ فِي أَهْلِ الْعِلْمِ وَأَهْلِ السِّيفِ
وَالْإِمَارَةِ، وَصَارَ فِي أَهْلِهَا مِنَ الْخُلَفَاءِ وَالْأَمْرَاءِ وَالْوُزَرَاءِ وَالْفُقَهَاءِ وَالْقُضَاةِ
وغيرهم، مَا امْتَحَنُوا بِهِ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَالْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ.
إِنْتَهَى كَلَامُ الشَّيْخِ (رَحِمَهُ اللَّهُ).

فَانْظُرْ فِي هَذَا الْكَلَامِ وَتَدَبَّرْهُ!! كَيْفَ وَصَفَ هَؤُلَاءِ بِأَعْظَمِ الْكُفْرِ وَالشِّرْكِ،
وَبِالْإِيمَانِ بَعْضَ الْكِتَابِ وَالْكَفْرِ بَعْضَهُ، وَأَنَّهُمْ فُرُوعُ الْمَشْرِكِينَ وَالصَّابِئَةِ، وَأَنَّهُمْ
أَخْلَوْا مَاخِذَ الْقُرُونِ مِنْ قَبْلِهِمْ أَهْلَ الْكُفْرِ، وَأَنَّهُمْ خَالَفُوا الْعَقْلَ وَالنَّقْلَ وَالْفِطْرَةَ،
وَأَنَّهُمْ خَالَفُوا جَمِيعَ الرِّسَالِ فِي قَوْلِهِمْ، وَأَنَّهُمْ عَانَدُوا الْحَقَّ، وَإِنَّ أَهْلَ الْعِلْمِ يَقُولُونَ قَوْلَهُمْ
هَذَا أَحَبُّ مِنْ قَوْلِ الْيَهُودِ وَالنَّصَارَى، وَأَنَّهُمْ عَذَّبُوا الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ عَلَى الْحَقِّ،
وَهَؤُلَاءِ الَّذِينَ عَنِ بِهِمْ هَذَا الْكَلَامُ هُمُ الْمُعْتَرِلَةُ وَالْقُدْرِيَّةُ وَالْجَهْمِيَّةُ وَمَنْ سَلَكَ سَبِيلَهُمْ
مِنْ أَهْلِ الْبِدْعِ، وَغَيْرِهِمْ.

وَالْخُلَفَاءُ الَّذِينَ يَعْنِيهِمُ الْمَأْمُونُ وَالْمُعْتَصِمُ وَالْوَاتِقُ وَوُزَرَائِهِمْ وَقَضَاتِهِمْ
وَفُقَهَاؤُهُمْ، وَهُمْ الَّذِينَ جَلَدُوا الْإِمَامَ أَحْمَدَ^(١) (رَحِمَهُ اللَّهُ) وَحَبَسُوهُ وَقَتَلُوهُ

(١) هُوَ: أَحْمَدُ بْنُ مُحَمَّدٍ بْنِ حَنْبَلٍ الشَّيْبَانِيُّ، أَصْلُهُ مِنَ الْبَصْرَةِ وَكَانَ جَدُّهُ حَنْبَلٌ مِنْ
مَنْصُورِيِّ الدَّعْوَةِ الْعَبَّاسِيَّةِ، وَوَلِي سَرْخَسَ، وَكَانَ أَبُوهُ مُحَمَّدٌ مِنْ أَجْنَادِ مَرُو قَدِمَتْ بِهِ
أُمُّهُ وَهِيَ حَامِلَةٌ بِهِ إِلَى بَغْدَادَ، فَوُلِدَ فِيهَا سَنَةَ (١٦٤هـ)، ثُمَّ مَا لَبِثَ أَنْ تَوَفَّى وَالِدُهُ
شَابًا لَهُ نَحْوُ مِنْ ثَلَاثِينَ سَنَةً، فَرُبِّيَ أَحْمَدٌ يَتِيمًا، وَاتَّجَهَتْ هِمَّتُهُ إِلَى طَلَبِ الْحَدِيثِ، وَلَهُ
مِنَ الْعُمُرِ خَمْسَ عَشْرَةِ سَنَةً، وَذَلِكَ سَنَةَ (١٧٩هـ)، فَكَانَ أَوَّلَ مَنْ كَتَبَ عَنْهُ
الْحَدِيثَ أَبُو يُوسُفَ الْقَاضِي صَاحِبُ أَبُو حَنِيفَةَ، وَرَوَى عَنْهُ الْبُخَارِيُّ، وَمُسْلِمٌ، وَأَبُو
دَاوُدَ، وَأَبُو زُرْعَةَ، وَأَبُو الْقَاسِمِ الْبَغْوِيُّ، وَخَلَقَ كَثِيرُونَ، وَلَهُ مِنَ الْمَوْلُفَاتِ نَحْوُ مِنْ
(٢٦مَوْلف)، أَشْهَرُهَا [السَّنَدُ] وَهُوَ خِلَاصَةُ مَا جَمَعَهُ فِي حَيَاتِهِ، تَوَفَّى فِي سَنَةِ (٢٤١هـ).

أَنْظُرْ: [أَعْلَامُ الْمَوْقِعِينَ]: (ج ١/ص ٣١)، و[تَارِيخُ بَغْدَادَ]: (ج ٤/ص ٤١٣)، وَص
(٤١٤). و[سِيرُ أَعْلَامِ النَّبَلَاءِ]: (ج ١١/ص ١٨٣، وَص ١٨٤).

أحمد بن بصير الخزاعي وغيره، وعذبوا المؤمنين والمؤمنات يدعونهم إلى الأخذ بقولهم، وهم الذين يعني قولهم فيما تقدّم وما يأتي أنّ الإمام أحمد لا يكفرهم، ولا أحد من السلف، وأنّ أحمد صلّى خلفهم، واستغفر لهم، ورأى الإلتزام بهم، وعدم الخروج عليهم، وأنّ الإمام أحمد يردّ قولهم الذي هو كفر عظيم كما تقدم كلامه فراجعه..

فبالله.. عليك.. تأمل أي هذا!! وأيّ قول فيمن خالفكم فهو كافر ومن لم يكفره فهو كافر.. بالله.. عليكم.. انتهوا عن الخنا^(١)، وقول الزور، واقتدوا بالسلف الصالح، وتجنبوا طريق أهل البدع، ولا تكونوا كالذي زين له سوء عمله فراه حسناً^(٢).

قال الشيخ تقي الدين (رحمه الله تعالى): ومن البدع المنكر تكفير طائفة وغيرها من طوائف المسلمين، واستحلال دمائهم وأموالهم، وهذا عظيم لوجهين:

أحدهما: أنّ تلك الطائفة الأخرى قد لا يكون فيها من البدعة ممّا في الطائفة المكفّرة لها، بل قد تكون بدعة الطائفة المكفّرة لها أعظم من بدعة الطائفة المكفّرة، وقد تكون نحوها، وقد تكون دونها، حال عامة أهل البدع والأهواء الذين يكفّرون بعضهم بعضاً، وهؤلاء من الذين قال الله فيهم: ﴿إِنَّ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِعْبًا لَسْتَ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ﴾^(٣).

(١) الخنا: هو الفحش في الكلام.

(٢) إشارة إلى الآية (٨) من سورة فاطر، وهي قوله تعالى: ﴿أَفَمَنْ زُيِّنَ لَهُ سُوءُ عَمَلِهِ فَرَاهُ حَسَنًا فَإِنَّ اللَّهَ يَضِلُّ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ﴾.

(٣) سورة الأنعام: آية (١٥٩)، وتام الآية: ﴿إِنَّمَا أَمْرُهُمْ إِلَى اللَّهِ ثُمَّ يُنَبِّئُهُم بِمَا كَانُوا يَفْعَلُونَ﴾.

الثاني: أنه لو فرض أن إحدى الطائفتين مختصة بالبدعة، والأخرى موافقة للسنة لم يكن لهذه السنة أن تكفر كل من قال قولاً أخطأ فيه، فإن الله تعالى قال: ﴿رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَا إِنْ نَسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا﴾^(١)، وثبت في الصحيح عن النبي (صلى الله عليه وسلم) أن الله تعالى قال: «قد فعلت»^(٢). وقال تعالى: ﴿لَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا أَخْطَأْتُمْ بِهِ وَلَكِنْ مَا تَعَمَّدَتْ قُلُوبُكُمْ﴾^(٣).

^(١) سورة البقرة: آية (٢٨٦)، وتمام الآية: ﴿لَا يَكْلَفُ اللَّهُ نَفْساً إِلَّا وَسْعَهَا هَا مَا كَسَبْتَ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبْتَ رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَا إِنْ نَسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَا إَصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِنَا رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِ وَاعْفُ عَنَّا وَاعْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا أَنْتَ مَوْلَانَا فَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ﴾.

^(٢) الحديث عن ابن عباس أنه قال: لما نزلت هذه الآية: ﴿وإن تبدوا ما في أنفسكم أو تخفوه يحاسبكم به الله﴾ قال: دخل قلوبهم شيء منها لم يدخل قلوبهم من شيء قبل، فقال النبي (صلى الله عليه وآله وسلم): «قولوا سمعنا، وأطعنا، وسلمنا». قال: فالتقى الله الإيمان في قلوبهم، فأنزل الله تعالى: ﴿لَا يَكْلَفُ اللَّهُ نَفْساً إِلَّا وَسْعَهَا هَا مَا كَسَبْتَ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبْتَ رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَا إِنْ نَسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا﴾. قال: قد فعلت ﴿رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَا إَصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِنَا﴾، قال: قد فعلت ﴿وَاعْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا أَنْتَ مَوْلَانَا﴾، قال: قد فعلت.

أنظر: [صحيح مسلم]: (حديث ١٢٦)، و[الترمذي]: (حديث ٢٩٩٢)، وأحمد بن حنبل في [المستدرك]: (حديث ٢٠٧١، وحديث ٢٠٦١).

^(٣) سورة الأحزاب: آية (٥)، وتمام الآية: ﴿ادْعُوهُمْ لِآبَائِهِمْ هُوَ أَقْسَطُ عِنْدَ اللَّهِ، فَإِنْ لَمْ تَعْلَمُوا آبَاءَهُمْ فِإِخْوَانَكُمْ فِي الدِّينِ وَمَوَالِيكُمْ، وَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ فِيمَا أَخْطَأْتُمْ بِهِ وَلَكِنْ مَا تَعَمَّدَتْ قُلُوبُكُمْ وَكَانَ اللَّهُ غَفُوراً رَحِيماً﴾.

وروي عن النبي (صلى الله عليه وسلم) أنه قال: «إِنَّ الله تجاوز لأُمّتي عن الخطأ، والنسيان، وما استكرهوا عليه»^(١).

وهو حديث حسن رواه ابن ماجة وغيره، وقد أجمع الصحابة والتابعون لهم بإحسان، وسائر أئمة المسلمين على أنه ليس كل من قال قولاً أخطأ فيه أنه يكفر بذلك، ولو كان قوله مخالفاً للسنة، ولكن للناس نزاع في مسائل التكفير قد بسطت في غير هذا الموضع.

وقال الشيخ (رحمه الله): أيضاً الخوارج لهم خاصيتان مشهورتان فارقوا بها جماعة المسلمين وأئمتهم:

أحدهما: خروجهم عن السنة، وجعلهم ما ليس بسيئة سيئة، وجعلهم ما ليس بحسنة حسنة.

الثاني: في الخوارج وأهل البدع، أنهم يكفرون بالذنوب والسيئات، ويترتب على ذلك استحلال دماء المسلمين وأموالهم، وأن دار الإسلام دار حرب، ودارهم دار الأمان.

^(١) صحيح أخرجه البخاري في [الصحيح]: «كتاب الإيمان والنذور: باب إذا حنت ناسياً في الإيمان، وفي العتق باب الخطأ والنسيان»، ومسلم في [الصحيح]: «كتاب الإيمان: باب تجاوز الله عن حديث النفس والخطأ» (حديث ١٢٧).

والترمذي في [السنن]: «كتاب الطلاق: باب ما جاء فيمن يحدث بطلاق امرأته» (حديث ١١٨٣)، وأبو داود في [السنن]: «كتاب الطلاق: باب الوسوسة في الطلاق» (حديث ٢٢٠٩).

وابن ماجة في [السنن]: «كتاب الطلاق: باب من طلق في نفسه ولم يتكلم به» (حديث ١٥٤٠)، وابن الأثير في [جامع الأصول]: (ج ٢/ص ٦٢).

وبذلك يقول جمهور الرافضة؛ وجمهور المعتزلة؛ والجهمية؛ وطائفة من غلات المنتسبة إلى أهل الحديث فينبغي للمسلم أن يحذر من هذين الأصلين الخبيثين، وما يتولد عنهما من بعض المسلمين، وذمهم، ولعنهم، واستحلال دمائهم وأموالهم.

وعامة البدع إنما تنشأ من هذين الأصلين.

أما الاول: فسببه التأويل الفاسد، إما حديث بلغه غير صحيح، أو عن غير الرسول (صلى الله عليه وسلم) قلّد قائله فيه، ولم يكن ذلك القائل مصيباً، أو تأويل تأوله من آية من كتاب الله، ولم يكن التأويل صحيحاً، أو قياساً فاسداً، أو رأياً رآه اعتقده صواباً وهو خطأ.

إلى أن قال: قال أحمد أكثر ما يخطئ الناس من جهة التأويل والقياس.

وقال الشيخ: أهل البدع صاروا يبنون دين الإسلام على مقدمات، يضمنون صحتها، إما في دلالة الألفاظ، وإما في المعاني المعقولة، ولا يتأملون بيان الله ورسوله (صلى الله عليه وسلم) فإنها تكون ضلالاً، وقد تكلم أحمد على من يتمسك بما يظهر له من القرآن من غير استدلال ببيان الرسول (صلى الله عليه وسلم) والصحابة والتابعين. وهذه طريقة سائر أئمة المسلمين لا يعدلون عن بيان الرسول (صلى الله عليه وسلم) إن وجدوا إلى ذلك سبيلاً.

وقال الشيخ أيضاً: إني دائماً ومن جالسيني يعلم مني أنني من أعظم الناس نهياً من أن ينسب معين إلى تكفير أو إلى تفسيق أو معصية، إلا إذا علم أنه قد قامت عليه الحجّة الرّسالية التي من خالفها كان كافراً تارة،

وفاسقاً أخرى، وعاصياً أخرى، وإنني أقرر أنّ الله قد غفر لهذه الأمة خطاياها.

وذلك يعمّ الخطأ في المسائل الخيرية والمسائل العلمية، وما زال السلف يتنازعون في كثير من هذه المسائل، ولم يشهد أحد منهم على أحد منهم معين لأجل ذلك، لا بكفر ولا بفسق ولا بمعصية، كما أنكر شريح قراءة: ﴿بَلْ عَجِبْتَ وَيَسْخَرُونَ﴾^(١).
وقال: إنّ الله لا يعجب.

إلى أن قال: وقد آل النزاع بين السلف إلى الإقتتال مع إتفاق أهل السنة على أنّ الطائفتين جميعاً مؤمّتان، وأنّ القتال لا يمنع العدالة الثابتة لهم لأنّ المقاتل وإن كان باغياً فهو متأول، والتأويل يمنع الفسق....
وكنت أبين لهم، إنّ ما نقل عن السلف والأئمّة من اطلاق القول بتكفير من يقول كذا وكذا فهو أيضاً حق، لكن يجب التفريق بين الإطلاق والتعيين، وهذه أول مسألة تنازعت فيها الأمة من مسائل الأصول الكبار، وهي مسألة الوعيد فإنّ نصوص الوعيد في القرآن المطلقة عامة كقوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالِ الْيَتَامَى ظُلْمًا﴾^(٢).
وكذلك سائر ما ورد من فعل كذا فله كذا، وهو كذا، فإن هذه النصوص مطلقة عامة، وهي بمنزلة من قال من السلف: من قال كذا فهو كافر.

(١) سورة الصافات: آية (١٢).

(٢) سورة النساء: آية (١٠)، وتام الآية: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالِ الْيَتَامَى ظُلْمًا إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ نَارًا وَسَيَصْلُونَ سَعِيرًا﴾.

إلى أن قال: والتكفير يكون من الوعيد، فإنه وإن كان القول تكذيباً لما قاله الرسول (صلى الله عليه وسلم) لكن قد يكون الرجل حديث عهد بالإسلام، أو نشأ ببادية بعيدة، وقد يكون الرجل لم يسمع تلك النصوص أو سمعها ولم تثبت عنده، أو عارضها عنده معارض آخر، أو وجب تأويلها، وإن كان مخطئاً..

وكنت دائماً أذكر الحديث الذي في [الصحيحين] في الرجل قال لأهله: إذا أنا مت فاحرقوني^(١).

فهذا رجل شكّ في قدرة الله، وفي إعادته إذا ذري بل إعتقد أنه لا يعاد، وهذا كفر بإتفاق المسلمين، لكن كان جاهلاً لا يعلم ذلك، وكان

^(١) صحيح أخرجه مسلم في [الصحيح]: (ج ٢/وص ٣٢٥)، والبخاري في [الصحيح] (ج ٦/ص ٣٧٩، وص ٣٨٠)، وابن ماجه في [صحيح السنن]: للألباني (ج ٢/ص ٤١٩/حديث ٣٤٣٢، وحديث ٤٢٥٥)، وأحمد بن حنبل في [المسند] (ج ٧/ص ٣٧٨/حديث ٧٦٣٥).

عن أبي هريرة عن رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) قال: «أسرف رجل على نفسه فلما حضره الموت أوصى بنيه، فقال: إذا أنا مت فاحرقوني، ثم اسحقوني، ثم أذروني في الريح في البحر، والله لئن قدر عليّ ربّي ليعذبني عذاباً ما عذّبه أحد، قال: ففعلوا. فقال الله تعالى للأرض: أدي ما أخذتني، فإذا هو قائم، فقال: ما حملك على ما صنعت؟ قال: خشيتك يا ربّ، أو مخافتك، فغفر له بذلك. وأخرجه [النسائي]: (حديث ٢٠٧٩، وحديث ٢٠٨٠)، وأحمد بن حنبل في [المسند]: (حديث ٧٦٣٥) عن حذيفة بن اليمان العنسي، و(حديث ١٠٧٤٤) عن أبي سعيد الخدري، و(حديث ٣٧٧٦) عن عبد الله بن مسعود.

مؤمناً يخاف الله أن يعاقبه فغفر له بذلك، والمتأول من أهل الاجتهاد الحريص على متابعة الرسول (صلى الله عليه وسلم) أولى بالمغفرة من مثل هذا.. انتهى.

وقال الشيخ (رحمه الله): وقد سئل عن رجلين تكلّما في مسألة التكفير فأجاب وأطال.

وقال في آخر الجواب: «لو فرض أنّ رجلاً دفع التكفير عمّن يعتقد أنه ليس بكافر حماية له، ونصراً لأخيه المسلم لكان هذا غرضاً شرعياً حسناً، وهو إذا اجتهد في ذلك فأصاب فله أجران، وإن اجتهد فيه فأخطأ فله أجر».

وقال (رحمه الله): «التكفير إنما يكون بإنكار ما علم من الدين بالضرورة، أو بإنكار الأحكام المتواترة المجمع عليها..» انتهى.

فانظر إلى هذا الكلام وتأمله، وهل هذا كقولكم هذا كافر، ومن لم يكفر فهو كافر، وهو قال إن دفع عنه التكفير وهو مخطئ فله أجر. وأنظر وتأمل كلامه الأول، وهو أنّ القول قد يكون كفراً، ولكن القائل أو الفاعل لا يكفر لإحتمال أمور:

منها «عدم بلوغ العلم على الوجه الذي يكفر به إمّا لم يبلغه، وإمّا بلغه ولكن ما فهمه، أو فهمه ولكن قام عنده معارض أوجب تأويله إلى غير ذلك ممّا ذكره..»

فيا عباد الله.. تنبّهوا وارجعوا إلى الحق، وامشوا حيث مشى السلف الصالح، وقفوا حيث وقفوا، ولا يستفزكم الشيطان، ويزين لكم تكفير

أهل الإسلام، وتجعلون ميزان كفر الناس مخالفتكم، وميزان الإسلام موافقتكم، فإننا لله وإنا إليه راجعون، آمناً بالله، وبما جاء عن الله على مراد الله، وعلى مراد رسوله، أنقذنا الله وإياكم من متابعة الأهواء.

قال ابن القيم (رحمه الله تعالى): «لما ذكر أنواع الكفر، وكفر الجحود نوعان: كفر مطلق عام، وكفر مقيد خاص.

فالمطلق أن يجحد جملة ما أنزل الله، ورسالة رسول الله (صلى الله عليه وسلم)، والخاص المقيّد أن يجحد فرضاً من فروض الإسلام، أو محرماً من محرماته، أو صفة وصف الله بها نفسه، أو خيراً أخير به محمداً، أو تقدماً لقول من خالفه عالماً وعمداً لغرض من الأغراض، وإما ذلك جهلاً أو تأويلاً يعذر فيه، فلا يكفر صاحبه لما في [الصحيحين]، و[السنن]، و [المسانيد]:

عن أبي هريرة قال: قال النبي (صلى الله عليه وسلم): «قال رجل لم يعمل خيراً قط لأهله»، وفي رواية: «أسرف رجل على نفسه فلما حضر أوصى بنيه إذا مات فحرقوه ثم ذروا نصفه في البر ونصفه في البحر فوالله إن قدر الله عليه ليعذبه عذاباً ما عذب به أحداً من العالمين، فلما مات فعلوا ما أمرهم، فأمر الله البحر فجمع ما فيه، وأمر البر وجمع ما فيه، ثم قال: لم فعلت؟! قال: من خشيتك يا ربّ وأنت تعلم، فغفر له»^(١).

(١) صحيح، أنظر: [مسند أحمد بن حنبل]: (حديث ٢٢٧٤٢، وحديث ١٠٧٤٤)، و [صحيح سنن ابن ماجه]: (حديث ٣٤٣٢)، و [صحيح البخاري]: (ج ٦/ص ٣٧٩ و ص ٣٨٠)، و [صحيح مسلم]: (ج ٢/ص ٣٢٥).

فهذا منكر لقدرة الله عليه، ومنكر للبعث والمعاد، ومع هذا غفر الله له، وعذره بجهله، لأنّ ذلك مبلغ علمه، إذ لم ينكر ذلك عناداً، وهذا فصل النزاع في بطلان قول من يقول: إنّ الله لا يعذر العباد بالجهل في سقوط العذاب إذا كان ذلك مبلغ علمه.. انتهى.

وقد سئل شيخ الإسلام ابن تيمية (رحمه الله) ^(١) عن التّكفير الواقع في هذه الأمّة من أوّل من أحدثه وابتدعه؟ فأجاب: «أوّل من أحدثه في الإسلام المعتزله، وعنهم تلقّاه من تلقّاه، وكذلك الخوارج هم أوّل من أظهره واضطرب الناس في ذلك، فمن الناس من يحكي عن مالك فيه قولين، وعن الشافعي كذلك، وعن أحمد روايتان، وأبو الحسن الأشعري وأصحابه لهم قولان.

(١) هو: أحمد بن عبد الحليم؛ بن عبد السلام؛ بن عبد الله؛ بن الخضر؛ بن محمد؛ بن الخضر؛ بن علي؛ بن عبد الله؛ بن تيمية، الحراني، ثم الدمشقي، الحنبلي، تقي الدين، أبو العباس، محدث، مفسر، فقيه، ولد في (١٠/ربيع الأول/سنة ٦٦١هـ) بجران من أعمال حلب، وقدم مع والده وأمله إلى دمشق وهو صغير حدث بدمشق، ومصر، والثغر، وقد إمتحن، وأوذي مرّات حبس بقلعة القاهرة، والإسكندرية، وبقلعة دمشق مرّتين، وتوفي بها في: (٢٠/ذي القعدة/سنة ٧٢٨هـ).

أنظر: [تذكرة الحفاظ]: (ج ٤/ص ٢٧٨)، و[البداية والنهاية]: (ج ١٤/ص ١٣٢)، و[طبقات الحنابلة]: (ج ١/ص ٣٣٧- ج ٢/ص ٣٤١)، و[النجوم الزاهرة]: (ج ٩/ص ٢٧، وص ٢٧٢).

وحقيقة الأمر في ذلك أنّ القول قد يكون كفراً فيطلق القول تكفيراً
قائله، ويقال من قال كذا فهو كافر، لكن الشخص المعين الذي قاله لا
يكفر حتى تقوم عليه الحجة التي يكفر تاركها من تعريف الحكم الشرعي
من سلطان أو أمير مطاع كما هو المنصوص عليه في كتب الأحكام، فإذا
عرّفه الحكم وزالت عنه الجهالة قامت عليه الحجة.

وهذا كما هو في نصوص الوعيد من الكتاب والسنة وهي كثيرة
جداً، والقول بموجبها واجب على وجه العموم والإطلاق من غير أن يعين
شخص من الأشخاص، فيقال هذا كافر، أو فاسق، أو ملعون، أو
مغضوب عليه، أو مستحق للنار، لاسيّما إن كان للشخص فضائل
وحسنات، فإنّ ما سوى الأنبياء يجوز عليهم الصّغائر والكبائر مع إمكان
أن يكون ذلك الشخص صديقاً أو شهيداً أو صالحاً، كما قد بسط في
غير هذا الموضع من أنّ موجب الذنوب تنخلف عنه بتوبة أو بإستغفار أو
حسنات ماحية، أو مصائب مكفّرة، أو شفاعة مقبولة، أو لحض مشيئة
الله ورحمته.

فإذا قلنا بموجب قوله تعالى: ﴿وَمَنْ يَقْتُلْ مُؤْمِناً مُتَعَمِّداً﴾^(١).
وقوله: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ الْيَتَامَى ظُلْماً إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِي
بُطُونِهِمْ نَاراً وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾^(٢).

^(١) سورة النساء: آية (٩٣)، وتام الآية: ﴿فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِداً فِيهَا وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعْنَهُ وَأَعَدَّ لَهُ عَذَاباً عَظِيماً﴾.

^(٢) سورة النساء: آية (١٠).

وقوله: ﴿وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُ﴾^(١).
 وقوله: ﴿وَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْبَاطِلِ﴾^(٢).
 إلى قوله: ﴿وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ عَدْوَانًا وَظُلْمًا﴾^(٣)، إلى غير ذلك من
 آيات الوعيد..

قلنا بموجب قوله (صلى الله عليه وسلم): «لعن الله من شرب الخمر،
 أو من عقّ والدیه، أو من غیر منار الأرض، أو من ذبح لغير الله»^(٤).
 أو «لعن الله السّارق».

^(١) سورة النساء: آية (١٤)، وتام الآية: ﴿يَدْخُلْهُ نَارًا خَالِدًا فِيهَا وَلَهُ عَذَابٌ مُهِينٌ﴾.
^(٢) سورة البقرة: آية (١٨٨)، وتام الآية: ﴿وَتَدْلُوا بِهَا إِلَى الْحُكَّامِ لَتَأْكُلُوا فَرِيقًا
 مِنْ أَمْوَالِ النَّاسِ بِالْإِثْمِ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾.
^(٣) سورة النساء: آية (٣٠)، وتام الآية: ﴿فَسَوْفَ نَضِلُّهُ نَارًا وَكَانَ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرًا﴾.
^(٤) صحيح [مسند]: أحمد بن حنبل (ج ١٠/ص ٩/حديث ٥٧١٦)، وأبو يعلى
 الموصلي في [المسند]: (حديث ٥٥٨٣)، والطبراني في [الكبير]: (حديث ٧٥٣)،
 والبيهقي في [شعب الإيمان]: (حديث ٥٥٨٣).

عن عبد الله بن عمر، وإبن أبي شيبة في [المصنف]: (ج ٦/ص ٤٤٧)، وأبو
 داود في [السنن]: (حديث ٣٦٧٤)، وإبن ماجه في [السنن]: (حديث ٣٣٨٠).
 [صحيح البخاري]: (ج ١٢/ص ٧٢)، ومسلم في [الصحيح]: (ج ٢/ص ٣٢)،
 والنسائي في [السنن]: (ج ٢/ص ٢٥٤)، وإبن ماجه في [صحيح السنن]: (ج ٢/ص
 ٨٧/حديث ٢٠٩٦، وحديث ٢٥٨٣).

عن أبي هريرة، قال: قال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم): «لعن الله
 السّارق، يسرق البيضة فتقطع يده، ويسرق الحبل فتقطع يده»، وفي [إرواء الغليل في
 تخريج منار السبيل]: (حديث ٢٤١٠)، وأحمد بن حنبل في [المسند]: (ج ٧/ص
 ٢٤٠/حديث ٧٤٣٠) عن أبي هريرة.

و« لعن الله أكل الربا؛ وموكله؛ وشاهده؛ وكاتبه »^(١).

أو « لعن الله لاوى الصدقة؛ والمتعدى فيها »^(٢).

أو « من أحدث في المدينة حدثاً، أو آوى محدثاً فعليه لعنة الله؛ والملائكة، والناس أجمعين »^(٣).

إلى غير ذلك من أحاديث الوعيد، لم يحز أن تعين شخصاً ممن فعل بعض هذه الأفعال، وتقول هذا المعين قد صابه هذا الوعيد لإمكان التوبة، وغيرها من مسقطات العقوبة.

^(١) [صحيح السنن]: لإبن ماجه (حديث ١٩٣٥)، والترمذي في [السنن]: حديث (١١١٩)، وأحمد بن حنبل في [المسند]: (ج ٢/ص ٦٧/حديث ١٦٣٥) عن علي بن أبي طالب (عليه السلام)، و[البزار]: (حديث ٨٢٠).

وأبو يعلى الموصلي في [المسند]: (حديث ٤٠٢، وحديث ٥١٦)، وعبد الرزاق في [المصنف]: (حديث ١٠٧٩٢). والبخاري في [الصحيح]: (حديث ٥٣٤٧) عن أبي جحيفة وهب بن عبد الله السوائي، ومسلم في [الصحيح]: (حديث ١٥٩٨)، و[النسائي]: (حديث ٣٤١٦) عن عبد الله بن مسعود.

^(٢) أخرجه ابن خزيمة في [الصحيح].

^(٣) [صحيح البخاري]: « في كتاب الإعتصام في الكتاب والسنة: باب أثم من آوى محدثاً » (حديث ١٨٦٧)، ومسلم في [الصحيح]: (حديث ١٣٦٦)، وأحمد بن حنبل: (حديث ١٣٠٨٧، وحديث ١٣١٢٨) عن أنس بن مالك.

وأحمد في [المسند]: (حديث ١٣٠٩)، ومسلم: (حديث ١٩٧٨)، والنسائي: (حديث ٤٤٢٢) عن علي بن أبي طالب (عليه السلام).

إلى أن قال: «ففعّل هذه الأمور تَمَنّ يحسب أنها مباحة بإجتهاد أو تقليد، ونحو ذلك، وغايته أنه معذور من لحوق الوعيد لما منع كما إمتنع لحوق الوعيد بهم لتوبة، أو حسنات ماحية، أو مصائب مكفرة، أو غير ذلك، وهذه السبيل هي التي يجب إتباعها، فإنّ ما سواها طريقان خبيثان أحدهما القول بلحوق الوعيد بكل فرد من الأفراد بعينه، ودعوى أنها عمل بموجب النصوص، وهذا أقبح من قول الخوارج المكفّرين بالذنوب، والمعتزلة وغيرهم، وفساد معلوم بالإضطرار، وأدلتة معلومة في غير هذا الموضع.

فهذا ونحوه من نصوص الوعيد حق لكن الشخص المعين الذي فعله لا يشهد عليه بالوعيد، فلا يشهد على معين من أهل القبلة بالنار لفوات شرط، أو لحصول مانع، وهكذا الأقوال الذي يكفّر قائلها، قد يكون القائل لها لم تبلغه النصوص الموجبة لمعرفة الحق، وقد تكون بلغته ولم تثبت عنده، أو لم يتمكن من معرفتها وفهمها، أو قد عرضت له شبهات يعذره الله بها، فمن كان مؤمناً بالله وبرسوله، مظهراً للإسلام، محباً لله ورسوله، فإنّ الله يغفر له، ولو قارف بعض الذنوب القولية، أو العملية، سواء أطلق عليه لفظ الشّرك أو لفظ المعاصي.

هذا الذي عليه أصحاب رسول الله (صلى الله عليه وسلم)، وجماهير أئمة الإسلام.

لكن المقصود أنّ مذاهب الأئمة مبنية على هذا التفصيل بالفرق بين النوع والعين، بل لا يختلف القول عن الإمام أحمد وسائر أئمة الإسلام،

كمالك؛ وأبي حنيفة؛ والشافعي، أنهم لا يكفرون المرجئة الذين يقولون
الإيمان قول بلا عمل، ونصوصهم صريحة بالإمتناع من تكفير الخوارج،
والقدرية. وغيرهم.

وإنما كان الإمام أحمد يطلق القول بتكفير الجهمية لأنه أبتلى بهم حتى
عرف حقيقة أمرهم، وأنه يدور على التعطيل. وتكفير الجهمية مشهور
عن السلف والأئمة، لكن ما كانوا يكفرون أعيانهم، فإن الذي يدعوا إلى
قول أعظم من الذي يقوله ولا يدعو إليه، والذي يعاقب مخالفة أعظم من
الذي يدعو فقط، والذي يكفر مخالفه أعظم من الذي يعاقب، ومع هذا
فالذين من ولادة الأمور يقولون بقول الجهمية أن القرآن مخلوق، وأن الله
لا يرى في الآخرة، وأن ظاهر القرآن لا يحتاج به في معرفة الله، ولا
الأحاديث الصحيحة، وأن الدين لا يتم إلا بما زخرفوه من الآراء
والخيالات الباطلة والعقول الفاسدة، وأن جهالاتهم أحكم في دين الله من
كتاب الله وسنة رسوله (صلى الله عليه وسلم)، وإجماع الصحابة
والتابعين لهم بإحسان، وإن أقوال الجهمية والمعطلة من النفي والإثبات
أحكم في دين الله بسبب ذلك امتحنوا المسلمين، وسجنوا الإمام أحمد،
وجلدوه، وقتلوا جماعة، وصلبوا آخرين، ومع ذلك لا يطلقون أسيراً، ولا
يعطون من بيت المال إلا من وافقهم، ويقرّ بقولهم، وجرى على الإسلام
منهم أمور مبسوطة في غير هذا الموضع، ومع هذا التعطيل الذي هو شرّ
من الشرك، فالإمام أحمد ترحّم عليهم، واستغفر لهم، وقال: «ما علمت
أنهم مكذبون للرسول (صلى الله عليه وسلم)، ولا جاحدون لما جاء به،

لكنهم تأوّلوا فأخطأوا، أو قلّدوا من قال ذلك.

والإمام الشافعي لما ناظر حفص الفرد من أئمة المعطلة في مسألة القرآن، وقال: القرآن مخلوق. قال له الإمام الشافعي: «كفرت بالله العظيم. فكفره ولم يحكم برّدته بمجرد ذلك، ولو اعتقد رّدته وكفره لسعى في قتله، وأفتى العلماء بقتل دعائهم، مثل غيلان القدري؛ والجعد بن درهم؛ وجهم بن صفوان إمام الجهمية، وغيرهم.

وصلّى الناس عليهم، ودفنوه مع المسلمين، وصار قتلهم من باب الصّائل لكفّ ضررهم لا لردّتهم، ولو كانوا كفاراً لرآهم المسلمون كغيرهم. وهذه الأمور مبسّطة في غير هذا الموضع..».

انتهى كلام الشيخ (رحمه الله)، وإنما سقته بطوله لبيان ما تقدّم ممّا أشرت إليه، ولما فيه من إجماع الصّحابة والسّلف، وغير ذلك ممّا فصل. فإذا كان هذا كفر هؤلاء وهو أعظم من الشّرك كما تقدّم بيانه مراراً من كلام الشيخين، مع أنّ أهل العلم من الصّحابة والتابعين وتابعيهم إلى زمن أحمد بن حنبل هم المناظرون، والميّنون لهم مع أنّ قولهم هذا خلاف الكتاب والسنة وإجماع سلف الأمة من الصّحابة فمن بعدهم، وهو خلاف العقل والنقل مع البيان التام من أهل العلم، ومع هذا لم يكفّروهم حتى دعائهم الذين قتلوا لم يكفّروهم المسلمون..

أما في هذا عبرة لكم..!! تكفّرون عوام المسلمين، وتستبيحون دمائهم وأموالهم، وتجعلون بلادهم بلاد حرب، ولم يوجد منهم عشر معشار ما وجد من هؤلاء، وإن وجد منهم شيء من أنواع الشّرك سواء

شرك أصغر أو أكبر جهال لم تقدّم الحجة الذي يكفر تاركها!! أتظنون أن أولئك السادة أئمة أهل الإسلام ما قامت الحجة بكلامهم، وأنتم قامت الحجة بكم، بل والله تكفّرون من لا يكفر من كفرتم، وإن لم يوجد منه شيء من الشرك والكفر.. الله أكبر.. لقد جئتم شيئاً إذاً^(١).

يا عباد الله.. إتقوا الله، خافوا إذا البطش الشديد، لقد آذيتم المؤمنين والمؤمنات: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ بَغَيْرِ مَا اكْتَسَبُوا فَقَدْ احْتَمَلُوا بُهْتَانًا وَإِثْمًا مُبِينًا﴾^(٢)..

والله.. ما لعباد الله.. عند الله ذنب، إلا أنهم لم يتبعوكم على تكفير من شهدت النصوص الصحيحة بإسلامه، وأجمع المسلمون على إسلامه، فإن اتبعوكم أغضبوا الله تعالى ورسوله (صلى الله عليه وسلم)، وإن عصوا آراءكم حكمتهم بكفرهم وردّتهم.

وقد روى عن النبي (صلى الله عليه وسلم) أنه قال: «لست أخاف على أمي جوعاً يقتلهم، ولا عدواً يجتاحهم، ولكن أخاف على أمي أئمة مضلين إن أطاعوهم فتنوهم، وإن عصوهم قتلوهم»^(٣).

^(١) يشير المؤلف إلى الآية الكريمة من سورة مريم: ﴿لَقَدْ جِئْتُمْ شَيْئاً إِذَا﴾ (آية ٨٩).

^(٢) سورة الأحزاب: آية (٥٨).

^(٣) صحيح، الطبراني في [المعجم الكبير]: (ج ٨/ص ١٤٩/حديث ٧٦٥٣) عن أبي أمامة الباهلي، والهيتمي في [مجمع الزوائد]: (ج ٧/ص ٢٣٩)، وأحمد بن حنبل في [المسند]: (حديث ٢١٨٨٨)، وأبو داود في [السنن]: (حديث ٤٢٥٢)، وابن ماجه في [السنن]: (حديث ٣٩٥٢) عن ثوبان مولى رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم).

رواه الطبراني من حديث أبي أمامة .
 وكان أبو بكر الصديق (رضي الله عنه) يقول: أطيعوني ما أطعت
 الله، وإن عصيت فلا طاعة لي عليكم^(١).
 ويقول: أنا أخطيء وأصيب^(٢).
 وإذا ضربه أمر جمع الصحابة واستشارهم.
 وعمر يقول مثل ما قال أبو بكر، ويفعل مثل ما فعل، وكذلك
 عثمان، وعلي (رضوان الله تعالى عليهم أجمعين)، وأئمة أهل العلم لا
 يلزمون أحد أن يأخذ بقولهم.
 بل لما عزم الرشيد بحمل الناس على الأخذ بـ [موطأ] الإمام مالك
 (رضي الله عنه)، قال له مالك: لا تفعل يا أمير المؤمنين فإن العلم انتشر
 عند غيري.
 أو كلاماً هذا معناه.
 وكذلك جميع علماء أهل السنة لم يلزم أحد منهم الناس الأخذ بقوله،
 وأنتم تكفرون من لا يقول بقولكم، ويرى رأيكم.
 سألتك يا الله: أنتم معصومون فيجب الأخذ بقولكم!
 فإن قلت: لا، فلم توجبون على الأمة الأخذ بقولكم؟ أم ترعمون
 أنكم أئمة تحب طاعتكم؟ فأنا أسألك يا الله هل اجتمع في رجل منكم
 (١) [المنتظم في تاريخ الأمم والملوك]: (ج ٧/ص ٦٨، وص ٦٩، وص ٧٠) «أحداث
 سنة (١١هـ)».
 (٢) المصدر السابق.

شروط الإمامة التي ذكرها أهل العلم؟! أو حتى خصلة واحدة من شروط الإمامة بالله عليكم؟..

انتهوا، أو اتركوا التعصب، هبنا عذرنا العامي الجاهل الذي لم يمارس شيئاً من كلام أهل العلم، فأنت ما عذرَكَ عند الله إذا لقيته..
بالله عليك.. تنبه واحذر عقوبة جبار السماوات والأرض، فقد نقلنا لك كلام العلم، وإجماع أهل السنة والجماعة الفرقة الناجية، وسيأتيك إن شاء الله ما يصير سبباً لهداية من أراد الله هدايته.

فصل:

« الحادي عشر: يمكن أن يجتمع في الشخص إيمان ونفاق »

قال ابن القيم في [شرح المنازل]: أهل السنة متفقون على أن الشخص الواحد يكون فيه ولاية لله، وعداوة من وجهين مختلفين، ويكون محبوباً لله مبغوضاً من وجهين، بل يكون فيه إيمان ونفاق، وإيمان وكفر، ويكون إلى أحدهما أقرب من الآخر، فيكون إلى أهله كما قال تعالى: ﴿هُم لِلْكَافِرِ يَوْمَئِذٍ أَقْرَبُ مِنْهُمْ لِلْإِيمَانِ﴾^(١).

^(١) سورة آل عمران: آية (١٦٧)، ونظام الآية: ﴿وليعلم الذين نافقوا وقيل لهم تعالوا قاتلوا في سبيل الله أو ادفعوا قالوا لو نعلم قتالاً لأتبعناكم هم للكفر يومئذٍ أقرب منهم للإيمان يقولون بأفواههم ما ليس في قلوبهم والله أعلم بما يكتمون﴾.

وقال: ﴿وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُمْ بِاللَّهِ إِلَّا وَهُمْ مُشْرِكُونَ﴾ ^(١).

فأثبت لهم تبارك وتعالى مع مقارنة الشِّرك، فإن كان مع هذا الشِّرك تكذيباً لرسله لم ينفعهم ما معهم من الإيمان، وإن كان تصديقاً برسله وهم يرتكبون الأنواع من الشِّرك لا يخرجهم عن الإيمان بالرسول واليوم الآخر، فهم مستحقون للعيد أعظم من استحقاق أهل الكبائر، وبهذا الأصل أثبت أهل السنة دخول أهل الكبائر النار.

ثم خروجهم منها ودخلوهم الجنة لما قام بهم من السَّيِّئَاتِ قال:
وقال ابن عباس في قوله تعالى: ﴿مَنْ لَمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ﴾ ^(٢).

قال ابن عباس (رضي الله عنهما): ليس بكفر ينقل عن الملة إذا فعله فهو به كفر، وليس كمن كفر بالله واليوم الآخر.
وكذلك قال طاووس وعطاء.. إنتهى كلامه.

وقال الشيخ تقي الدين: كان الصَّحابة والسَّلف يقولون إنه يكون في العبد إيمان ونفاق، وهذا يدلّ عليه قوله عزّ وجل: ﴿هُمُ لِلْكَفْرِ يَوْمَئِذٍ

^(١) سورة يوسف: آية (١٠٦).

^(٢) سورة المائدة: آية (٤٤)، وتام الآية: ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَا التَّوْرَةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ يُحْكَمُ بِهَا النَّبِيُّونَ الَّذِينَ أَسْلَمُوا الَّذِينَ هَادُوا وَالرَّبَّانِيُّونَ وَالْأَحْبَارُ بِمَا اسْتَحْفَظُوا مِنْ كِتَابِ اللَّهِ وَكَانُوا عَلَيْهِ شُهَدَاءَ فَلَا تَخْشَوْنَ النَّاسَ وَاخْشَوْا اللَّهَ وَلَا تَشْتَرُوا بِآيَاتِي ثَمَنًا قَلِيلًا وَمَنْ لَمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرِينَ﴾.

أَقْرَبُ مِنْهُمْ لِلْإِيمَانِ ﴿١﴾ .

وهذا كثير في كلام السلف يبينون أنَّ القلب يكون فيه إيمان ونفاق، والكتاب والسنة يدل على ذلك، ولهذا قال النبي (صلى الله عليه وسلم): « يخرج من النار من كان في قلبه مثقال ذرة من إيمان »^(٢) .

فعلم أنه من كان معه من الإيمان أقلّ قليل لم يخلد في النار، وإن كان معه كثير من النفاق فهذا يعذب في النار على قدر ما معه ثم يخرج.

إلى أن قال: وتمام هذا أنَّ الإنسان قد يكون فيه شعبة من شعب الإيمان وشعبة من شعب الكفر وشعبة من شعب النفاق وقد يكون مسلماً وفيه

^(١) سورة آل عمران: آية (١٦٧)، وتمام الآية: ﴿ وليعلم الذين نافقوا وقيل لهم تعالوا قاتلوا في سبيل الله أو ادفعوا قالوا لو نعلم قتالاً لاتبعناكم هم للكفر يومئذ أقرب منهم للإيمان يقولون بأفواههم ما ليس في قلوبهم والله أعلم بما يكتمون ﴾ .

^(٢) [صحيح مسلم]: (ج ١/ص ١٢٥)، وإسن ماجة في [السنن]: (حديث ٤٣١٢)، و[الطيالسي]: (حديث ١٩٦٦)، و[الترمذي]: (ج ٢/ص ٩٨)، و[إسن خزيمة]: (حديث ١٨٩)، والبخاري في [الصحيح]: (ج ٤/ص ٤٥٤).

وأحمد بن حنبل في [المسند]: (ج ٣/ص ١١٦)، و[إسن حاتم]: (ج ٤/ص ٤١١)، وإسن أبي عاصم في [السنة]: (ج ٢/ص ٣٩٥/حديث ٨٤٩) عن أبي سعيد الخدري، وعن أنس بن مالك قال: قال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم): « أخرجوا من النار من كان في قلبه مثقال حبة من خردل من إيمان »، أخرجهم مسلم في [الصحيح]: (حديث ١٩٣)، وأحمد بن حنبل في [المسند]: (حديث ٢١٨٧)، والبخاري في [الصحيح]: (حديث ٧٥١٠).

كفر دون الكفر الذي ينقل عن الإسلام بالكلية، كما قال الصحابي ابن عباس وغيره كفر دون كفر، وهذا عامة قول السلف.. إنتهى.

فتأمل هذا الفصل، وانظر حكايتهم الإجماع من السلف، ولا تظن أن هذا في المخطئ فإن كان ذلك مرفوع عنه أثم خطأه كما تقدّم مراراً عديدة، فأنتم الآن تكفّرون بأقلّ القليل من الكفر، بل تكفّرون بما تظنون أنتم أنه كفر، بل تكفّرون بصريح الإسلام فإنّ عندكم أن من توقّف عن تكفير من كفرتموه خائفاً من الله تعالى في تكفير من رأى عليه علامات الإسلام، فهو عندكم كافر.

نسأل الله العظيم أن يخرجكم من الظلمات إلى النور، وأن يهدينا وإياكم صراط المستقيم، صراط الذين أنعم عليهم من النبيين والصدّيقين والشهداء والصالحين.

فصل:

« الثاني عشر: حول المنافقين »

قال الشّيخ تقي الدين في [كتاب الإيمان]: الإيمان الظّاهر الذي تجري عليه الأحكام في الدنيا لا يلتزم الإيمان في الباطن، وإنّ المنافقين الذين قالوا: ﴿ آمَنَّا بِاللّهِ وَبِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَمَا هُمْ بِمُؤْمِنِينَ ﴾^(١) هم في الظّاهر

^(١) سورة البقرة: آية (٨)، وتامم الآية: ﴿ ومن النّاس من يقول آمنا بالله وباليوم الآخر وما هم بمؤمنين ﴾.

مؤمنون، يصلّون مع المسلمين، ويناكحونهم، ويوارثونهم كما كان المنافقون على عهد رسول الله (صلى الله عليه وسلم)، ولم يحكم النبي (صلى الله عليه وسلم) فيهم بحكم الكفار المظهرين الكفر لا في مناكحتهم، ولا في موارثتهم، ولا نحو ذلك، بل لما مات عبد الله ابن أبي وهو من أشهر الناس في النفاق، ورثه عبد الله ابنه، وهو من خيار المؤمنين، وكذلك سائر من يموت منهم ورثته المؤمنون، وإذا مات لهم وارث ورثوه مع المسلمين، وإن علم أنه منافق في الباطن، وكذلك كانوا في الحدود والحقوق كسائر المسلمين، وكانوا يغزون مع النبي (صلى الله عليه وسلم) ومنهم من هم يقتل النبي (صلى الله عليه وسلم) في غزوة تبوك^(١)، ومع هذا ففي الظاهر تجري عليهم أحكام أهل الإيمان.

إلى أن قال: ودمائهم وأموالهم معصومة، لا يستحلّ منهم ما يستحلّ

(١) يشير المؤلف الى حديث أبو الطمیل: «قال: كان بين رجل من أهل العقبة وبين حذيفة بعض ما يكون بين الناس، فقال: أنشدك بالله كم كان أصحاب العقبة، قال: فقال له القوم: أخبره إذا سألك، قال: كنا نخبر أنهم أربعة عشرة فإن كنت منهم فقد كان القوم خمسة عشر وأشهد بالله أنّ إثني عشر منهم حرب لله ولرسوله في الحياة الدنيا ويوم يقوم الأشهاد، وعذر ثلاثة قالوا: ما سمعنا منادي رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) ولا علمنا بما أراد القوم، وقد كان في حرّة فمشى فقال: أنّ الماء قليل فلا يسبقني إليه أحد فوجد قوماً قد سبقوه فلعنهم يومئذ».

أخرجه مسلم في [الصحيح]: (ج ٨/ص ١٢٢، وص ١٢٣).

من الكفار، والذين يظهرون أنهم مؤمنون بل يظهرون الكفر دون الإيمان، فإنه (صلى الله عليه وسلم) قال: «أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله وأني رسول الله فإذا قالوها عصموا مني دماءهم وأموالهم إلا بحقها وحسابهم على الله»^(١).

ولما قال لأسامة: أقتلته بعد أن قال لا إله إلا الله؟! قال: فقلت إنما قالها تعوذاً! قال: هل شققت عن قلبه^(٢). وقال: إني لم أؤمر أن أنقب عن قلوب الناس، ولا أشقّ بطونهم^(٣). وكان إذا استؤذن في قتل رجل يقول: أليس يصلي؟ أليس يشهد؟ فإذا قيل له: أنه منافق ذلك^(٤).

(١) [صحيح البخاري]: (حديث ١٣٩٩، وحديث ١٤٥٦، وحديث ١٤٥٧)، وأحمد بن حنبل في [المسند]: (ج ٣/ص ٢٧٠، وص ٢٧١) عن أبي هريرة (حديث ١١٧)، والنسائي في [السنن]: (ج ٦/ص ٥- وج ٧/ص ٧٨). وابن حبان في [الصحيح]: (حديث ٢١٦)، ومسلم في [الصحيح]: (حديث ٢٠)، والترمذي في [الصحيح]: (حديث ٢٦٠٧)، وأبو داود في [السنن]: (حديث ١٥٥٦).
(٢) [صحيح مسلم]: (حديث ٩٦)، و[أبو داود]: (حديث ٢٦٤٣)، و[أحمد بن حنبل]: (حديث ٢١٢٩٥).

(٣) [صحيح البخاري]: (حديث ٤٣٥١)، ومسلم في [الصحيح]: (حديث ١٠٦٤)، وأحمد بن حنبل في [المسند]: (حديث ١٠٦٢٥) عن أبي سعيد الخدري.
(٤) [صحيح مسلم]: (حديث ٣٣)، و[أحمد بن حنبل]: (حديث ٢٣٢٥٩) عن عثمان بن مالك، والنسائي في [السنن]: (حديث ٣٩٨٢)، وأحمد بن حنبل في [المسند]: (حديث ١٥٧٢٧)، والدارمي: (حديث ٢٤٤٦) عن أوس بن حذيفة الثقفي، ومالك بن أنس في [الموطأ]: (حديث ٤١٥) عن عبيد الله بن عدي بن الخيار.

فكان حكمه في دمائهم وأموالهم كحكمه في دماء غيرهم، ولا يستحلّ منها شيئاً مع أنه يعلم نفاق كثير منهم.. إنتهى كلام الشيخ.

قال ابن القيم في [أعلام الموقعين]: قال الإمام الشافعي: فرض الله سبحانه طاعته على خلقه، ولم يجعل لهم من الأمر شيئاً، وأن لا يتعاطوا حكماً على عيب أحد بدلالة، ولا ظن، لقصور علمهم عن علم أنبيائه الذي فرض عليهم الوقوف عمّا ورد عليهم حتى يأتيهم امرء، فإنه سبحانه ظاهر عليهم الحجج، فاجعل عليهم الحكم في الدنيا إلا بما ظهر المحكوم عليه، ففرض على نبيه (صلى الله عليه وسلم) أن يقاتل أهل الأوثان حتى يسلموا فيحقق دمائهم إذا أظهروا الإسلام.

واعلم أنه لا يعلم صدقهم بالإسلام إلا الله تبارك وتعالى، ثم أطلع الله رسوله (صلى الله عليه وسلم) على قوم يظهرون الإسلام، ويسرون غيره، ولم يجعل له أن يحكم عليهم بخلاف حكم الإسلام، ولم يجعل له أن يقضي عليهم في الدنيا بخلاف ما أظهروا، فقال تعالى لنبيه (صلى الله عليه وسلم): ﴿قَالَتِ الْأَعْرَابُ آمَنَّا قُل لَّمْ تُؤْمِنُوا وَلَكِنْ قُولُوا أَسْلَمْنَا﴾^(١)، يعني أسلمنا بالقول مخافة القتل والسي.

ثم أخبر أنه يجيز أن أطاعوا الله تعالى ورسوله (صلى الله عليه وسلم) يعني إن أحدثوا طاعة رسول الله (صلى الله عليه وسلم).

وقال في المنافقين وهم صنف ثان: ﴿إِذَا جَاءَكَ الْمُنَافِقُونَ قَالُوا نَشْهَدُ

^(١) سورة الحجرات : آية (١٤)، وتام الآية: ﴿قَالَتِ الْأَعْرَابُ آمَنَّا قُل لَّمْ تُؤْمِنُوا وَلَكِنْ قُولُوا أَسْلَمْنَا وَلَمَّا يَدْخُلِ الْإِيمَانُ فِي قُلُوبِكُمْ وَإِنْ تُطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ لَا يَلِتْكُمْ مِنْ أَعْمَالِكُمْ شَيْئاً إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾.

إِنَّكَ لَرَسُولُ اللَّهِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُ وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ
لَكَاذِبُونَ اتَّخَذُوا إِيمَانَهُمْ جُنَّةً ﴿١﴾ ، يعني جنة من القتل.

وقال: ﴿سَيَخْلِفُونَ بِاللَّهِ لَكُمْ إِنَّهُمْ لَمِنْكُمْ وَمَا هُمْ مِنْكُمْ﴾ ﴿٢﴾ .
فأمر بقول ما أظهروا ولم يجعل سبحانه لنبيه (صلى الله عليه وسلم)
أن يحكمك عليهم بخلاف حكم الإيمان، وقد أعلم الله سبحانه نبيه
(صلى الله عليه وسلم) أنهم في «الدرك الأسفل من النار» ﴿٣﴾ ، فجعل
حكمه سبحانه على سرائرهم، وحكم نبيه (صلى الله عليه وسلم) في
الدنيا.

إلى إن قال: وقد كذبهم في قولهم في كل ذلك، وبذلك أخرج النبي
(صلى الله عليه وسلم) عن الله سبحانه بما أخبرنا مالك؛ عن ابن شهاب؛
عن عطاء بن يزيد؛ عن عبيد الله بن يزيد؛ بن عدي؛ بن الخيار: أن رجلاً
سار النبي (صلى الله عليه وسلم) فلم يدر ما ساره حتى جهر رسول
الله (صلى الله عليه وسلم) فإذا هو يساره في قتل رجل من المنافقين..

(١) سورة المنافقون: آية (١)، وتام الآية: ﴿فَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ إِنَّهُمْ سَاءَ مَا
كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾.

(٢) سورة التوبة: آية (٥٦)، وتام الآية: ﴿وَيَخْلِفُونَ بِاللَّهِ إِنَّهُمْ لَمِنْكُمْ وَمَا هُمْ مِنْكُمْ
وَلَكِنَّهُمْ قَوْمٌ يَفْرُقُونَ﴾.

(٣) يشير المؤلف إلى الآية من سورة النساء، في قوله تعالى: ﴿إِنَّ الْمُنَافِقِينَ فِي الدَّرَكِ
الْأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ وَلَنْ تَجِدَهُمْ صَرِيحاً﴾ (آية ٤٥).

قال النبي (صلى الله عليه وسلم): أليس يشهد أن لا إله إلا الله؟! قال: بلى ولا صلاة له! فقال النبي (صلى الله عليه وسلم) أولئك الذين نهاني الله عن قتلهم^(١).

ثم ذكر الحديث: «أمرت أن أقاتل الناس»^(٢).
حتى قال: فحاسبهم بصدقهم؛ وكذبهم؛ وسرائرهم، على الله العالم بسرائرهم، المتولى الحكم عليهم دون أنبيائه، وحكام خلقه.

^(١) [صحيح ابن حبان]: (ج ٧/ص ٥٨٤/حديث ٥٩٤).

عن عبد الله بن عدي الأنصاري: «أن النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) بينما هو جالس بين ظهرائي الناس إذ جاءه رجل يستأذنه أن يساره، فساره في قتل رجلٍ من المنافقين، فجهر النبي (صلى الله عليه وسلم) بكلامه وقال الحديث». وأحمد بن حنبل في [المسند]: (حديث ٢٣١٥٨)، و[أنس بن مالك]: (حديث ٤١٥).

^(٢) [صحيح البخاري]: (ج ١/ص ٤١٧)، وأحمد بن حنبل في [المسند]: (ج ٣/ص ١٩٩، وص ٢٢٥)، والبخاري في [شرح السنة]: (ج ١/ص ٦٧/حديث ٤٤)، وأبو داود في [السنن]: (حديث ٢٦٤١).

والترمذي في [السنن]: (حديث ٢٦١١)، و[صحيح]: ابن حبان (ج ١/ص ٢٠٠/حديث ١٧٥، وحديث ٢١٨- وج ٧/ص ٥٥٧/حديث ٥٨٦٥).

عن أنس بن مالك: «أن رسول الله (صلى الله عليه وسلم) قال: أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله وأن محمد رسول الله فإذا شهدوا أن لا إله إلا الله وأن محمد رسول الله، واستقبلوا قبلتنا؛ وأكلوا ذبيحتنا؛ وصلّوا صلاتنا فقد حرمت علينا دماءهم وأموالهم، لهم ما للمسلمين وعليهم ما عليهم».

والحديث عن ابن عمر، وأبو هريرة، وأنس بن مالك، عن حميد الطويل.

وبذلك مضت أحكام رسول الله (صلى الله عليه وسلم) فيما بين العباد من الحدود، وجميع الحقوق أعلمهم أنّ جميع أحكامه على ما يظهرون والله يدين بالسّرائر، فمن حكم على الناس بخلاف ما ظهر عليهم إستدلالاً على ما أظهروا خلاف ما أبطنوا بدلالة منهم أو غير دلالة لم يسلم عندي من خالف التّنزيل والسّنة.

إلى أن قال: ومن أظهر كلمة الإسلام، بأن شهد أن لا إله إلا الله وأنّ محمداً رسول الله (صلى الله عليه وسلم) قبل ذلك منه، ولم يسأل عن كشف حاله، أو عن باطنه، وعن معنى ما لفظ به وباطنه وسريته إلى الله لا إلى غيره من نبي أو غيره، فهذا حكم الله ودينه الذي أجمعت عليه علماء الأمة كلام الشافعي (رحمه الله).

قال ابن القيم بعدما حكى كلام الشافعي: «هذه الأحكام جارية منه (صلى الله عليه وسلم) ثم هي التي مشى عليها الصّحابة والتابعون لهم بإحسان والأئمة وسائر المتبعين له من علماء أمته إلى يوم القيامة..» انتهى.

فصل:

« الثالث عشر: لا يجوز أن يقلّد إلا من جمع شروط الإجتهد »

قد تقدّم لك من كلام أهل العلم وإجماعهم أنّه لا يجوز أن يقلّدوا

ويؤتم به في الدين إلا من جمع شروط الإجتهد إجماعاً.

وتقدّم أنّ من لم يجمع شروط الإجتهد إنّّه يجب عليه التقليد، وأنّ هذا لا خلاف فيه، وتقدّم أيضاً إجماع أهل السنّة أنّ من كان مقراً بما جاء به الرسول (صلى الله عليه وسلم)، ملتزماً له إنّّه وإن كان فيه خصلة من الكفر الأكبر أو الشّرك أن لا يكفّر حتّى تقام عليه الحجّة الذي يكفّر تاركها، وإنّ الحجّة لا تقوم إلّا بالإجماع القطعي لا الظني، وأنّ الذي يقيم الحجّة الإمام أو نائبه، وأنّ الكفر لا يكون إلّا بإنكار الضّروريات من دين الإسلام كالوجود؛ والوحدانية؛ والرسالة؛ وإنكار الأمور الظاهرة كوجوب الصلاة، وأنّ المسلم المقرّ بالرّسول إذا إستند إلى نوع شبهة تخفى على مثله لا يكفّر، وأنّ مذهب أهل السنة والجماعة التّحاشي عن تكفير من انتسب إلى الإسلام، حتّى أنهم يقفون عن تكفير أئمة أهل البدع مع الأمر بقتلهم دفعاً لضررهم لا لكفرهم، وأنّ الشخص الواحد يجتمع فيه الكفر والإيمان، والنفاق والشّرك، ولا يكفّر كلّ الكفر، وإنّ من أقرّ بالإسلام قبل منه سواء كان صادقاً أو كاذباً، ولو ظهرت منه بعض علامات النفاق، وأنّ المكفّرين هم أهل الأهواء والبدع، وأنّ الجهل عذر عن الكفر، وكذلك الشبهة ولو كانت ضعيفة، وغير ذلك مما تقدّم.

فإن وفقت ففي هذا كفاية للزجر عن بدعتكم هذه التي فارقتم بها جماعة المسلمين وأئمتهم، ونحن لم نستنبط، ولكن حكيماً كلام العلماء ونقلهم عن أهل الإجتهد الكامل.

فلنرجع إلى ذكر وجوه تدلّ على عدم صحّة ما ذهبتم إليه من تكفير

المسلم، وإخراجه من الإسلام إذا دعى غير الله، أو نذر لغير الله أو ذبح لغير الله، أو تبرك بقبر، أو تمسح به، إلى غير ذلك مما تكفرون به المسلم، بل تكفرون من لا يكفر من فعل ذلك، حتى جعلتم بلاد الإسلام كفراً وحرماً..

فنقول: عمدتكم في ذلك ما استنبطتم من القرآن، فقد تقدم الإجماع على أنه لا يجوز لمثلكم الاستنباط، ولا يحلّ لكم أن تعمدوا على ما فهمتم من غير الإقتداء بأهل العلم، ولا يحلّ لأحد يؤمن بالله واليوم الآخر، أن يقلّدكم فيما فهمتم من غير إقتداء أئمة الإسلام.

فإن قلتم: مقتدون ببعض أهل العلم في أنّ هذه الأفعال شرك. قلنا: نعم، ونحن نوافقكم على أنّ من هذه الأفعال ما يكون شركاً، ولكن من أين أخذتم من كلام أهل العلم أنّ هذا هو الشرك الأكبر الذي ذكر الله سبحانه في القرآن، والذي يحلّ مال صاحبه ودمه تجري عليه أحكام المرتدين، وإنّ من شك في كفره فهو كافر..

بيّنوا لنا.. من قال ذلك من أئمة المسلمين، وانقلوا لنا.. كلامهم، واذكروا مواضعه، هل أجمعوا عليه، أم اختلفوا؟؟.

فنحن طالعنا بعض كلام أهل العلم، ولم نجد كلامكم هذا، بل وجدنا ما يدلّ على خلافه، وأنّ الكفر بإنكار الضروريات كالوجود والوحدانية والرسالة، وما أشبه ذلك، أو إنكار الأحكام المجمع عليها إجماعاً ظاهراً أو قطعياً كوجوب أركان الإسلام الخمسة، وما أشبهها مع أنّ من أنكر ذلك جاهلاً لم يكفر حتى يعرف تعريفاً تزول معه الجهالة، وحينئذ يكون

مكذباً بالله تعالى ورسوله (صلى الله عليه وسلم) فهذه الأمور التي يكفّرون بها ليست ضروريات..

وإن قلتم: مجمع عليها إجماعاً ظاهراً يعرفه الخاص والعام. قلنا لكم: يئنوناً لنا كلام العلماء في ذلك، وإلا فيئنوناً كلام ألف منهم، وحتى مائة، أو عشرة، أو واحد فضلاً أن يكون إجماعاً ظاهراً كالصلاة.

فإن لم تجدوا إلا العبارة التي في الإقناع منسوبة إلى الشيخ وهي: «من جعل بينه وبين الله وسائط إلى آخره..» فهذه عبارة مجملة، ونطلب منكم تفصيلها من كلام أهل العلم لتزول عنا الجهالة، ولكن من أعجب العجب أنكم تستدلون بها على خلاف كلام صاحبها، وعلى خلاف كلام من أوردوها، ونقلها في كتبه على خصوصيات كلامهم في هذه الأشياء التي تكفّرون بها بل ذكروا النذر والذبح، وبعض الدعاء، وبعضها عدوه في المكروهات كالتيترك؛ والتمسح؛ وأخذ تراب القبور للتبرك؛ والطواف بها.

وقد ذكر العلماء في كتبهم منهم صاحب [الإقناع]، واللفظ له، قال: «ويكره المبيت عند القبر؛ وتخصيصه؛ وتزييقه؛ وتخليقه؛ وتقبيله؛ والطواف به؛ وتبخيره؛ وكتابة الرقاع إليه؛ ودسّها في الأنقاب؛ والاستشفاء بالتربة من الأسقام؛ لأنّ ذلك كلّه من البدع..» انتهى. وأنتم تكفّرون بهذه الأمور.. فإذا قلتم: صاحب [الإقناع] وغيره من علماء الحنابلة كصاحب [الفروع] جهّال لا يعرفون الضّروريات، بل عندكم على لازم مذهبكم كفار.

قلت: هؤلاء لم يحكموا من مذهب أنفسهم، لا هم، ولا أجلّ منهم، بل ينقلون ويحكمون مذهب أحمد بن حنبل أحد أئمة الإسلام الذي أجمعت الأمة على إمامته، أتظنون أنّ الجاهل يجب عليه أن يقلّدكم، ويترك تقليد أئمة أهل العلم، بل أجمع أئمة أهل العلم كما تقدّم أنّه لا يجوز إلاّ تقليد الأئمة المجتهدين، وكلّ من لم يبلغ رتبة الاجتهاد أن يحكي ويفتي بمذهب أهل الاجتهاد، وإنما رخصوا للمستفتي أن يستفتي مثل هؤلاء لأنّهم حاكين مذاهب أهل الاجتهاد أو التقليد للمجتهد لا للحاكي، هذا صرح به عامة أهل العلم إن طلبته من مكانه وجدته. وقد تقدّم لك ما فيه كفاية..

وإنما المقصود أنّ العبارة التي تستدلّون بها على تكفير المسلمين لا تدلّ لمرادكم، وأنّ من نقل هذه العبارة واستدلّ بها هم الذين ذكروا النذر؛ والدعاء؛ والذّبح؛ وغيره، ذكروا ذلك كلّ في مواضعه، ولم يجعلوه كفراً مخرجاً عن الملة، سوى ما ذكره الشّيخ في بعض المواضع في نوع من الدّعاء، كمغفرة الذنوب؛ وإنزال المطر؛ وإنبات النبات، ونحو ذلك ممّا أنّه ذكر أنّ هذا وإن كان كفراً فلا يكفر صاحبه حتى تقوم عليه الحجّة الذي يكفر تاركها وتزول عنه الشبهة، ولم يحكه عن قوله - أي التّكفير بالدعاء المذكور إجماعاً حتى تستدلّون أنتم عليه بالعبارة، بل والله لازم قولكم تكفير الشّيخ بعينه وأحزابه.. نسأل الله العافية.

ومما يدلّ على أنّ ما فهتم من العبارة غير صواب أنّهم عدوا الأمور المكفّرات فرداً فرداً في [كتاب الردّة] في كلّ مذهب من مذاهب الأئمة،

ولم يقولوا أو واحد منهم من نذر لغير الله كفر، بل الشيخ نفسه الذي تستدلون بعبارة ذكر أنّ النذر للمشايخ لأجل الاستغاثة بهم كالحلف بالمخلوق كما تقدّم كلامه، والحلف بالمخلوق ليس شركاً أكبر. قال الشيخ: من قال أنذروا لي تقضى حوائجكم يستتاب. فإن تاب وإلا قتل لسعيه في الأرض بالفساد.

فجعل الشيخ قتله حداً لا كفراً. وكذلك تقدّم عنه من كلامه في خصوص النذور ما فيه كفاية، ولم يقوموا أيضاً من طلب غير الله كفر يأتي إن شاء الله تعالى ما يدلّ على أنّه ليس بكفر، ولم يقولوا من ذبح لغير الله كفراً. أتظنّهم يحكون العبارة ولا عرفوا معناها؟؟ أم هم أوهموا الناس إرادة لإغوائهم أم أحالوا الناس على مفهومكم منها الذي ما فهمه منها من أوردتها ولا من حكيها عمّن أوردتها أم عرفتم من كلامهم ما إن جهلوا هم أم تركوا الكفر الصّراح الذي يكفر به المسلم، ويحلّ ماله ودمه، وهو يعمل عندهم ليلاً ونهاراً جهاراً غير خفي، وتركوا ذلك ما بينوه بل بينوا خلافه حتى جئتم فاستنبطتموه من كلامهم لا والله ما أرادوا بل ما أردتم، وإنّهم في واد وأنتم في واد.

ومّا يدلّ على أنّ كلامكم وتكفيركم ليس بصواب أنّ الصّلاة أعظم أركان الإسلام بعد الشّهادتين، ومع هذاذكروا أنّ من صلاّها رياء الناس ردّها الله عليه، ولم يقبلها منه، بل يقول الله تعالى: «أنا أغنى الشركاء

عن الشُّرك من عمل عملاً أشرك فيه غيري تركته وشركه»^(١).
ويقول له يوم القيامة: «أطلب ثوابك من الذي عملت لأجله»^(٢).
فذكر أنّ ذلك يبطل العمل، ولم يقولوا أنّ فاعل ذلك حلال المال
والدّم بل من لم يكفره كما هو مذهبكم فيما اخف من ذلك بكثير،
وكذلك السّجود الذي هو أعظم هيئات الصّلاة الذي هو أعظم من النذر
والدّعاء وغيره فرّقوا فيه وقالوا من سجد لشمس؛ أو قمر؛ أو كوكب؛
أو صنم كفر.
وأما السّجود لغير ما ذكر فلم يكفّروا به بل عدوّه في كبائر المحرّمات،
ولكن حقيقة الأمر ما قلّدتّم أهل العلم ولا عباراتهم، وإنّما عمدتكم
مفهومكم، وإستباطكم الذي تزعمون أنّه الحقّ من أنكره أنكر الضّروريات..

(١) [صحيح مسلم]: (حديث ٢٩٨٥)، وابن ماجّة في [السنن]: (حديث ٤٢٠٢)، و
أحمد بن حنبل في [المسند]: (حديث ٧٩٣٩، وحديث ٩٦٣٣)، والحاكم في
[المستدرک]: (ج ٢/ص ٥١٧) من طريق بكار بن قتيبة القاضي، وذكره ابن كثير في
[التفسير]: (ج ١/ص ٨٢) من رواية الطّبراني، وذكره السيوطي في [الدّر المنثور]:
(ج ٦/ص ٣٢٥) وزاد نسبه لعبد بن حميد، والطبري في [التفسير]: (حديث ٣٠٤)، والترمذي
في [السنن]: (ج ٤/ص ٢١٠) من رواية حاتم بن اسماعيل.

(٢) أخرجه ابن ماجّة في [السنن]: (حديث ٤٢٠٣)، والترمذي في [السنن]: (حديث
٣١٥٤)، وأحمد بن حنبل في [المسند]: (حديث ١٥٤١١، وحديث ١٧٤٣١) عن أبي سعد بن
أبي فضالة الأنصاري، والحاكم في [المستدرک]: (ج ٤/ص ٤٠٢)، وسكت عنه الطّبراني،
والذهبي في [الكبير]: (ج ١٩/ص ٣١٤/حديث ٧٠٩).

وأما استدلالكم بمشبهة العبارات فتليس، ولكن المقصود إنما نطلب منكم أن تبيّنوا لنا وللناس كلام أئمة أهل العلم بموافقة مذهبكم هذا، وتقلّون كلامهم إزاحة للشبهة، وإن لم يكن عندكم إلاّ القذف، والشتم، والرّمي بالعزلة، والكفر فالله المستعان لأخر هذه الأمة أسوة بأولها الذين أنزل الله عليهم لم يسلموا من ذلك.

فصل:

«الرابع عشر: الدعاء والنذر ليس بكفر»

ومّا يدلّ على عدم صوابكم في تكفير من كفرتموه، وأنّ الدعاء والنذر ليسا بكفر ينقل عن الملة، وذلك أنّ النبي (صلى الله عليه وسلم) أمر في الحديث الصّحيح أن تدرء الحدود بالشبهات^(١).

وقد روى الحاكم في [صحيحه]، وأبو عوانة، والبخاري بسند صحيح، وابن السني عن ابن مسعود (رضي الله تعالى عنه) أنّ النبي (صلى الله عليه

(١) يشير المؤلف إلى قول النبي (صلى الله عليه واله وسلم): «من اتقى الشبهات استبرأ لدينه وعرضه، ومن وقع في الشبهات كراخ يرمى حول الحمى يوشك أن يرتع فيه» أخرجه مسلم في [الصحيح]: (حديث ١٥٩٩)، والبخاري في [الصحيح]: (حديث ٥٢)، وأبو داود في [السنن]: (حديث ٣٣٢٩)، وابن ماجه في [السنن]: (حديث ٣٩٨٤)، وأحمد بن حنبل في [المسند]: (حديث ٢٧٦٣٨)، والدارمي في [السنن]: (حديث ٢٥٣١) كلّهم عن النعمان بن بشير.

وسلم) قال: إذا انفلتت دابة أحدكم بأرض فلان فليناد يا عباد الله..
أحبسوا يا عباد الله.. أحبسوا يا عباد الله.. أحبسوا ثلاثاً.
فإنَّ لله حاضراً سيحبسها^(١).

وقد روى الطبراني: «إن أراد عوناً فليقل: يا عباد الله أعينوني»^(٢).
ذكر هذا الحديث الأئمة في كتبهم، ونقلوه إشاعة وحفظاً للأمة، ولم
ينكروه، منهم النووى في [الأذكار]، وابن القيم في كتابه [الكلم الطيب]،
وابن مفلح في [الآداب].

قال في [الآداب] بعد أن ذكر هذا الأثر، قال عبد الله بن الإمام أحمد:
سمعت أبي يقول: حججت خمس حجج فضلت الطريق في حجة،
وكنت ماشياً فجعلت أقول: يا عباد الله دلّونا على الطريق، فلم أزل
أقول ذلك حتى وقعت على الطريق. انتهى.

أقول: حيث كفرتم من سأل غائباً أو ميتاً، بل زعمتم أن المشركين
الكفار الذين كذبوا الله ورسوله (صلى الله عليه وسلم) أخفّ شركاء ممّن
سأل غير الله في بر أو بحر، واستدللتهم على ذلك بمفهومكم الذي لا يجوز
ولا لغيركم الإعتماد عليه..

^(١) أبو يعلي الموصلي في [المسند]: (حديث ٥٢٦٩) وعنه ابن السني وأبو عوانة
كلّهم عن عبد الله بن مسعود، والطبراني في [الكبير]: (حديث ١٠٥١٨)، والهيثمى
في [مجمع الزوائد]: (ج ١٠/ص ١٣٢)، والألباني في [السلسلة الضعيفة]: (ج ٢/ص
١٠٨، و١٠٩).

^(٢) أنظر: الطبراني في [المعجم الكبير].

هل جعلتم هذا الحديث، وعمل العلماء بمضمونه شبهة لمن فعل شيئاً
مما تزعمون أنه شرك أكبر؟؟؟ فإنّا لله وإنّا إليه راجعون.

قال في [مختصر الروضة]^(١): «الصحیح أنّ من كان من أهل الشّهادتين
فإنه لا يكفر ببدعة على الإطلاق ما استند إلى تأويل يلتبس به الأمر على
مثله، وهو الذي رجّحه شيخنا أبو العباس ابن تيمية..» انتهى.

أتظنّ دعاء الغائب كفراً بالضرورة، ولم يعرفه أئمة الإسلام؟؟؟ أتظنّ
أنّ على تقدير أنّ قولكم صواب تقوم الحجّة على الناس بكلامكم؟! ونحن
نذكر كلام الشيخ تقي الدين الذي استدللتم بعبارته على تكفير المسلمين
بالدّعاء؛ والنذر، وإلاّ ففي ما تقدّم كفاية، ولكن زيادته فائدة.

قال الشيخ (رحمه الله تعالى): في [اقتضاء الصّراط المستقيم]^(٢) «من
قصد بقعة يرجو الخير بقصدها، ولم تستحبه الشّريعة فهو من المنكرات،

^(١) يشير المؤلف إلى كتاب [روضة الطالبين] للشيخ محي الدين أبو زكريا: يحيى بن شرف بن
مرى الخزامي الشافعي. ولد بنوى وهي بلدة بحوران بينها وبين دمشق مسافة يومين في
سنة (٦٣١هـ)، وتوفي في ليلة الأربعاء الرابع عشر من رجب، ودفن في بلده على المشهور.

^(٢) يشير المؤلف إلى كتاب [اقتضاء الصّراط المستقيم في مخالفة أصحاب الجحيم]
للشيخ ابن تيمية: تقي الدين بن أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن عبد الله بن
الخضر بن محمد ابن تيمية النّميري الحوراني الدّمشقي. وتيمية هي والدّة جدّه
الأعلى «محمد» ونسب إليها.

ولد في حرّان من أكبر بلدان الجزيرة بين دجلة والفرات سنة (٦٦١)، وتوفي في
سنة (٧٢٨) من ذي القعدة.

أنظر: ترجمته الصّفحات الأولى من هذا الكتاب.

وبعضه أشدّ من بعض سواء كان شجرة؛ أو عيناً؛ أو قناة؛ أو جبلاً؛ أو مغارة؛ وأقبح أن ينذر لتلك البقعة.

ويقال: أنها تقبل النذر كما يقوله بعض الضّالّين، فإنّ هذا النّذر نذر معصية بإتفاق العلماء لا يجوز الوفاء به .».

ثم ذكر (رحمه الله تعالى) في مواضع كثيرة « موجود في أكثر البلاد في الحجاز منها مواضع كثيرة .».

وقال في مواضع آخر من الكتاب المذكور: « والسّائلون قد يدعون دعاء محرماً يحصل معه ذلك الغرض، ويحصل لهم ضرر أعظم منه .».

ثم ذكر أنّه يكون له حسنات تربى على ذلك، فيعفو الله بها عنه. قال: « وحكى لنا أنّ بعض المجاورين بالمدينة إلى قبر النبي (صلى الله عليه وسلم) انتهى عليه نوعاً من الأطعمة، فجاء بعض الهاشميين إليه فقال: إنّ النبي (صلى الله عليه وسلم) بعث لك هذا، وقال: أخرج من عندنا فإننا من يكون عندنا لا يشتهي مثل هذا .».

قال الشيخ: « وآخرون قضيت حوائجهم، ولم يقل لهم مثل ذلك لإجتهادهم؛ أو تقليدهم؛ أو قصورهم في العلم، فإنه يغفر للجاهل ما لا يغفر لغيره، ولهذا عامة ما يحكي في هذا الباب إنما هو عن قاصري المعرفة، ولو كان هذا شرعاً أو ديناً لكان أهل المعرفة أولى به، ففرق بين العفو عن الفاعل والمغفرة له وبين إباحة فعله.

وقد علمت جماعة ممن سأل حاجته لبعض المقبورين من الأنبياء والصّالحين فقضيت حاجته، وهؤلاء يخرج ممّا ذكرته، وليس ذلك بشرع

فيتبع، وإنما يثبت استحباب الأفعال، وكونها سنة بكتاب الله وسنة رسول الله (صلى الله عليه وسلم)، وما كان عليه السابِقون الأولون، وما سوى هذا من الأمور المحدثَة فلا تستحب، وإن اشتملت أحياناً على فوائد».

وقال أيضاً: «صارت النذور المحرمة في الشرع مأكلاً للسدنة^(١)، والمجاورين العاكفين على بعض المشاهد وغيرها، وأولئك الناذرون يقول أحدهم: مرضت فنذرت، ويقول الآخر: خرج عليّ المحاربون فنذرت، ويقول الآخر: ركبت البحر، ويقول الآخر: حبست فنذرت. وقد قام في نفوسهم من هذه النذور هي السبب في حصول مطلوبهم، ودفع مرهوبهم.

وقد أخبر الصادق المصدوق (صلى الله عليه وسلم) أن نذر طاعة الله فضلاً عن معصيته ليس سبباً للخير^(٢). بل تجد كثيراً من الناس يقول أن

(١) السدنة: جمع سادن وهو البواب أو الحاجب، وفي [مختار الصحاح] «مادة سدن»: السادن خادم الكعبة وبيت الأصنام والجمع «السدنة»، وقد «سدن» من باب نصرَ وكتبَ انتهى.

(٢) يشير المؤلف إلى حديث عبد الله بن عمر أن النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) قال: «إن النذر لا يقدم شيئاً ولا يؤخر وإنما يستخرج بالنذر من البخل».

أخرجه البخاري في [الصحيح]: (حديث ٦٦٩٣)، والنسائي في [السنن]: (حديث ٣٨٠٢)، وأبو داود في [السنن]: (حديث ٣٢٨٧)، وأحمد بن حنبل في [المسند]: (حديث ٥٢٥٣)، والدارمي في [السنن]: (حديث ٢٣٤٠).

المشهد الفلاني والمكان الفلاني يقبل النذر. معنى أنهم نذروا له نذوراً إن قضيت حاجتهم قضيت».

إلى أن قال: «وما يروى أن رجلاً جاء إلى قبر النبي (صلى الله عليه وسلم) فشكى إليه الجذب عام الرمادة، فرآه وهو يأمره أن يأتي عمر فيأمره أن يخرج يستقي بالناس^(١).

قال: مثل هذا يقع كثير لمن هو دون النبي (صلى الله عليه وسلم)، وأعرف من هذا وقائع، وكذلك سؤال بعضهم للنبي (صلى الله عليه وسلم) أو غيره من أمته حاجته فتقضى له، فإن هذا وقع كثير، ولكن عليك أن تعلم أن إجابة النبي (صلى الله عليه وسلم) أو غيره لهؤلاء السائلين لا يدلّ على استحباب السؤال، وأكثر هؤلاء السائلين الملحين لما هم فيه من الحال لو لم يجابوا لاضطرب إيمانهم، كما أن السائلين له في الحياة كانوا كذلك.

وقال (رحمه الله) أيضاً: «حتى أن بعض القبور يجتمع عندها في اليوم من السنة، ويسافر إليها من الأمصار في الحرم؛ أو في صفر؛ أو عاشورا، أو غير ذلك تقصد، ويجتمع عندها فيه، كما تقصد عرفة؛ ومزدلفة في أيام

(١) يشير المؤلف إلى حديث عمر بن الخطاب: أن رجلاً شكى إلى النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) الجذب فرأى النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) في المنام أن يأتي عمر بن الخطاب فاستسقى عمر بالعباس بن عبد المطلب فقال: «اللهم إنا كنا نتوسّل إليك بنينا فسقينا، وإنا نتوسّل إليك بعمّ نبينا فاسقنا، فسقوا».

أخرجه البخاري في [الصحيح]: (حديث ٩٦٤).

معلومة من السنة... » وربما كان الإهتمام بهذه الاجتماعات في الدين والدنيا أشد منكر، حتى أن بعضهم يقول نريد الحج إلى قبر فلان وفلان. وبالجملة هذا الذي يفعل عند هذه القبور هو بعينه نهى عنه النبي (صلى الله عليه وسلم) ^(١).

وهذا هو الذي أنكره أحمد بن حنبل (رحمه الله)، وقال: لقد أفرط الناس في هذا جداً وأكثروا.

وذكر الإمام أحمد ما يفعل عند قبر الحسين (رضي الله عنه). قال الشيخ: «ويدخل في هذا ما يفعل بمصر عند قبر نفيسة، وغيرها، وما يفعل بالعراق عند القبر الذي يقال أنه قبر علي، وقبر الحسين، إلى قبور كثيرة في بلاد الإسلام لا يمكن حصرها...»

^(١) [صحيح مسلم]: (حديث ١٩٧٠)، والترمذي في [السنن]: (حديث ١٠٥٢)، وابن ماجه: (حديث ١٥٦٢، وحديث ١٥٦٣)، والحاكم في [المستدرک]: (ج ١/ص ٣٧٠)، وابن حبان في [الصحيح]: (حديث ٣١٦٤، وحديث ٣١٦٥)، و[أحمد بن حنبل]: (حديث ١٣٧٣٥، وحديث ١٤١٥٥، وحديث ١٦٧٦٤) عن أبي مرثد الغنوي: قال النبي (صلى الله عليه وآله وسلم): «لا تجلسوا على القبور وتصلّوا عليها». وعن جابر بن عبد الله الأنصاري قال: «نهى النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) عن الصلاة على القبور.

أخرجه ابن حبان في [الصحيح]: (حديث ٢٣١٨) عن أنس بن مالك وجابر بن عبد الله وأبي مرثد الغنوي.

أخرجه [مسلم]: (حديث ٩٧٢)، والترمذي في [السنن]: (حديث ١٠٥٠)، والنسائي في [السنن]: (حديث ٧٦٠)، وأبو داود في [السنن]: (حديث ٣٣٢٩).

إنّتهى كلام الشيخ..

فيا عباد الله.. تأملوا.. كم في كلام الشيخ هذا من موضع يردّ مفهومكم من العبارة التي تستدلّون بها من كلامه، ويردّ تكفيركم للمسلمين.

ونحن نذكر بعض ما في ذلك تيمناً للفائدة:

منها: قوله في قصد البقعة؛ والنذر في العيون؛ والشجر؛ والمغارات؛ وما ذكره أنّه من المنكرات، ولم يجب الوفاء به، ولم يقل أنّ فاعل ذلك كافر مرتدّ، حلال المال والدم، كما قلتم.

ومنها: أنّ من الناس من يأمر بالنذر والقصد، لهذه الأشياء التي ذكرها وسّمّاها ضالاً ولم يكفره، كما قلتم.

ومنها: أنّ هذه المواضع؛ وهذه القبور؛ وهذه الأفاعيل، ملأت بلاد الإسلام قديماً، ولم يقل لا هو ولا أحد من أهل العلم أنّها بلاد كفر، كما كفرتم أهلها بل كفرتم من لم يكفرهم.

ومنها: أنه ذكر طلب أهل القبور، وأنه كثر وشاع، وغاية ذلك أنّه حرّمه بل رفع الخطأ عن المجتهد في ذلك، أو المقلّد، أو الجاهل، وأنتم تجعلونهم بهذه الأفاعيل أكفر ممّن كذب رسول الله (صلى الله عليه وسلّم) من كفّار قریش!!

ومنها: أنّ غاية أن يعلم المسلم أنّ هذا لم يشرّعه الله، وأنتم تقولون هذا يعلم بالضرورة أنّه كفر، حتى اليهود والنصارى يعرفون ذلك، ومن لم يكفر فاعله فهو كافر..

فيا عباد الله... إنتهوا.

ومنها: أنه قال: «إجابة النبي (صلى الله عليه وسلم)، أو غيره لهؤلاء السائلين الملحّين لو لم يجابوا لإضطرب إيمانهم»، جعلهم مؤمنين، وجعل إجابة دعائهم (رحمة من الله تعالى لهم) لئلا يضطرب إيمانهم، وأنتم تقولون من فعل فهو كافر، ومن لم يكفره فهو كافر.

ومنها: إنّ هذه الأمور وهي سؤال النبي (صلى الله عليه وسلم) حدثت في زمن الصحابة كالذي شكى للنبي (صلى الله عليه وسلم) القحط، ورآه في النوم فأمره أن يأتي عمر، ولا ذكر أنّ عمر أنكر ذلك، وأنتم تجعلون مثل هذا كافر.

ومنها: أنّ هذه الأمور حدثت من قبل زمن الإمام أحمد، في زمان أئمة الإسلام، وأنكرها من أنكرها منهم، ولا زالت حتى ملأت بلاد الإسلام كلها، وفعلت هذه الأفاعيل كلّها التي تكفّرون بها، ولم يرو عن أحد من أئمة المسلمين أنّهم كفّروا بذلك، ولا قالوا هؤلاء مرتدّون ولا أمروا بجهادهم، ولا سمّوا بلاد المسلمين بلاد شرك وحرب كما قلتم أنتم، بل كفّرت من لم يكفر بهذه الأفاعيل، وإن لم يفعلها، أيظنون أنّ هذه الأمور من الوسائط التي في العبارة الذي يكفر فاعلها إجماعاً، وتمضي قرون الأئمة من ثمان مائة عام، ومع هذا لم يرو عن عالم من علماء المسلمين أنّها كفر بل ما يظنّ هذا عاقل، بل والله لازم قولكم أنّ جميع الأئمة بعد زمان الإمام أحمد (رحمه الله تعالى) علماؤها وآراؤها؛ وعامتها؛ كلّهم كفّار مرتدّون.. فإنّا لله وإنّا إليه راجعون.

واغوثاه..!! إلى الله.. ثم واغوثاه!!
أم تقولون كما بقوا بعض عامتكم أنّ الحجّة ما قامت إلّا بكم، وإلّا
قبلكم لم يعرف دين الإسلام.
يا عباد الله... إنتهوا.

ولكن بكلام الشيخ هذا يستدلّ عليكم على أنّ مفهومكم أنّ هذه
الأفاعيل من الشّرك الأكبر أيضاً، وأنّ مفهومكم أنّ هذه الأفاعيل داخله في معنى
عبارة من جعل بينه وبين الله وسائط إلى آخره، نبّها الله وإياكم من الضّلال.

فصل:

«الخامس عشر: أن لا تهلك الأمة الإسلامية بسنة عامّة»

ومّا يدلّ على بطلان قولكم ما روى مسلم في [صحيحه] عن ثوبان
عن النبي (صلى الله عليه وسلم) أنّه قال: «إنّ الله زوى لي الأرض فرأيت
مشاركها ومغاربها، وأنّ أمّتي سيبلغ ملكها ما زوى لي منها، وأعطيت
الكنزين الأحمر والأبيض، وإنّي سئلت ربّي لأمتي أن لا يهلكها بسنة^(١)
عامّة، وأن لا يسلّط عليهم عدوّاً من سوى أنفسهم، يستبيح بيضتهم^(٢)،

^(١) قال الفيومي في [المصباح المنير]: وأرض سنهاء أصابتها السنة وهي الجذب، مادة: سنة.

^(٢) قال الرازي في [مختار الصّحاح]: وبيضه كلّ شيء حوزته وبيضه القوم ساحتهم،

مادة « ب ي ض ».

وإنَّ ربِّي قال: يا محمد إذا قضيت قضاء إنه لا يردّ، وإنِّي أعطيتك لأمتك أن لا أهلكهم بسنة عامة، وأن لا أسلّط عليهم عدواً من سوى أنفسهم يستبيح بيضتهم، ولو اجتمع عليهم من أقطارها، أو قال من بين أقطارها حتى يكون بعضهم يهلك بعضاً ويسبي بعضهم بعضاً^(١) .. إنتهى.

وجه الدليل من هذا الحديث أنّ النبي (صلى الله عليه وسلم) أخبر أنّه لا يسلّط على هذه الأمّة عدواً سوى من أنفسهم، بل يسلّط بعضهم على بعض.

ومعلوم عند الخاص والعام ممّن له معرفة بالأخبار أنّ هذه الأمور التي تكفّرون بها ملأت بلاد المسلمين من أكثر من سبع مائة عام كما تقدّم نقله، ولو كانت هذه عبادة الأصنام الكبرى، وأنّها الوسائط كما زعمتم فكان أهلها كفّار، أو من لم يكفّروهم فهو كافر، كما قلتُم أنتم الآن، ومعلوم أنّ العلماء والأمراء لم يكفّروهم، ولم يجروا عليهم أحكام أهل الردّة مع أنّ هذه الأمور تفعل في غالب بلاد الإسلام ظاهرة غير خفية، بل كما قال الشيخ صارت ما كل لكثير من الناس، وأيضاً يسافرون إليها من جميع الأمصار أعظم ممّا يسافرون إلى الحج.

ومع هذا كلّه فاخبرونا برجل واحد من أهل العلم وأهل السيف قال:

(١) [صحيح مسلم]: (حديث ٢٨٨٩)، وأبو داود: (حديث ٤٢٥٢)، والترمذي: (حديث ٢١٧٧)، وابن ماجّة: (حديث ٣٩٥٢)، وأحمد بن حنبل: (ج ٥/ص ٢٧٨، و ص ٢٨٤)، والبغوي في [شرح السنن]: (ج ١٤/ص ٢١٥/حديث ٤٠١٥)، وابن حبان في [الصحيح]: (ج ٨/ص ٢٥٢/حديث ٦٦٧٩).

مقاتلكم هذه، بل أجروا عليهم أحكام أهل الإسلام، فإذا كانوا كفّاراً عبّاد أصنام بهذه الأفاعيل والعلماء والأمرء أجروا عليهم أحكام الإسلام فهم بهذا الصنيع - أي العلماء والأمرء - كفّار لأنّ من لم يكفر أهل الشّرك الذين يجعلون مع الله إلهاً آخر فهو كافر، فحيثذ ليسوا من هذه الأئمة بل كفّار سلّطهم الله على هذه الأئمة فاستباحوا بيضتهم، وهذا يردّ هذا الحديث، وهو ظاهر من الحديث لمن تدبّره، والله الموفّق لا ربّ غيره.

فإن قلت: روى هذا الحديث بعينه البرقاني وزاد فيه «إنما أخاف على أمّتي الأئمة المضلّين، وإذا وضع عليهم السيّف لم يرفع إلى يوم القيامة، ولا تقوم الساعة حتى يلحق حي من أمّتي بالمشرّكين، وحتى تعبد فيأم^(١) من أمّتي الأوّثان، وإنه يكون في أمّتي كذّابون ثلاثون كلّهم يزعم أنّه نبي وأنا خاتم النبيين لا نبي بعدي، ولا تزال طائفة من أمّتي على الحق منصورة لا يضرّهم من خذلهم حتى يأتي أمر الله تعالى»^(٢).

قلت: وهذا أيضاً حجة عليكم، يوافق الكلام الأول أنّ قوله (صلى الله عليه وسلم): «إنما أخاف على أمّتي الأئمة المضلّين»، فهذا يدلّ على أنّه ما خاف عليهم الكفر والشّرك الأكبر، وإنما يخاف عليهم المضلّين كما

(١) أي: الجماعات والفتنات. [مختار الصحاح] للرازي، مادة «ف ي أ».

(٢) أحمد بن حنبل في [المسند]: (ج ١٢/ص ٣٣٨، وص ٣٣٩/حديث ١٧٢٥١)، وابن ماجه في [السنن]: (حديث ٣٩٥٢)، وأبو داود في [السنن]: (حديث ٤٢٥٢)، عن عقبه بن عامر يقول: الحديث.

وقع، وما هو الواقع، ولو كانوا يكفرون بعده لودّ أن يسلّط عليهم من يهلكهم، ومّا خاف عليهم أيضاً وضع السيف وأخبر أنّه إذا وضع لا يرفع وكذلك وقع، وهذا من آيات نبوته (صلى الله عليه وسلم) فإنّه وقع كما أخبر، وقوله: « لا تقوم الساعة حتّى يلحق حي من أمّتي بالمشرّكين ».

وهذا أيضاً وقع قوله: « وحتى تعبد فيئام من أمّتي الأوثان»، فهذا حق.

وقوله: « لا يزال طائفة من أمّتي على الحق منصورة » إلى آخره. يدلّ على أنّ هذه الأمور التي ملأت بلاد الإسلام ليست بعبادة الأوثان، فلو كانت هذه الأمور عبادة الأصنام لقاتلتهم الطائفة المنصورة، ولم يعهد، ولم يذكر أنّ أحداً من هذه الأمة قاتل على ذلك، وكفر من فعله، واستحلّ ماله ودمه قبلكم، فإن وجدتم ذلك في قديم الدهر أو حديثه فيّئوه، وأنّى لكم بذلك، وهذا الذي ذكرناه واضح من أول الحديث وآخره، والحمد لله ربّ العالمين.

فصل:

«السادس عشر: بطلان مذهبهم في تكفير من كفروه»

ومّا يدلّ على بطلان مذهبكم في تكفير من كفرتموه ما روى

البخاري في [صحيحه] عن معاوية بن أبي سفيان قال: سمعت النبي (صلى الله عليه وسلم) يقول: من يرد الله به خيراً يفقهه في الدين وإنما قاسم، والله معطي، ولا يزال أمر هذه الأمة مستقيماً حتى تقوم الساعة أو يأتي أمر الله تعالى^(١) .. إنتهى

وجه الدليل منه أن النبي (صلى الله عليه وسلم) أخبر أن أمر هذه الأمة لا يزال مستقيماً إلى آخر الدهر، ومعلوم أن هذه الأمور التي تكفرون بها ما زالت قديماً ظاهرة ملأت البلاد كما تقدّم، فلو كانت هذه الأصنام الكبرى ومن فعل شيئاً من تلك الأفاعيل عابداً للأوثان لم يكن أمر هذه الأمة مستقيماً بل منعكساً بلدهم بلد كفر تعبد فيه الأصنام ظاهراً، وتجري على عبدة الأصنام فيها أحكام الإسلام ..

فأين الإستقامة وهذا واضح جلي؟؟!!

فإن قلت: ورد عن النبي (صلى الله عليه وسلم) في الأحاديث الصحيحة ما يعارض هذا.. وقوله (صلى الله عليه وسلم): «لتبعن سنن

^(١) [صحيح البخاري]: (ج ١/ص ٤٦) «كتاب العلم» (باب من يرد الله به خيراً)، والطبراني في [الكبير]: (ج ٩/ص ١٥١/حديث ٨٧٥٦) عن أبي عبيدة عن عبد الله بن عمر، وفي: (ج ١٩/ص ٣٤٨، وص ٣٤٩/حديث ٨١٠، وحديث ٨١٢) عن معاوية ابن أبي سفيان، وأحمد بن حنبل في [المسند]: (ج ٤/ص ٩٦، وص ١٠٠).

ومسلم في [الصحيح]: (حديث ١٦٤٧٢)، ومالك في [الموطأ]: (حديث ١٦٦٧)، والدارمي في [السنن]: (حديث ٢٢٦) عن معاوية بن أبي سفيان.

من كان قبلكم»^(١)، وما في معناه.

وقوله (صلى الله عليه وسلم): «تفترق هذه الأمة على ثلاث وسبعين ملة كلّها في النار إلا ملة واحدة»^(٢)..

قلت: هذا حق ولا نعارض والحمد لله.

^(١) [مسند]: أحمد بن حنبل (ج ٥/ص ٣٤٠)، والهيثمي في [مجمع الزوائد]: (ج ٧/ص ٢٦١)، والطبراني في [الكبير]: (ج ٦/ص ١٨٦/حديث ٥٩٤٣، وص ٢٠٤/حديث ٦٠١٧).

عن سهل بن سعد، قال: قال رسول الله (صلى الله عليه وسلم): «لتبعن سنن من كان قبلكم شراً بشيراً، وذراعاً بذراع، حتى لو دخلوا جحر ضب لاتبعتهم، قلنا: يا رسول الله اليهود والنصارى؟ قال: فمن إلا اليهود والنصارى».

والبخاري في [الصحيح]: (حديث ٣٤٥٦، وحديث ٧٣٢٠)، ومسلم في [الصحيح]: (حديث ٢٦٦٩)، وابن ماجه في [السنن]: (حديث ٣٩٩٤)، والحاكم في [المستدرک]: (ج ١/ص ٣٧)، والبعوي في [شرح السنة]: (ج ٣/ص ١٢٠، وص ١٢٢) عن أبي هريرة وأبي سعيد الخدري.

^(٢) [صحيح ابن حبان]: (حديث ١٨٣٤)، وأبو داود في [السنن]: (ج ٢/ص ٥٠٣)، وأحمد بن حنبل في [المسند]: (ج ٢/ص ٣٣٢)، والترمذي في [السنن]: (ج ٣/ص ٣٦٧)، وابن ماجه في [السنن]: (ج ٢/ص ٤٧٩).

وإبن أبي عاصم في [السنن]: (ج ١/ص ٣٣/حديث ٦٦، وحديث ٦٧) عن أبي هريرة، والألباني في [سلسلة الأحاديث الصحيحة]: (حديث ٢٠٣)، والطبراني في [الكبير]: (ج ١٩/ص ٣٧٧/حديث ٨٨٥).

وقد بين العلماء ذلك ووضحوه، وأنه قوله: «تفترق هذه الأمة»، فهؤلاء أهل الأهواء كما تقدّم ذكرهم، ولم يكونوا كافرين بل كلّهم مسلمون إلا من أسر تكذيب الرسول (صلى الله عليه وسلم) فهو منافق كما تقدّم في كلام الشيخ من حكاية مذهب أهل السنة في ذلك. وقوله (صلى الله عليه وسلم): «كلّها في النار إلا واحدة»^(١)، فهو وعيد مثل وعيد أهل الكبائر؛ مثل قاتل النفس؛ واكل مال اليتيم؛ واكل الربا، وغير ذلك، وأمّا الفرقة الناجية فهي السالمة من جميع البدع المتبعة لهدي رسول الله (صلى الله عليه وسلم) كما بينّه أهل العلم، وهذا إجماع من أهل العلم كما تقدّم لك.

وأما قوله (صلى الله عليه وسلم): «لتتبعن سنن من كان قبلكم»^(٢)، قال الشيخ (رحمه الله) ليس هذا إخبار عن جميع الأمة، فقد تواتر

(١) صحيح أنظر: الحديث السابق، وتخاريج، وأيضاً أخرجه الجزري في [جامع الأصول]: (ج ١٠/ص ٣٣/حديث ٧٤٩٠) عن أبي هريرة، وأبو داود في [السنن]: (حديث ٤٥٩٩) «باب شرح السنة».

والترمذي في [السنن]: (حديث ٢٦٤٢) في «كتاب الإيمان» (باب ما جاء في افتراق هذه الأمة)، وقال الترمذي: حديث أبي هريرة حسن صحيح، وهو كما قال.

(٢) [صحيح البخاري]: (ج ١٣/ص ٢٥٥) «في كتاب الاعتصام: باب قول النبي (صلى الله عليه وآله وسلم): لتتبعن سنن من كان قبلكم»، و[صحيح مسلم]: (حديث ٢٦٦٩) «في كتاب العلم: باب اتباع سنن اليهود والنصارى»، والبخاري في [شرح السنة]: (ج ١٤/ص ٣٩٢/حديث ٤١٩٦) «باب تغير الناس وذهاب الصالحين».

عنه (صلى الله عليه وسلم) أنه لا تزال من أمته طائفة ظاهره على الحق حتى تقوم الساعة، وأخبر أنه لا تجتمع على ضلالة، وأنه لا يزال يغرس في هذا الدين غرساً يستعملهم بطاعته، فعلم بخبره الصّدق أنه يكون في أمته قوم متمسّكون بهديه الذي هو دين الإسلام محضاً، وقوم منحرفون إلى شعبة من شعب اليهود، أو شعبة من شعب النصارى، وإن كان الرجل لا يكفر بكل الانحراف بل وقد لا يفسق.

وقال (رحمه الله): الناس في مبعث رسول الله (صلى الله عليه وسلم) في جاهلية، فأما بعد مبعث رسول الله (صلى الله عليه وسلم) فلا جاهلية مطلقة، فإنه لا تزال من أمته طائفة ظاهرين إلى قيام الساعة، وأما الجاهلية المقيدة فقد تكون في بلاد المسلمين، أو في بعض الأشخاص، كقوله (صلى الله عليه وسلم): «أربع في أمتي من أمر الجاهلية»^(١).

^(١) [صحيح مسلم]: (حديث ٩٣٤) «كتاب الجنائز» (باب التشديد في النياحة)، وابن الأثير الجوزي في [جامع الأصول]: (ج / ص ١١٠ / حديث ٨٥٨٨) عن أبي مالك الأشعري و(ص ٧٣٧ / حديث ٩٤٣٠، و ص ٧٣٨ / حديث ٩٤٣٢).

عن أبي هريرة، ومسلم في [الصحيح]: (حديث ٦٧) «كتاب الإيمان» (باب إطلاق اسم الكفر على الطعن في النسب والنياحة)، والترمذي في [السنن]: (حديث ١٠٠١) في «كتاب الجنائز» (باب ما جاء في كراهية النوح).

ونص الحديث بتمامه: «أربع في أمتي من أمر الجاهلية لن يدعهنّ الناس: النياحة؛ والفخر في الأحساب؛ والعلوى أجرب بغير فأجرب مائة بغير من أجرب البعير الأول؟؛ والأنواء مطرنا بنوء كذا وكذا»، وأخرجه أيضاً البغوي في [شرح السنة]: (ج ٤ / ص ٤٢١ / حديث ١١٦٩).

فدين الجاهلية لا يعود إلى آخر الدهر عند إخترام أنفس جميع المؤمنين
عموماً.. انتهى كلام الشيخ (رحمه الله تعالى).

فقد تبين لك أنّ دين الإسلام ملأ بلاد الإسلام بنصّ أحاديث رسول
الله (صلى الله عليه وسلم)، وبما فسّره به العلماء الأعلام، وأن كلّ الفرق
على الإسلام بخلاف قولكم هذا، فإن صحّ مذهبكم فلم يبقى على
الأرض مسلم من ثمان مائة سنة إلا أنتم، والعجب كلّ العجب أنّ الفرقة
الناجية وصفها رسول الله (صلى الله عليه وسلم)، وكذلك وصفها أهل
العلم، وليس فيكم خصلة واحدة منها..
فإنّا لله وإنّا إليه راجعون..

فصل:

« السابع عشر: لا يجري الكفر على من ذبح للقبور جاهلاً »

ومّا يدلّ على عدم صحّة مذهبكم ما رواه البيهقي؛ وابن عدي؛ وغيرهم؛
عن النبي (صلى الله عليه وسلم) أنه قال: « يحمل هذا العلم من كلّ خلف عدو
له ينفون عنه تحريف العالين، وإنتحال المبطلين، وتأويل الجاهلين »^(١).
قال في [الآداب]: قال هنا سألت أحمد عن هذا الحديث. قال: صحيح.. إنتهى

^(١) صحيح، [المستدرک]: للحاكم (ج ٤/ص ٤٤٩، وص ٥٥٠، وج ٢/ص ٧١) عن
عمر بن الخطاب؛ وعمران بن حصين. قال في [التلخيص]: على شرط البخاري
ومسلم، وأخرج بعضه من طريق هشام الدستواني عن يحيى.

قال ابن القيم: هذا حديث روى من وجوه يشد بعضها بعضاً، ووجه الدليل منه أن النبي (صلى الله عليه وسلم) وصف حملة علمه الذي بعثه الله به أنهم عدو كل طبقة من طبقات الأمة، وقد تقدّم مراراً أن هذه الأفاعيل التي تجعلون من فعلها كافراً موجودة في الأمة وجوداً ظاهراً من أكثر من سبعماية عام، بل قد ذكر ابن القيم أنها ملأت الأرض، وأخبر أن في الشام وغيره من بلاد المسلمين، بل في كل بلد منها عدّة، وأخبر بأمور عظيمة هائلة تعمل عندها من السجود للقبور؛ والذبح لها؛ وطلب تفريج الكربات؛ وإغاثة اللفهان من أهلها؛ والنذور؛ وغير ذلك، ثم أقسم أنه مقتصر فيما حكى عنهم، وأن فعلهم أعظم وأكثر ممّا ذكره.

وقال: لم نستقص ذكر بدعتهم وشركهم، ومع هذا لم يجر عليهم ولا أحد من أهل العلم من طبقته، ولا الطبقات قبله، ولا بعده من جميع أهل العلم الذين وصفهم (صلى الله عليه وسلم) بالعدالة؛ وحفظ الدين؛ عن غلو الغالين؛ وتأول الجاهلين؛ وإتحال المبطلين؛ لم يجر عليهم أحد منهم الكفر الظاهر، ولم يسمّوا بلاد المسلمين بلاد كفّار، ولا غزوا البلاد والعباد، وسمّوهم مشركين. هذا وهم القائمون بنصرة الحق وهم طائفة المنصورة إلى قيام الساعة.

بل ذكر ابن القيم أن هذه الأفاعيل التي تكفّرون بها، بل تكفّرون من لا يكفر بها، بل تزعمون أنها عبادة الأصنام الكبرى كثرت في بلاد الإسلام، حتى قال: «فما أعزّ من تخلص من هذا، بل أعزّ من لا يعادي من أنكره»، فذكر أن غالب الأمة تفعله، والذي لا يفعله ينكره على ما أنكره، ويعاديه إذا أنكره، فلو كان ما ذهبت إليه حقاً لكانت جميع الأمة..

والعياذ بالله.. كلّها أشركت بالله الشّرك الأكبر، وحسنت فعله، وأنكرت على من أنكره من قبل زمن ابن القيم، فحينئذ يردّ قولكم هذا

الحديث، والحديث الذي قبله، والأحاديث التي تأتي إن شاء الله تعالى، وهذا بين واضح لمن وفق، والحمد لله.

فصل:

« الثامن عشر: قول النبي (ص): لا تزال طائفة من أمتي طاهرين على الحق »

ومّا يدلّ على بطلان مذهبكم ما ورد في [الصّحيحين] عن النبي (صلى الله عليه وسلم): « لا تزال طائفة من أمتي طاهرين على الحق لا يضرّهم من خذلهم ولا من خالفهم إلى يوم القيامة »^(١).

^(١) [صحيح]: مسلم (حديث ١٩٢٠) «كتاب الإمامة» (باب قوله (صلى الله عليه وسلم): « لا تزال طائفة من أمتي طاهرين على الحق »، وأبو داود في [السنن]: (حديث ٤٣٥٢) في «كتاب الفتن: باب ذكر الفتن ودلائلها».

والترمذي في [السنن]: (حديث ٢١٧٧، وحديث ٢٢٣٠) في «كتاب الفتن: باب ما جاء في سؤال النبي (صلى الله عليه وسلم) ثلاثاً لأئمة»، و«باب ما جاء في الأئمة المضلّين»، وابن الأثير الجزري في [جامع الأصول]: (حديث ٦٧٧٦) «في فصل الأمة الإسلامية» (ج ٩/ص ٢٠٤، وص ٢٠٥).

عن سلمة بن نفيل الكندي؛ وثوبان؛ ومعاوية بن أبي سفيان؛ وقرّة بن إيلس؛ وعمران بن حصين؛ وجابر بن عبد الله؛ وعقبة بن عامر، وابن ماجه في [السنن]: (حديث ٣٩٥٢)، وأحمد بن حنبل في [المسند]: (حديث ١٤٦٥٥) عن جابر بن عبد الله الأنصاري.

قال الشيخ تقي الدين: لما ذكر هذا الحديث كانت هذه الأمة كما أخبر به (صلى الله عليه وسلم) أنه قال: «لا تزال فيها طائفة منصوره ظاهرة بالعلم والسيف لم يصبها ما أصاب من قبلها»^(١).

من بني إسرائيل وغيرهم حيث كانوا مقهورين مع الأدعاء، بل إن غلبت في قطر من الأرض كانت في القطر الآخر أمة ظاهرة منصوره، ولم يسلط على مجموعها عدواً من غيرهم، ولكن يقع بينهم اختلاف وفتن. قال: ومذهب أهل السنة والجماعة ظاهرون أهلهم إلى يوم القيامة، وهم الذين قال فيهم النبي (صلى الله عليه وسلم): «لا تزال طائفة من أمتي....».. إنتهى.

أقول: وجه الدلالة من هذا الحديث أن هذه الطائفة التي ذكرها رسول الله (صلى الله عليه وسلم) ظاهرة ليست بخفية كما يزعم عندكم، وأيضاً منصوره ليسوا بأذلاء محتفين، وأيضاً ما خلت بلاد الإسلام، منهم يوماً، وأيضاً كما قال الشيخ «لم يسلط عليهم الأعداء وتقهروهم» فإذا كانت هذه أوصافهم بنص الصادق المصدق (صلى الله عليه وآله وسلم)، وهذه الأمور التي تكفرون بها ملأت بلاد الإسلام من أكثر من

^(١) وفي لفظ آخر: «لا تزال طائفة من أمتي منصورين لا يضرهم من خذلهم حتى تقوم الساعة»، عن معاوية بن قرة.

أنظر: الترمذي في [السنن]: (حديث ٢١٩٢)، وابن ماجه في [السنن]: (حديث ٦ وحديث ٧)، [السلسلة الصحيحة] للألباني: (حديث ٦، وحديث ٥).

وأحمد بن حنبل في [المسند]: (حديث ١٥١٦٩، وحديث ١٥١٧٠، وحديث ١٩٨٤٩، وحديث ١٩٨٥٤) عن قرة بن إياس المزني.

سبعماية عام، وأنتم تزعمون أنّ هذه عبادة غير الله، وأنّ هذه الوسايط المذكورة في القرآن، ومع هذا لم يذكر في زمن من الأزمان أنّ أحداً قال ما قلتم، أو عمل ما عملتم، بل ما تجدون ما تحتجّون لشبهتكم إلاّ أن علياً (عليه السلام) قتل من قال أنت الله، وأنّ الصديق قاتل أهل الردّة، أو بعبارة مجملة يعرف كلّ من له ممارسة في العلم أنّ مفهومكم هذا منها ضحكة..

فالحمد لله على زوال الإلتباس والإشتباه.. أما والله إنّ هذا الحديث وحده يكفي في بطلان قولكم لو كان ثمّ أذن واعية.
نسأل الله أن ينقذكم من الهلكة.. إنه جواد كريم.

فصل:

« التاسع عشر حول قول النبي (ص): رأس الكفر نحو المشرق »

ومّا يدلّ على بطلان مذهبكم ما في [الصحيحين] عن أبي هريرة (رضي الله عنه) عن النبي (صلى الله عليه وسلم) أنّه قال: « رأس الكفر نحو المشرق »^(١).

(١) [صحيح]: البخاري (ج ٦/ص ٤٥٠)، ومسلم في [الصحيح]: (حديث ٥٢، وحديث ٨٥)، وأحمد بن حنبل في [المسند]: (ج ٢/ص ٤١٨، وص ٤٢٤، وص ٥٠٦)، والمالكي في [المعارج]: (ج ٢/ص ٨٧٠)، والبخاري في [شرح السنن]: (ج ١٤/ص ٢٠٤/حديث ٤٠٠٣) عن أبي هريرة.

وفي رواية: «الإيمان يمانى، والفتنة من ها هنا حيث يطلع قرن الشيطان»^(١).
وفي [الصحيحين] أيضاً عن ابن عمر (رضي الله تعالى عنه) عن النبي
(صلى الله عليه وسلم) أنه قال وهو مستقبل المشرق: «إنَّ الفتنة ها هنا»^(٢).

^(١) [صحيح البخاري]: (ج ٦/ص ٢٤١) «كتاب بدء الخلق: باب صفة إبليس وجنوده»، وفي
«كتاب الجهاد: باب ما جاء في بيوت أزواج النبي (صلى الله عليه وسلم)»، وفي «كتاب الأنبياء:
باب نسبة اليمن إلى إسماعيل»، وفي «كتاب الطلاق: باب الإشارة في الطلاق والأمور»، وفي
«كتاب الفتن: باب قول النبي (صلى الله عليه وآله وسلم): الفتنة من قبل المشرق».

ومسلم في [الصحيح]: (حديث ٢٩٠٥) في «كتاب الفتن وأشرط الساعة: باب
الفتنة من المشرق من حيث يطلع قرنا الشيطان»، وأحمد بن حنبل في [المسند]: (ج ٢
ص ٢٣، و ص ٢٩، و ص ١١١، و ص ١٢١)، والترمذي في [السنن]: (حديث ٢٢٩٩).
والبغوي في [شرح السنة]: (ج ١٤/ص ٢٠٤/حديث ٤٠٤) في «باب ذكر أهل
اليمن وذكر أويس القرني» (ج ٤/ص ٢٠٢/حديث ٤٠٠٢).

^(٢) [صحيح ابن حبان]: (ج ٨/ص ٢٢٣/حديث ٦٦١٤، و ص ٢٢٤) عن ابن عمر
قال: رأيت رسول الله (صلى الله عليه وسلم) يشير نحو المشرق ويقول: «ها هنا إنَّ
الفتنة ها هنا إنَّ الفتنة هنا من حيث يطلع قرن الشيطان».

والبخاري في [الصحيح]: (ج ٦/ص ٢٤١) في «كتاب بدء الخلق: باب صفة
إبليس وجنوده، ومسلم في [الصحيح]: «كتاب الفتن وأشرط الساعة: باب الفتنة
من المشرق من حيث يطلع قرنا الشيطان»، والترمذي في [السنن]: (حديث ٢٢٦٩) والبخاري
في [الصحيح]: «كتاب الفتن: باب قول النبي (صلى الله عليه وآله وسلم): «الفتنة من قبل
المشرق» (حديث ٦٦٨٠) عن عبد الله بن عمر: أنه سمع رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم)
وهو مستقبل المشرق يقول: «ألا إنَّ الفتنة ها هنا، من حيث يطلع قرن الشيطان».

وللبخاري عنه أيضاً مرفوعاً: «اللهم بارك في شامنا ويمتنا، اللهم بارك في شامنا ويمتنا»..

قالوا: وفي نجدنا.. قال: «اللهم بارك في شامنا ويمتنا».. وقالوا: وفي نجدنا.. قال الثالثة: «هناك الزلازل والفتن، ومنها يطلع قرن الشيطان»^(١).

ولأحمد من حديث ابن عمر مرفوعاً: «اللهم بارك لنا في مدينتنا، وفي صاعنا، وفي مدنا، ويمتنا، وشامنا، ثم استقبل مطلع الشمس، فقال: ها هنا يطلع قرن الشيطان»^(٢).

(١) [صحيح البخاري]: (ج ٢/ص ٤٣٢) «كتاب الإستسقاء: باب ما قيل في الزلازل والآيات»، والترمذي في [السنن]: (حديث ٣٩٤٨)، والبخاري في [شرح السنة]: «باب ذكر الشام» (ج ١٤/ص ٢٠٦/حديث ٤٠٦) عن ابن عمر، عن نافع، عن ابن عوف، والأصفهاني في [الحلية]: (ج ٦/ص ١٣٣)، وابن حبان في [الصحيح]: (حديث ٧٣٠١) عن عبد الله بن عمر.

(٢) صحيح؛ أحمد بن حنبل في [المسند]: (حديث ٦٠٥٥) وابن خزيمة في [الصحيح]: (حديث ٢٠٩) عن علي بن أبي طالب (عليه السلام)، و[صحيح مسلم]: (حديث ١٣٨٣)، ومالك في [الموطأ]: (ج ٢/ص ٨٨٥)، والبخاري في [شرح السنة]: (ج ٧/ص ٣١٥/حديث ٢٠١٢) عن أبي هريرة «باب فضل المدينة وحب النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) إياها ودعائه لها».

وقال: «من ها هنا الزلازل والفتن» ^(١) .. انتهى.

أقول: أشهد أنّ رسول الله (صلى الله عليه وسلم) لصاّدق فصلوات الله وسلامه وبركاته عليه، وعلى آله وصحبه أجمعين، لقد أدّى الأمانة، وبلّغ الرسالة.

قال الشيخ تقي الدين: «فالمشرق عن مدينته (صلى الله عليه وسلم) شرقاً، ومنها خرج مسيلمة الكذاب الذي ادّعى النبوة، وهو أوّل حادث حدث بعده، وأتبعه خلائق، وقاتلهم خليفته الصديق..» انتهى.

وجه الدلالة من هذا الحديث، من وجوه كثيرة نذكر بعضها:

منها: أنّ النبي (صلى الله عليه وسلم) ذكر أنّ الإيمان يمانى، والفتنة تخرج من المشرق ذكرها مراراً.

ومنها: أنّ النبي (صلى الله عليه وسلم) دعى للحجاز وأهله مراراً، وأبى أن يدعو لأهل المشرق لما فيهم من الفتن خصوصاً نجد.

^(١) [صحيح البخاري]: (ج ٢/ص ٤٣٢) في «كتاب الإستسقاء: باب ما قيل في الزلازل والآيات»، والترمذي في [السنن]: (حديث ٣٩٤٨)، والبخاري في [شرح السنة]: (ج ١٤/ص ٢٠٦، وص ٢٠٧/حديث ٤٠٠٦).

عن ابن عمر، عن نافع، عن ابن عوف، قالوا: يا رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) وفي نجدنا؟ فأظنه قال في الثالثة: هناك الزلازل والفتن وبها يطلع الشيطان، وأحمد بن حنبل في [المسند]: (حديث ٥٩٥١)، وابن حبان في [الصحيح]: (حديث ٧٣٠١).

ومنها: أنّ أوّل فتنة وقعت بعده (صلى الله عليه وسلم) وقعت بأرضنا هذه.. فنقول: هذه الأمور التي تجعلون بها المسلم كافراً، بل تكفّرون من لم يكفره ملأت مكّة؛ والمدينة؛ واليمن؛ من سنين متطاولة.

بل بلغنا أنّ ما في الأرض أكثر من هذه الأمور في اليمن؛ والحرمين؛ وبلدنا هذه هي أوّل من ظهر فيها الفتن، ولا نعلم في بلاد المسلمين أكثر من فتنها قديماً وحديثاً، وأنتم الآن مذهبكم إنّهُ يجب على العامة اتّباع مذهبكم، وأنّ من اتّبعه ولم يقدر على اظهاره في بلده، وتكفير أهل بلده، وجب عليه الهجرة إليكم، وأنّكم الطائفة المنصورة، وهذا خلاف هذا الحديث، فإنّ رسول الله (صلى الله عليه وسلم) أخبره الله بما هو كائن على أمّته إلى يوم القيامة، وهو (صلى الله عليه وسلم) أخبر بما يجري عليهم، ومنهم فلو علم أنّ بلاد المشرق خصوصاً نجد بلاد مسيلمة أنّها تصير دار الإيمان، وأنّ الطائفة المنصورة تكون بها وأنّها بلاد يظهر فيها الإيمان، ولا يخفى في غيرها، وأنّ الحرمين الشريفين واليمن تكون بلاد كفر تعبد فيها الأوثان وتجب الهجرة منها لا خير بذلك، ولدعى لأهل المشرق خصوصاً نجد، ولدعى على الحرمين اليمن، وأخبر أنّهم يعبدون الأصنام وتبرأ منهم، إذا لم يكن إلّا ضد ذلك فإنّه (صلى الله عليه وسلم) عمّ المشرق وخصّ نجد بأنّ منها يطلع قرن الشيطان، وأنّ منها وفيها الفتن وامتنع من الدّعاء لها وهذا خلاف زعمكم، وأنّ اليوم عندكم الذين دعى لهم رسول الله (صلى الله عليه وسلم) كفّار، والذين أبا أن يدعوا لهم وأخبر أنّ منها يطلع قرن الشيطان، وأنّ منها الفتن هي بلاد الإيمان تجب

المجرة إليها، وهذا بين واضح من الأحاديث إن شاء الله.

فصل:

« العشرون: قول النبي (ص): لا أخشى عليكم أن تشركوا بعدي »

ومما يدلّ على بطلان مذهبكم ما في [الصحيحين] عن عقبة بن عامر أنّ النبي (صلى الله عليه وسلم) صعد المنبر، فقال: «إني لست أخشى عليكم أن تشركوا بعدي، ولكن أخشى عليكم الدنيا أن تنافسوا فيها فتقتلوا فتهلكوا كما هلك من كان قبلكم».

قال عقبة: «فكان آخر ما رأيت رسول الله (صلى الله عليه وسلم) على المنبر»^(١).. انتهى. وجه الدلالة منه أنّ النبي (صلى الله عليه وسلم) أخبر بجميع ما يقع على أمته، ومنهم إلى يوم القيامة كما ذكر في أحاديث آخر، ليس هذا

(١) [صحيح البخاري]: (ج ٥/ص ٢١٤/حديث ٣٨١٦) «كتاب المغازي: باب غزوة أحد»، والطبراني في [الكبير]: (ج ١٧/ص ٢٧٩/حديث ٧٦٨)، ومسلم في [الصحيح]: (حديث ٢٢٩٦) «كتاب الفضائل: باب إثبات حوض نبينا (صلى الله عليه وآله وسلم) وصفاته» عن عقبة بن عامر، عن أبي الخير.

وتمام الحديث عنه قال: صلى رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) على قتلى أحد بعد ثمان سنين، كالمودع للأحياء والأموات، ثم طلع المنبر فقال: «إني بين أيديكم فرط، وأنا عليكم شهيد، وإن موعدهم الحوض، وإنّي لأنظر إليه من مقامي هذا، وإنّي لست أخشى عليكم أن تشركوا، ولكني أخشى عليكم الدنيا أن تنافسوها».

موضعها، ومّا أخبر به هذا الحديث الصّحيح أنّه آمن أنّ أمّته تعبد الأوثان، ولم يخافه عليهم، وأخبرهم بذلك.

وأما الذي يخافه عليهم فأخبرهم به وحذّرهم منه، ومع هذا فوقع ما خافه عليهم، وهذا خلاف مذهبكم. فإنّ أمّته على قولكم عبدوا الأصنام كلّهم، وملأت الأوثان بلادهم إلّا أن كان أحد في أطراف الأرض ما يلحق له خبر، وإلّا فمن أطراف الشّرق إلى أطراف الغرب إلى الرّوم إلى اليمن. كلّ هذا ممتلئ ممّا زعمتم أنّه الأصنام، وقلتم من لم يكفر من فعل هذه الأمور والأفعال فهو كافر، ومعلوم أنّ المسلمين كلّهم أجروا الاسلام على من انتسب إليه، ولم يكفروا من فعل هذا، فعلى قولكم جميع بلاد الإسلام كفّار إلّا بلدكم، والعجب أنّ هذا ما حدث في بلدكم إلّا من قريب عشر سنين، فبان بهذا الحديث خطأوكم.. والحمد لله رب العالمين.

قلت: ورد عن النبي (صلى الله عليه وسلم) أنّه قال: «أخوف ما أخاف عليكم الشرك»^(١).

(١) صحيح، [مسند أحمد بن حنبل]: (ج ١٣/ص ٢٧٠/حديث ١٧٠٥٦) عن شدّاد بن أوس قال: سمعت رسول الله (صلى الله عليه وسلم) يقول: «أخوف على أمّتي الشّرك والشّهوة الخفية. قال: قلت: يا رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) أتشرك أمّتك من بعدك؟»

قال: نعم، إنهم لا يعبدون شمساً؛ ولا قمراً؛ ولا حجراً؛ ولا وثناً؛ ولكن يراؤون بأعمالهم، والشّهوة الخفية أن يصبح أحلهم صائماً فتعرض له شهوة من شهواته فيترك صومه أيضاً» أخرجه الهيثمي في [مجمع الزوائد]: (ج ١٠/ص ٢٢٠)، والطبراني في [الكبير]: (ج ١٧/حديث ٨١٨، وج ١٨/حديث ٥٩٣)، وابن حبان في [الصحيح]: (حديث ٨٠)، والبيهقي في [المسند]: (حديث ١٧٠)، وأحمد بن حنبل في [مسند الشّامتين]: (حديث ١٢٩١)، والهيثمي في [مجمع الزوائد]: (حديث ٩١٥٩) عن معاذ بن جبل، والطبراني في [المعجم الصغير]: (حديث ٩٧٩).

قلت: هذا حق، وأحاديث الرسول (صلى الله عليه وسلم) لا تتعارض، ولكن كل حديث ورد عن النبي (صلى الله عليه وسلم) أنه يخاف على أمته الشُّرك قيده بالشُّرك الأصغر، كحديث شداد بن أوس^(١)؛ وحديث أبي هريرة^(٢)؛ وحديث محمود بن لبيد^(٣)؛ فكلها مقيدة ومبيّنة

^(١) يشير المؤلف إلى حديث شداد بن أوس أنه بكى. فقيل له: ما يبكيك؟ قال: شيئاً سمعته عن رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) يقوله فذكرته فأبكاني...، سمعت رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) يقول: «أتخوف على أمي الشُّرك والشَّهوة الخفية». قال: قلت: يا رسول الله أتشرك أمتك من بعدك؟ قال: نعم.. أما أنهم لا يعبدون شمساً ولا قمراً ولا حجراً ولا وثناً ولكن يراؤون بأعمالهم. والشهوة الخفية أحدكم صائماً فتعرض له شهوته فيترك صومه».

أنظر: ابن ماجة في [السنن]: (حديث ٤٢٠٥)، وأحمد بن حنبل في [المسند]: (حديث ١٧٠٥٦) وحسنه حمزة أحمد الزين.

^(٢) يشير المؤلف إلى حديث أبي هريرة أنّ النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) قال: «إنَّ الله تبارك وتعالى إذا كان يوم القيامة ينزل إلى العباد ليقضي بينهم وكلّ أمة جاثية فأول من يدعو به رجل جمع القرآن، ورجل يقتل في سبيل الله، ورجل كثير المال، فيقول الله لقاريء القرآن: ألم أعلمك ما أنزلت على رسولي؟ قال: بلى يا رب. قال: فماذا عملت فيما علمت؟ قال: كنت أقوم به أثناء الليل وأثناء النهار، فيقول الله له: كذبت، وتقول له الملائكة: كذبت. ويقول الله: بل أردت أن يقال فلاناً قاريء قبل ذلك...» إلى آخر الحديث.

أنظر [صحيح مسلم]: (حديث ١٩٠٥)، والترمذي في كتابه [السنن]: (حديث ٢٣٨٢)، والنسائي في [السنن]: (حديث ٣١٣٧)، وأحمد بن حنبل في [المسند]: (حديث ٨٠٧٨) عن أبي هريرة.

^(٣) أنظر: [صحيح البخاري]: (حديث ٤٠٤٢) ومسلم في [الصحيح]: (حديث ٢٢٩٦)، والطبراني في [الكبير]: (ج ١٧/ص ٢٧٩/حديث ٧٦٨).

إنما خاف رسول الله (صلى الله عليه وسلم) منه على أمته الشّرك الأصغر، وكذلك وقع فإنّه ملأ الأرض.

كما أنه خاف عليهم الإفتنان والقتال على الدنيا، فوقع، وهو أي الشّرك الأصغر هو الذي تسمّونه الآن الشّرك الأكبر، وتكفّرون المسلمين به، بل تكفّرون من لم يكفّرهم، فاتفقت الأحاديث وبان الحق، ووضح..
والحمد لله.

فصل:

« الحادي والعشرون: في قول النبي (ص): إن الشيطان قد يأس أن يعبد في جزيرة العرب »

ومّا يدلّ على بطلان مذهبكم ما روى مسلم في [صحيحه] عن جابر ابن عبد الله عن النبي (صلى الله عليه وسلم) أنه قال: « إن الشيطان قد أيس أن يعبد المصلّون في جزيرة العرب، ولكن في التّحريش بينهم »^(١).

(١) [صحيح مسلم]: (حديث ٢٨١٢) « كتاب صفات المنافقين: باب تحريش الشيطان وبعثه سراياه لفتنة النّاس » عن جابر بن عبد الله الأنصاري، والترمذي في [السنن]: (حديث ٢٢٤٨، وحديث ٥٠٨٢) وصحّحه، وأبو داود في [السنن]: (حديث ٣٣١٨).

وإبن ماجه في [السنن]: (حديث ٣٠٥٥)، والطبراني في [المعجم الكبير]: (ج ١٧/ص ٣١/حديث ٥٨) عن سليمان بن عمرو بن الأحوص عن أبيه قال: سمعت رسول الله (صلى الله عليه وسلم) يقول الحديث.

وروى الحاكم، وصحّحه، وأبو يعلي، والبيهقي، عن ابن مسعود، قال:
قال رسول الله (صلى الله عليه وسلم): «إِنَّ الشَّيْطَانَ قَدْ يُئْسَ أَنْ تَعْبُدَ
الْأَصْنَامَ بِأَرْضِ الْعَرَبِ، وَلَكِنْ رَضِيَ مِنْهُمْ بِمَا دُونَ ذَلِكَ بِالْمَحَقَّرَاتِ، وَهِيَ
الْمُوبَقَاتُ»^(١).

وروى الامام أحمد، والحاكم وصحّحه، وإبن ماجه، عن شدّاد بن
أوس، قال:

سمعت رسول الله (صلى الله عليه وسلم) يقول: «أَتَخَوِّفُ عَلَى أُمَّتِي
الشَّرْكَ؟!»

قلت يا رسول الله: أتشرك أمتك بعدك؟!
قال: نعم أما إنهم لا يعبدون شمساً ولا قمراً؛ ولا وثناً؛ ولكن يراؤن
بأعمالهم»^(٢).. إنتهى.

أقول: وجه الدلالة منه كما تقدّم أنّ الله سبحانه أعلم نبيّه من غيبه
بما شاء وبما هو كائن إلى يوم القيامة، وأخبر (صلى الله عليه وسلم) أنّ

^(١) [صحيح الترمذي]: (حديث ٢٢٤٨، وحديث ٥٠٨٢)، وأبو داود في [السنن]
(حديث ٣٣١٨)، و[ابن ماجه]: (حديث ٣٠٥٥)، والطبراني في [الكبير]: (ج ١٧/
ص ٣١/حديث ٥٨).

^(٢) [مسند أحمد بن حنبل]: (ج ١٣/ص ٢٧٠/حديث ١٧٠٥٦، وحديث ١٧٠٧٥)،
والهيثمى في [مجمع الزوائد]: (ج ١٠/ص ٢٢٠)، والحاكم في [المستدرک]: (ج ١/ص
٦٧٩/حديث ١٨٤٤)، وقال في [التلخيص]: راشد ضعفه الدارقطني وغيره، ووثقه
ابن حبان وإبن ماجه في [السنن]: (حديث ٤٢٠٥).

الشیطان قد یأس أن یعبده المصلّون فی جزیرة العرب فی حدیث ابن مسعود یأس الشیطان أن تعبد الأصنام بأرض العرب، وفی حدیث شداد أنهم لا یعبدون، وهذا بخلاف مذهبکم فإنّ البصرة وما حولها، والعراق من دون دجلة الموضع الذی فیه قبر علی وقبر الحسین (رضی الله عنهما)، وكذلك الیمن کلّها الحجاز کلّ ذلك من أرض العرب، ومذهبکم أنّ هذه المواضع کلّها عبدة الشیطان فیها، وعبدت الأصنام، وکلّهم کفروا ومن لم یکفرهم فهو عندکم کافر، وهذه الأحادیث تردّ مذهبکم، وهذا لا یقال إنّه قد وجد بعض الشّرك بأرض العرب زمن الردّة، فإنّ ذلك فی آن یسیر فهو کالأمر الذی عرض لا یعتدّ به کما أنّ رجلاً أو أكثر من أهل الکفر دخل أرض العرب وعبد غیر الله فی موضع خال أو خفیه، فأما هذه الأمور الّتی تجعلونها شرکاً أكبر وعبادة الأصنام فهي ملأت بلاد العرب من قرون متداولة، فتبیّن بهذه الأحادیث فساد قولکم أنّ هذه الأمور هي عبادة الأوثان الکبری، وتبیّن أيضاً بطلان قولکم أنّ الفرقة النّاجية قد تكون فی بعض أطراف الأرض، ولا یأتی لها خبر فلو كانت هذه عبادة الأصنام والشّرك الأكبر لقاتل أهل الفرقة النّاجية المنصورون الظّاهرون إلى قیام السّاعة، وهذا الذی ذکرناه واضح جلی..

والحمد لله رب العالمین.

ومن العجب أنکم ترعمون أنّ هذه الأمور - أي القبور وما یعمل عندها النذور - هي عبادة الأصنام الکبری، وتقولون أنّ هذا أمر واضح جلی یعرف بالضرورة حتی الیهود والنصارى یعرفونه.

فأقول: جواباً لكم عن هذا الزعم الفاسد.. سبحانه هذا بهتان عظيم، قد تقدّم مراراً عديدة أنّ الأمة بأجمعها على طبقاتها من قرب ثمانية سنة ملأت هذه القبور بلادها، ولم يقولوا هذه عبادة الأصنام الكبرى، لم يقولوا أنّ من فعل شيئاً من هذه الأمور فقد جعل مع الله إلهاً آخر، ولم يجروا على أهلها حكم عباد الأصنام، ولا حكم المرتدين أي ردّة كانت.

فلو إنكم قلتم: أنّ اليهود لأنهم قوم بهت، وكذلك النصارى، ومن ضاهاهم في بهت هذه الأمّة من مبتدعة الأمّة يقولون أنّ هذه عبادة الأصنام الكبرى، لقلنا صدقتم فإنّ ذلك من بهتهم وحسدهم وغلوهم ورميهم الأمّة بالعظائم بكثير، ولكن الله سبحانه وتعالى مخزيهم ومظهر دينه على جميع الأديان بوعده: ﴿هو الذي أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون﴾^(١) ..

ولكن أقول: صدق رسول الله (صلى عليه وسلم) حيث دعى للمدينة وما حولها، ولليمن، وقال له من حضره: ونجد، فقال: هناك الزلازل والفتن، أما والله لفتنة الشّهوات فتنة، والظلمة التي يعرف كلّ خاص وعام من أهلها أنها من الظلم والتعدي، وأنها خلاف دين الإسلام، وأنه يجب التوبة منها، إنها أخف بكثير من فتنة الشبهات التي تضلّ عن دين الإسلام، ويكون صاحبها من الأخسرين أعمالاً: ﴿الذين ضلّ سعيهم في الحياة الدنيا وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعا﴾^(٢) ..

(١) سورة التوبة: آية (٣٣)، وسورة الصف: آية (٩).

(٢) سورة الكهف: آية (١٠٤).

وفي الحديث الصحيح: «هلك المتنطعون»^(١) قالها ثلاثاً..

فإننا لله وإنا إليه راجعون..

أنقذنا الله وإياكم من الهلكة، إنه رحيم.

فصل:

« الثاني والعشرون: قول النبي (ص) الشیطان قد یأس أن یعبد فی أرضکم »

ومما يدلّ على بطلان مذهبكم ما أخرجها الإمام أحمد؛ والترمذي؛ وصحّحه، والنسائي؛ وابن ماجة؛ من حديث عمرو بن الأحوص قال:
سمعت رسول الله (صلى الله عليه وسلم) يقول في حجة الوداع:
« ألا إنّ الشيطان قد أيس أن يعبد في بلدكم هذا أبداً ستكون له

^(١) [صحيح مسلم]: (حديث ٢٦٧٠)، وأبو داود في [السنن]: (حديث ٤٦٠٨)،
وأحمد بن حنبل في [المسند]: (حديث ٣٦٥٥)، والطبراني في [الكبير]: (حديث
١٠٣٦٨)، وأبو يعلى الموصلي في [المسند]: (حديث ٥٠٠٤)، وحديث ٥٢٤٢،
والبغوي في [شرح السنة]: (حديث ٣٣٩٦)، و[تهذيب الكمال]: (ج ١٢/ص ٤٢)،
والبزار في [المسند]: (حديث ٢٩٠) كلّهم عن ابن مسعود.

طاعة في بعض ما تحقرون من أعمالكم فيرض بها»^(١).

وفي [صحيح] الحاكم، عن ابن عباس، أنّ النبي (صلى الله عليه وسلم) خطب في حجة الوداع، فقال: «الشیطان قد آیس أن یعبد فی أرضکم، ولكن یرضی أن یطاع فیما سوا ذلك فیما تحقرون من أعمالکم، فاحذروا أيها الناس..

إنّی ترکت فیکم ما إن اعتصمتم به لم تضلوا أبداً کتاب الله وسنة نبيه»^(٢) .. إنتهى.

وجه الدلالة أنّ رسول الله (صلى الله عليه وسلم) أخیر فی هذا الحديث الصّحیح أنّ الشیطان یئس أن یعبد فی بلد مكة، وكذلك بقوله أبداً، لئلاّ یتوهّم متوهّم أنّه حدث ثم یزول. وهذا خبر منه (صلى الله عليه وسلم) وهو لا یخیر بخلاف ما یقع، وأیضاً بشرى منه (صلى الله عليه وسلم) لأمته، وهو لا یشّرهم الاّ بالصدّق، ولكنه حذرهم ما سوا عبادة الأصنام لا ما یحقرون، وهذا یبّین واضح من الحديث، وهذه الأمور

^(١) [صحيح الترمذي]: (حديث ٣٠٨٧) في «كتاب التفسير: باب تفسير سورة التوبة»، و«كتاب الفتن: باب تحريج الدماء» (حديث ٢٦١٠)، وابن الأثير الجزري في [جامع الأصول]: (ج ١/ص ٢٥٩، وص ٢٦٠/حديث ٥٢) عن ابن الأحوص، وابن ماجه في [السنن]: (حديث ٢٠٥٥)، وأحمد بن حنبل في [المسند]: (حديث ١٥٠٨١) عن عمرو بن الأحوص الجشمي.

^(٢) [المستدرک]: للحاکم النیسابوری فی «کتاب العلم» (ج ١/ص ٣٩) عن ابن عباس

التي تجعلونها الشُّرك الأكبر، وتسمّون أهلها عبادة الأصنام أكثر ما تكون بمكة المشرفة، وأهل مكة المشرفة أمراؤها وعلمائها وعامتها على هذا من مدّة طويلة أكثر من ستمائة عام، ومع هذا هم الآن أعداؤكم يسبونكم ويلعنوكم لأجل مذهبكم هذا^(١)، وأحكامهم وحكّامهم جارية وعلمائها وأمراؤها على إجراء أحكام الإسلام على أهل هذه الأمور التي تجعلونها الشُّرك الأكبر، فإن كان ما زعمتم حقاً كفّار كفراً ظاهراً، وهذه الأحاديث تردّ زعمكم، وتبيّن بطلان مذهبكم.

هذا وقد قال (صلى الله عليه وسلم) في الأحاديث التي في [الصحيحين] وغيرها، بعد فتح مكة وهو بها «لا هجرة بعد اليوم»^(٢).

^(١) نذكر ان المؤلف قد ألّف كتابه هذا في بداية القرن الثاني عشر الهجري، وما يقوله هنا ينطبق على ما كان عليه الحال منذ أكثر من مائتين وأحد عشر سنة بقليل، حيث خرجت الوهابية من نجد، وقام ضدها علماء الأمة في كلّ أصقاع الأرض بما فيها مكة والمدينة.

^(٢) [صحيح ابن حبان]: (ج ٧/ص ٥٧/حديث ٤٥٧٣) عن ابن عباس و(ص ١٧٩ حديث ٤٨٤٧) عن عائشة، وأحمد بن حنبل في [المسند]: (ج ١٢/ص ٣٤٤/حديث ١٥٢٤٣) عن ابن مسعود و(ص ١٢٦/حديث ١٥٢٤٣) عن صفوان بن أمية.

والبخاري في [الصحيح]: (حديث ٢٧٨٣، وحديث ٢٨٢٥)، والترمذي في [السنن]: (حديث ١٥٩٠)، والدارمي في [السنن]: (حديث ٢٥١٢)، والحاكم في [المستدرک]: (ج ٢/ص ٢٥٧) عن ابن عباس، ومسلم في [الصحيح]: (حديث ١٨٦٤) عن عائشة.

وقد بيّن أهل العلم أنّ المراد لا هجرة من مكّة، ويّبنوا أيضاً أنّ هذا الكلام منه (صلى الله عليه وسلم) يدلّ على أنّ مكّة لا تزال دار إيمان بخلاف مذهبكم فإنكم توجبون الهجرة منها إلى بلاد الإيمان بزعمكم التي سماها رسول الله (صلى الله عليه وسلم) بلاد الفتن.

وهذا واضح جلي صريح لمن وفّقه الله، وترك التعصّب، والتّمادي على الباطل. والله المستعان، وعليه التّكلان.

فصل:

« الثالث والعشرون: في قول النبي (ص) المدينة المنورة خير لهم لو كانوا يعلمون »

وتما يدلّ على بطلان مذهبكم ما روى مسلم في [صحيحه] عن سعد عن النبي (صلى الله عليه وسلم) « المدينة خير لهم لو كانوا يعلمون، لا يسعها أحد رغبة عنها إلاّ أبدله الله فيها من هو خير منه، ولا يثبت أحد إلى لوائها^(١) وجهدها إلاّ كنب له شفيعاً أو شهيداً يوم القيامة »^(٢).

(١) لأوائها: هي الشدّة والجوع والفاقة [مختار الصحاح] للرازي « مادة ل أي ».

(٢) [صحيح مسلم]: حديث (٣٨٨) عن سعد، والحميدي في [المسند]: (حديث ٨٦٥)، والبخاري في [الصحيح]: (حديث ١٨٧٥)، وعبد الرزاق في [المصنف]: (حديث ١٧١٥٩)، وأحمد بن حنبل في [المسند]: (ج ٥/ص ١٢٩، وص ٢٢٠)، والبيهقي في [شرح السنة]: (حديث ٢٠١٨)، والطبراني في [الكبير]: (ج ٧/ص ٧٢/حديث ٦٤٠٧، وحديث ٦٤١٢، وحديث ٦٤٠٩).

وروى أيضاً مسلم في [صحيحه] عن أبي هريرة، أنّ رسول الله (صلى الله عليه وسلم) قال: « لا يصير على لاوى المدينة وشدّتها أحد من أمّتي إلاّ كنت له شفيعاً يوم القيامة »^(١).

وفي [الصحيحين] من حديث جابر، مرفوعاً: « إنّما المدينة كالكير تنفي خبثها وتضع طيبها »^(٢).

وفي [الصحيحين] أيضاً عن النبي (صلى الله عليه وسلم): « على أنقاب المدينة ملائكة لا يدخلها الطّاعون ولا الدّجال »^(٣).

^(١) [صحيح مسلم]: (حديث ١٣٧٤) في «كتاب الحج: باب الترغيب في سكنى المدينة والصبر على بلوائها»، والترمذي في [السنن]: «كتاب المناقب: باب ما جاء في فضل المدينة» (حديث ٣٩٢٠) عن أبي هريرة، وعبد الله بن عمر، وأبو سعيد الخدري، وأحمد بن حنبل في [المسند]: (حديث ٧٨٥٢).

^(٢) [صحيح ابن حبان]: (ج ٦/ص ١٨، وص ١٩/حديث ٣٧٢٤، وحديث ٣٧٢٥) عن جابر بن عبد الله الأنصاري، وأحمد بن حنبل في [المسند]: (ج ١٢/ص ٨٠/حديث ١٥٠٧٠)، ومسلم في [الصحيح]: (حديث ٢٥٧٥)، والبخاري في [الصحيح]: (حديث ١٨٧١)، ومالك في [الموطأ]: (حديث ١٦٤٠) عن أبي هريرة.

^(٣) [صحيح البخاري]: (ج ٣/ص ٢٨) في «كتاب العمرة: باب لا يدخل الدّجال المدينة و[صحيح مسلم]: (ج ٢/ص ١٠٠٥/حديث ١٣٧٩) في «كتاب الحج: صيانة المدينة من دخول الطّاعون والدّجال»، ومالك في [الموطأ] في «كتاب الجامع: باب في وباء المدينة»، وأحمد بن حنبل في [المسند]: (ج ٩/ص ٣٣/حديث ٨٨٦٢) وكلّهم عن أبي هريرة، وإبن عمر.

وفي [الصحيحين] أيضاً من حديث أنس، عن النبي (صلى الله عليه وسلم): «ليس من بلد إلا سيطأوه الدجال إلا مكة والمدينة ليس من نقب من أنقابها إلا عليه ملائكة حافين» ^(١).

وفي [الصحيحين] من حديث أبي سعد مرفوعاً: «لا يكيد المدينة أحد إلا إنماع كما ينماع الملح في الماء» ^(٢).

وفي [الترمذي] من حديث أبي هريرة برفعه: «آخر قرية من قرى الإسلام خراباً المدينة» ^(٣).

وجه الدلالة من هذه الأحاديث من وجوه كثيرة، نذكر بعضها:
أحدها: أنَّ النبي (صلى الله عليه وسلم) حثَّ على سكنى المدينة، وأخبر أنَّها خير من غيرها، وأنَّ أحد لا يدعها رغبة عنها إلاَّ أبدلها الله بخير منه، وأخبر أنَّه (صلى الله عليه وسلم) شفيع لمن سكنها، وشهيد له

^(١) [صحيح البخاري]: (ج ٤/ص ٨٢) «كتاب فضائل المدينة: باب لا يدخل الدجال المدينة»، ومسلم في [الصحيح]: «كتاب الفتن: باب في الدجال وتاريخ المدينة عليه وقتلها المؤمنين وإحيائه» (حديث ٢٩٤٣)، وابن الأثير الجزري في [جامع الأصول]: (ج ٩/ص ٣٢٨/حديث ٦٩٤٩).

^(٢) [صحيح البخاري]: (ج ٤/ص ٨١) «كتاب فضائل المدينة: باب أثم من كاد لأهل المدينة»، ومسلم في [الصحيح]: في «كتاب الحج: باب من أراد لأهل المدينة بسوء أذابه الله»، وابن الأثير الجزري في [جامع الأصول]: (ج ٩/ص ٣٢٥/حديث ٦٩٤٤).

^(٣) [صحيح ابن حبان]: (ج ٨/ص ٢٧٢/حديث ٦٧٣٨)، والترمذي في [السنن]: (حديث ٣٩١٩).

يوم القيامة، وذكر أنّ ذلك لأمته ليس لقرن دون قرن، وأنّ أحداً لا يدعها إلّا لعدم علمه، وأنّها كالكير تنفي خبثها، وأنّها محروسة بالملائكة، لا يدخلها الطّاعون ولا الدّجال آخر الدهر، وأنّ أحداً لا يكيدّها إلّا إنّما كالملح في الماء، وقال: من استطاع أن يموت فيها فليمت، وأخبر أنّها آخر قرية من قرى الإسلام خراباً، وكلّ لفظ من هذه الألفاظ تدلّ على خلاف قولكم أنّ هذه الأمور التي تكفّرون بها وتسمّونها أصناماً، ومن فعل شيئاً منها فهو مشرك الشّرك الأكبر، عابد وثن، ومن لم يكفّره فهو عندكم كافر.

ومعلوم عند كلّ من عرف المدينة وأهلها أنّ هذه الأمور فيها كثير، وأكثر منه في الزّبير، وفي جميع قرى الإسلام، وذلك فيها من قرون متطاولة تزيد على أكثر من ستمائة سنة، وأنّ جميع أهلها رؤسائها وعلمائها وأمرائها يجرون على أهلها أحكام الإسلام، وأنّهم أعداؤكم يسبّونكم ويسبّون مذهبكم الذي هو التّكفير وتسميته هذه أصناماً وآلهة مع الله فعل مذهبكم إنهم كفّار.

فهذه الأحاديث تردّ مذهبكم، وعلى مذهبكم أنّه يجب على المسلم الخروج منها.

وهذه الأحاديث تردّ مذهبكم وعلى زعمكم أنّها تعبد فيها الأصنام الكبرى.

وهذه الأحاديث تردّ زعمكم وعلى مذهبكم أن الخروج إليكم خير لهم.

وهذه الأحاديث تردّ زعمكم وعلى مذهبكم أنّ أهلها لا يشفع لهم رسول الله (صلى الله عليه وسلم) لأنّ من جعل مع الله إلهاً آخر فبالإجماع ليس له شفيع يطاع.

وهذه الأحاديث تردّ زعمكم ومّا يزيد الأمر وضوحاً أنّ ممّا بشرّ به النبي (صلى الله عليه وسلم) أنّ الدجّال الذي يأتي آخر الزمان لا يدخلها، والدجّال لا فتنة أكبر من فتنته، وغاية ما يطلب من الناس عبادة غير الله، فإذا كانت هذه الأمور التي تسمّون من فعلها جاعلاً مع الله إلهاً آخر، عابد صنم، مشركاً بالله الشّرك الأكبر، ملأت المدينة من ستماية أو سبعماية سنة أو أكثر أو أقل، حتّى أنّ جميع أهلها يعادون وينكرون على ما أنكره، فما فائدة عدم دخول الدجّال، وهو ما يطلب من الناس إلّا الشّرك؟ وما فائدة بشرى النبي (صلى الله عليه وسلم) بعدم دخوله على المشركين..

فإنّا لله وإنّا إليه راجعون..

لو تعرفون.. لازم مذهبكم، بل صريح قولكم لاستحييتم من الناس إن لم تستحيوا من الله، ومن تأمل هذه الأحاديث وجد فيها أكثر ممّا ذكرنا يدلّ على بطلان قولكم هذا..

ولكن.. لا حياة لمن تنادي.

أسئّل الله لي ولكم العافية، والسلامة من الفتن.

فصل:

« الرابع والعشرون: قول النبي (ص): لا يذهب الليل والنهار حتى تعبد اللآت والعزى »

ومما يدلّ على بطلان مذهبكم ما روى مسلم في [صحيحه] عن عائشة (رضي الله عنها) قالت:

سمعت رسول الله (صلى الله عليه وسلم) يقول: « لا يذهب الليل والنهار حتى تعبد اللآت والعزى.. » فقلت يا رسول الله: إن كنت لأظنّ حين أنزل الله تعالى: ﴿ هو الذي أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون ﴾ ^(١) أنّ ذلك تام..

قال: « إنّّه سيكون من ذلك ما شاء الله، ثم يبعث الله رجلاً طيبة فتوفى كلّ من في قلبه مثقال من خردل من إيمان، فيبقى من لا خير فيه فيرجعون إلى دين آبائهم » ^(٢).

وعن عمران بن حصين عن النبي (صلى الله عليه وسلم) قال: « لا يزال طائفة من أمتي يقاتلون على الحق حتى يقاتل آخرهم المسيح » ^(٣).

^(١) سورة التوبة: آية (٣٣)، وسورة الصف: آية (٩).

^(٢) [صحيح مسلم]: في «كتاب الفتن: باب لا تقوم الساعة حتى تعبد اللآت والعزى»، وابن الاثير في [جامع الأصول]: (ج ١٠/ص ٣٦/حديث ٧٤٩٥).

^(٣) صحيح ابن حبان (ج ٨/ص ٢٩٤/حديث ٦٧٩٥)، وعبد الرزاق في [المصنف]: حديث ٥٧ «في مسند الثّماميين»، والنسائي في [السنن]: (ج ٩/ص ٢١٤، وص ٢١٥)، وابن عساكر في [التاريخ]: (ج ١/ص ١٠٤، وص ١٠٣).

عن جابر ابن سمرة عن النبي (صلى الله عليه وسلم):
« لن يبرح هذا الدين قائماً يقاتل عليه عصابة المسلمين حتى تقوم
الساعة »^(١) ، رواه مسلم.

عن عقبة بن عامر قال:
سمعت رسول الله (صلى الله عليه وسلم) يقول: « لا يزال عصابة من
أمّتي يقاتلون على أمر الله قاهرين لعدوّهم لا يضرّهم من خالفهم حتى
تأتيهم الساعة وهم على ذلك..
فقال عبد الله بن عمر: أجل.

ثم يبعث الله رجلاً كريح المسك مسّها مسّ الحرير لا تترك إنساناً في
قلبه مثقال حبة من إيمان إلا قبضته، ثم يبقى شرار الناس عليهم تقوم
الساعة »^(٢) ، رواه مسلم.

وروى مسلم أيضاً عن عبد الله بن عمر قال:
« قال رسول الله (صلى الله عليه وسلم): يخرج الدجال في أمّتي
فيمكث أربعين »^(٣) .

^(١) [صحيح مسلم]: (حديث ١٩٢٢)، وأحمد بن حنبل في [المسند]: (حديث ٢٠٤٧٩)، و[المعجم الكبير]: للطبراني (ج ٢/ص ٢٢٥/حديث ١٩٣١).

^(٢) [صحيح مسلم]: «كتاب الفتن: باب خروج الدجال ومكثه في الأرض ونزول عيسى وقتله إياه».

^(٣) [صحيح مسلم]: «كتاب الفتن: باب خروج الدجال» (حديث ٢٩٤٠)، وابن الأثير الجزري في [جامع الأصول]: (ج ١٠/ص ٤١٨/حديث ٧٩٣٨) عن عبد الله بن عمر.

وذكر الحديث، وفيه أنَّ عيسى يقتل الدجال؛ وذكر الريح؛ وقبض
أرواح المؤمنين، ويبقى شرار الناس، إلى أن قال: ويتمثل لهم الشيطان
فيقول: ألا تستحيون؟؟!

فيقول: ماذا تأمرنا؟

فيأمرهم بعبادة الأوثان»^(١). وذكر الحديث.

أقول: في هذه الأحاديث الصحيحة أئين دلالة على بطلان مذهبكم،
وهي أنَّ جميع هذه الأحاديث مصرحة بأنَّ الأصنام لا تعبد في هذه الأمة
إلاَّ بعد إنحرام أنفس جميع المؤمنين آخر الدهر، وذلك أنَّ النبي (صلى الله
عليه وسلم) ذكر عبادة الأوثان وأنها كائنة فعرضت عليه الصديقة
مفهومها من الآية الكريمة أنَّ دين محمد (صلى الله عليه وسلم) لا يزال
ظاهراً على الدين كله، وذلك أنَّ عبادة الأصنام لا تكون مع ظهور
الدين، فيبين لها (صلى الله عليه وسلم) مراده في ذلك، وأخبرها أنَّ
مفهومها من الآية حقَّ وأنَّ عبادة الأصنام لا تكون إلاَّ بعد إنحرام أنفس
جميع المؤمنين، وأمّا قبل ذلك فلا، وهذا بخلاف مذهبكم فإنَّ اللات
والعزى عبت على قولكم في جميع بلاد المسلمين من قرون متطاولة ولم
يبقى إلاَّ بلادكم من أن ظهر قولكم هذا من قريب ثمان سنين، فزعمتم أنَّ
من وافقكم على جميع قولكم فهو المسلم، ومن خالفكم فهو الكافر.

^(١) أنظر: [صحيح مسلم]: (حديث ٢٩٤٠)، عن عبد الله بن عمرو فيه حديث
طويل يتحدث فيه النبي عن أشراط الساعة.

وهذا الحديث الصحيح وهو يبين بطلان ما ذهبتم إليه لمن له أذن واعية وأيضاً في حديث عمران أن: «الطائفة المنصورة لا تزال تقاتل على الحق حتى يقاتل آخرهم المسيح الدجال»^(١).

وكذلك حديث عقبة أن العصابة يقاتلون على الحق، وأنهم لا يزالون قاهرين لعدوهم حتى تأتيهم الساعة وهم على ذلك، ومعلوم أن الدجال غاية ما يدعوهم إليه عبادة غير الله تعالى، فإذا كان أن عبادة غير الله تعالى ظاهرة في جميع بلاد المسلمين فما فائدة فتنة الدجال التي حذر عنها جميع الأنبياء أمهم، وكذلك نبينا (صلى الله عليه وسلم) حذر من فتنه!! وأين العصابة الذين يقاتلون على الحق الذين آخرهم يقاتل الدجال عن قتال هؤلاء المشركين؟؟ على زعمكم الذين يجعلون مع الله آلهة أخرى؟.

أتقولون خفيون ففي هذه الأحاديث أنهم ظاهرون؟
أتقولون مستضعفون ففي هذه الأحاديث أنهم قاهرون لعدوهم؟
أتقولون يأتون زمن الدجال ففي هذه الأحاديث أنهم ما زالوا ولا يزالون؟؟!

أتقولون أنهم أنتم، فأنتم مدّتكم قرية من ثمان سنين؟؟!
أخبرونا.. من قال هذا القول قبلكم حتى نصدّقكم، وإلاّ فلستم هم؟؟

(١) [أصول الحديث]: لابن الأثير الجزري (حديث ١٠٤٨)، وحديث ٦٧٧٦، وحديث ٦٧٧٨، وحديث ٦٧٧٩، وحديث ٧٤٩٦، وحديث ٧٨٣٢، وحديث ٧٩١٧، وحديث ٨٨٧٩).

ففي هذا، والله أعظم الردّ عليكم، والبيان لفساد قولكم، فصلوات
الله وسلامه على من أتى بالشريعة الكاملة التي فيها بيان ضلال كل
ضال.

وكذلك في حديث عبد الله بن عمر، وأنّ الشيطان مع إنخرام أنفس
المؤمنين يتمثل للناس يدعوهم إلى الاستجابة، فيقولون له: فماذا تأمرنا؟
فيأمرهم بعبادة الأوثان، فإذا كان أنّ بلاد المسلمين حجازاً؛ ويمناً؛ وشاماً؛
وشرقاً؛ وغرباً؛ امتلأت من الأصنام وعبادتها على زعمكم! فما فائدة
الأخبار بهذه الأحاديث أنّ الأوثان لا تعبد إلّا بعد أن يتوفّى الله سبحانه
وتعالى كلّ من في قلبه حبة خردل من إيمان؟؟ وما فائدة قتال الدجال
آخر الزمان؟؟ وفي هذه الأزمان المتطاولة من قريب ستمائة سنة أو
سبعماية سنة ما يقاتلون أهل الأوثان والأصنام على زعمكم، والله كما
قال تبارك وتعالى: ﴿فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ وَلَكِنْ تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي
الصُّدُورِ﴾^(١).

وفي هذه الوجوه التي ذكرنا من السنة كفاية لمن قصده اتباع الحقّ،
وسلوك الصراط المستقيم..

وأما من أعماه الهوى، ورؤية النفس، فهو كما قال جلّ وعلا: ﴿وَلَوْ

^(١) سورة الحج: آية (٤٦)، وتام الآية: ﴿أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ
قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَا أَوْ آذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ وَلَكِنْ تَعْمَى
الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ﴾.

أَنَا أَنْزَلْنَا إِلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةَ وَكَلَّمَهُمُ الْمَوْتَى وَحَشَرْنَا عَلَيْهِمْ كُلَّ شَيْءٍ قَبْلًا
مَا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ ﴿١﴾

ونحن نعرض على من خالف الشرع، ونسأله بالله الذي لا إله إلا هو
أن يعطونا من أنفسهم شرع الله الذي أنزل على رسوله، وبيننا وبينهم
من أرادوا من علماء الأمة، ولهم علينا عهد الله وميثاقه إن كان الحق
معهم لتتبعنهم، ولكن من أعجب العجائب استدلال بعضكم بقصة قدامة
بن مظعون، ومن معه، حيث استحلوا الخمر متأولين قوله: ﴿لَيْسَ عَلَى
الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جُنَاحٌ فِيمَا طَعِمُوا﴾ ﴿٢﴾ .
وَأَنَّ عَمْرَ مَعَ جَمِيعِ الصَّحَابَةِ أَجْمَعُوا أَنَّهُمْ إِنْ رَجَعُوا وَأَقْرَبُوا بِالَّتَّحْرِيمِ
وَالْإِقْتُلُوا.

فأقول: تحريم الخمر معلوم بالضرورة من دين الإسلام من الكتاب
والسنة وجميع علماء الأمة، ومع هذا أجمع المهاجرون والأنصار وكل
مسلم في زمنهم على تحريمه، والإمام ذلك الوقت لجميع الأمة إمام واحد،
والدين في نهاية الظهور، وكل هذا، والذين استحلوا الخمر لم يكفّرهم
عمر ولا أحد من الصحابة إلا أن عاندوا بعد أن يدعوهم الإمام ويبيّن لهم

﴿١﴾ سورة الأنعام: آية (١١١): وتَمَامُ الْآيَةِ: ﴿وَلَوْ أَنَّا نَزَلْنَا إِلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةَ وَكَلَّمَهُمُ
الْمَوْتَى وَحَشَرْنَا عَلَيْهِمْ كُلَّ شَيْءٍ قَبْلًا مَا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ وَلَكِنْ
أَكْثَرُهُمْ يُجْهَلُونَ﴾ .

﴿٢﴾ سورة المائدة: آية (٩٣)، وتَمَامُ الْآيَةِ: ﴿إِذَا مَا اتَّقَوْا وَآمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ
ثُمَّ اتَّقَوْا وَاحْسِنُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾ .

بيانا واضحا لا لبس فيه، فإن عاندوا بعد إقامة الحجّة من الكتاب والسنة وإجماع الأمة الإجماع القطعي، والإمام العدل الذي أجمعت إمامته جميع الأمة فإن عاندوا بعد ذلك أقيم عليهم حدّ القتل.

ومع هذا كلّه تجعلون من خالفكم في مفاهيمكم الفاسدة التي لا يجوز لمن يؤمن بالله واليوم الآخر أن يتبعكم عليها، ويقلدكم فيها كافرا؟! وتحتجّون بهذه القصة؟!، بل والله لو احتجّ بها محتجّ عليكم، وجعل سبيلكم سبيل الذين استحلّوا الخمر لكان أقرب إلى الصّواب من احتجاجكم بها على من خالفكم، جعلتم أنفسكم كعمر في جميع المهاجرين والأنصار.. فإنّا لله وإنا إليه راجعون، ما أطمها من بليّة.

ومن العجائب أيضا احتجاجكم بعبارة الشيخ التي في [الإقناع] أنّ من قال: أنّ عليا (عليه السلام) إله، وأنّ جيزيل غلط، فهذا كافر، ومن لم يكفره فهو كافر، فيا عجب العجب، وهل يشكّ مسلمان من قال مع الله إلها آخر - لا علي ولا غيره - أنّه مسلم، وهل يشكّ مسلم أنّ من قال أنّ الروح الأمين صرف النّبوة عن علي إلى محمّد (صلى الله عليه وسلم) أنّ هذا مسلم؟ ولكن أنتم تنقلون أنّ من قال: علي إله، إلى من سمّيتم أنتم أنّه إله، ومن فعل كذا وكذا فهو جاعله إله، فتلبسون على الجهال.

فلم لم يقل أهل العلم أنّ من يسأل مخلوقا شيئا فقد جعله إلها؛ أو من نذر له؛ أو من فعل كذا وكذا، ولكن هذه تسميتكم التي اخترعتموها من بين سائر أهل العلم، وحملتكم كلام الله تعالى ورسوله (صلى الله عليه وسلم)، وكلام أهل العلم (رحمهم الله) على مفاهيمكم الفاسدة.. فإنّا لله

وإنّا إليه راجعون.

فصل:

«الخامس والعشرون: صفة مذهب أهل الشرك»

ولنذكر شيئاً مما ذكره بعض أهل العلم في صفة مذهب أهل المشركين الذين كذبوا الرّسل (صلوات الله وسلامه عليهم).

قال ابن القيم: «كان الناس على الهدى ودين الحق، فكان أوّل من كادهم الشيطان بعبادة الأصنام، وإنكار البعث، وكان أوّل من كادهم^(١) من جهة العكوف على القبور؛ وتصوير أهلها، كما قصّه الله عنهم في كتابه بقوله: ﴿لا تدرنّ آهتكم ولا تدرنّ وداً ولا سواعاً ولا يغوث ويعوق ونسراً﴾^(٢).

قال ابن عباس: «هذه أسماء رجال صالحين من قوم نوح فلمّا هلكوا أوحى الشيطان إلى قومهم أن أنصبوا إلى مجالسهم التي كانوا عليها يجلسون أنصاباً، وسمّوها بأسمائهم، ففعلوا فلم تعبد حتى هلك أولئك، ونسخ العلم عبدة الأصنام» انتهى^(٣).

(١) كادهم: أي مكر بهم وخدعهم [مختار الصحاح] للرازي «مادة: ك ي د».

(٢) سورة نوح: آية (٢٣).

(٣) أنظر: [تفسير ابن عباس]: (ص ٥٠٢)، و[تفسير الطبري]، و[جامع البيان عن تأويل آي القرآن]: (ج ٢٩/ص ٦٢)، وابن كثير في [التفسير]: (ج ٨/ص ٢٦٢)، والسيوطي في تفسيره [الدر المنثور]: (ج ٦/ص ٤٦٩).

فأرسل الله لهم نوحاً بعبادة الله وحده، فكذبوه فأهلكهم الله بالطوفان، ثم إن عمرو بن عامر أول من غير دين إبراهيم (عليه السلام)، وإستخرج أصنام قوم نوح من شاطئ البحر، ودعى العرب إلى عبادتها، ففعلوا، ثم إن العرب بعد ذلك بمدة عبدوا ما استحسنوا ونسوا ما كانوا عليه واستبدلوا بدين إبراهيم (عليه السلام) عبادة الأوثان، وبقي فيهم من دين إبراهيم تعظيم البيت والحج.

وكانت نزار تقول في تلبيتها: لبيك لا شريك لك إلا شريكاً هو لك تملكه، وما ملك.

إلى أن قال: وكان لأهل كل واد صنم يعبدونه، ثم بعث الله محمداً (صلى الله عليه وسلم) بالتوحيد..

قالت قريش: ﴿أجعل الآلهة إلهاً واحداً، إن هذا لشيء عجاب﴾^(١) وكان الرجل إذا سافر فنزل منزلاً أخذ أربعة أحجار، فنظر أحسنها فاتخذها رباً، وجعل الثلاثة أثافي لقدرة^(٢)، فإذا ارتحل تركه، فإذا نزل منزلاً آخر فعل مثل ذلك.

وروى حنبل عن رجا العطاردي قال: «كنا نعبد الحجر في الجاهلية فإذا وجدنا حجراً هو أحسن منه نلقي ذلك ونأخذه، فإذا لم نجد حجراً جمعنا حفنة من تراب ثم جئنا بغنم فحلبناها عليه ثم طفنا به».

^(١) سورة ص: آية (٥).

^(٢) الأثنية أو الإثنية: هي الحجر التي توضع عليه القدر [مختار الصحاح] للرازي «مادة ث في ي».

وعن أبي عثمان النهدي قال: «كنا في الجاهلية نعبد حجراً فسمعنا منادياً ينادي: يا أهل الرّحال إنّ ربّكم هلك فإلتمسوا ربّاً فخرجنا على كلّ صعب وذلول فبينما نحن كذلك نطلب إذا نحن بمنادي ينادي: إنّنا قد وجدنا ربّكم أو شبهه فإذا حجر فنحرنّا عليه الجزر^(١)، ولما فتح رسول الله (صلى الله عليه وسلّم) مكّة وجد حول البيت ثلاثة مائة وستين صنماً، فجعل يطعن بقوسه في وجوهها وعيونها، ويقول: «جاء الحقّ وزهق الباطل^(٢).. وهي تتساقط على وجوهها، ثمّ أمر بها فأخرجت من المسجد وحرقت.

قال: تلاعب الشيطان بالمشرّكين له أسباب عديدة، فطائفة دعاهم إلى عبادتها من جهة تعظيم الموتى، الذين صوّروا تلك الأصنام على صورهم كما تقدّم عن قوم نوح، وبعضهم اتخذوها بزعمهم على صور الكواكب المؤثّرة في العالم عندهم، وجعلوا لها بيوتاً سدنة؛ وحجاباً؛ وحجاً؛ وقرباناً؛ ومن عبادة الأصنام عبادة الشّمس، زعموا أنّها ملك من الملائكة لها نفس وعقل، وهي أصل نور القمر والكواكب، وتكون الموجودات السّفلية كلّها عندهم منها، وهي عندهم ملك الفلك فتستحقّ التعظيم والسّجود.

^(١)الجزور: من الإبل يقع على الذكر والأنثى، وهي تؤنث والجمع: الجُزُر [مختار الصحاح]: «مادة: ج زر».

^(٢)سورة الإسراء: آية (٨١)، وتأمّ الآيّة: ﴿وقل جاء الحقّ وزهق الباطل إنّ الباطل كان زهوقاً﴾.

ومن شريعتهم في عبادتها أنهم إتخذوا لها صنماً، وله بيت خاص يأتون ذلك البيت ويصلّون فيه لها ثلاث مرّات في اليوم، ويأتيه أصحاب العاهات فيصلّون له؛ ويصومون له؛ ويدعون له، وهم إذا طلعت الشّمس سجدوا كلّهم، وإذا غربت وإذا توسّطت الفلك.

وطائفة أخرى: إتخذوا للقمر صنماً، وزعموا أنه يستحقّ التّعظيم والعبادة وإليه التدبير هذا العالم السّفلي؛ ويعبدونه؛ ويصلّون له؛ ويسجدون؛ ويصومون له أياماً معلومة من كلّ شهر، ثم يأتون إليه بالطّعام والشّراب والفرح. ومنهم من يعبد أصناماً إتخذوها على صور الكواكب وبنوا لها هياكل ومتعبدات لكلّ كوكب منها هيكلاً يخصّه، وصنم يخصّه، وعبادة تخصّه، وكلّ هؤلاء مرجعهم إلى عبادة الأصنام لأنّهم لا يستمر لهم طريقة إلى شخص خاص على كلّ شكل ينظرون إليه ويعكفون عليه.

إلى أن قال: «ومنهم من يعبد النار حتى إتخذوها آلةً معبودة، وبنوا لها بيوتاً كثيرة، وجعلوا لها الحجاب والخزنة حتى لا يدعوها تحمّد لحظة، ومن عبادتهم أنهم يطوفون بها، ومنهم من يلقي نفسه فيها تقرباً إليها، ومنهم من يلقي ولده فيها متقرباً إليها، ومنهم عبّاد زهّاد عاكفين صائمين لها، ولهم في عبادتها أوضاع لا يخلون بها.

ومن الناس طائفة تعبد الماء وترغم أنه أصل كلّ شيء، ولهم في عبادته أمور ذكرها، منها تسبيحه؛ وتحميده؛ والسّجود له.

ومن الناس طائفة عبدت الحيوان منهم من عبد البقر؛ ومنهم من عبد

الخليل؛ ومنهم من عبد البشر؛ ومنهم من عبد الشجر؛ ومنهم من عبد الشيطان، قال تعالى: ﴿ألم أعهد إليكم يا بني آدم أن لا تعبدوا الشيطان﴾^(١).

قال: ومنهم من يقرّ أنّ للعالم صانعاً؛ فاضلاً؛ حكيماً؛ مقدّساً؛ عن العيوب والنقائص، قالوا ولا سبيل لنا إلى الوصول إليه إلاّ بالوسائط، فالواجب علينا أن نتقرّب إليه بتوسّطات الرّوحانيات الغريبة منه فنحن نتقرّب إليهم ونتقرّب بهم، فهم أربابنا وآلهتنا وشفعاؤنا عند ربّ الأرباب وإله الآلهة، فما نعبدهم إلاّ ليقربونا إلى الله زلفى، فحيثنّ نسأل حاجاتنا منهم، ونعرض أحوالنا عليهم، ونصبوا^(٢) في جميع أمورنا فيشفعون إلى إلهنا وإلههم، وذلك لا يحصل إلاّ باستمداد من جهة الرّوحانيات، وذلك بالتضرّع والابتهاال من الصّلوات لهم؛ والزّكاة؛ وذبح القرابين؛ والبخورات، وهؤلاء كفروا بالأصلين الذين جاءت بها جميع الرّسل: أحدهما: عبادة الله وحده لا شريك له.

والثاني: الإيمان برسله، وما جاؤا به من عند الله تصديقاً؛ وإقراراً، وإنقياداً، وهذا مذهب المشركين من سائر الأمم.

قال: والقرآن؛ والكتب الآلهية مصرّحة ببطلان هذا الدّين وكفر أهله. قال: فإنّ الله سبحانه ينهى أن يجعل غيره مثلاً له، ونداً له، وشبهاً، فإنّ أهل الشّرك شبهوا من يعظّمونه ويعبدونه بالخالق، وأعطوه خصائص

(١) سورة يس: آية (٦٠)، وتام الآية: ﴿إنّه لكم عدوّ مبین﴾.

(٢) أي نحن ونمیل إليه.

الإلهية، وصرّحوا أنه إله، وأنكروا الآلهية إلهاً واحداً، وقالوا: ﴿إصبروا على آلهتكم﴾^(١)، وصرّحوا بأنه إله معبود يرجى ويخاف ويعظم ويسجد له وتقرب له القرابين.

إلى غير ذلك من خصائص العبادة التي لا تنبغي إلاّ لله تعالى، قال الله تعالى: ﴿فلا تجعلوا لله أنداداً﴾^(٢).

وقال: ﴿ومن الناس من يتخذ من دون الله أنداداً﴾^(٣).

فهؤلاء جعلوا المخلوقين مثلاً للخالق والند الشبه، يقال: فلان ند فلان ونده أي مثله وشبهه.

قال ابن زيد: الآلهة التي جعلوها معه.

وقال الزجاج: أي لا تجعلوا لله أمثالاً ونظراء.

ومنه قوله عزّ وجل: ﴿الحمد لله الذي خلق السمّوات والأرض وجعل الظلمات والنور ثمّ الذين كفروا برّبهم يعدلون﴾^(٤).

(١) سورة ص: آية (٨) وتام الآية: ﴿وانطلق الملائمة منهم أن امشوا واصبروا على آلهتكم إنّ هذا لشيء يُراد﴾.

(٢) سورة البقرة: آية (٢٢)، وتام الآية: ﴿الذي جعل لكم الأرض فراشاً والسمّاء بناءً وأنزل من السماء ماءً فأخرج به من الثمرات رزقاً لكم فلا تجعلوا لله أنداداً وأنتم تعلمون﴾.

(٣) سورة البقرة: آية (١٦٥)، وتام الآية: ﴿يحبونهم كحبّ الله والذين آمنوا أشدّ حباً لله ولو يرى الذين ظلموا إذ يرون العذاب أنّ القوة لله جميعاً وأنّ الله شديد العذاب﴾.

(٤) سورة الأنفال: آية (١).

أي يعدلون به غيره، فيجعلون له من خلقه عدلاً وشبهاً.
 قال ابن عباس (رضي الله عنهما): يريد يعدلوا بي من خلقي الأصنام
 والحجارة بعد أن أقرّوا بنعمتي وربوبيتي.
 قال الزجاج: أعلم أنّه خالق ما ذكره في هذه الآية، وإنّ خالقها لا
 شيء مثله، وأعلم أنّ الكفار يجعلون له عدلاً، والعدل والتّسوية، يقال:
 عدل الشيء بالشيء إذا ساواه.

قال تعالى: ﴿هل تعلم له سميّاً﴾^(١).
 قال ابن عباس (رضي الله تعالى عنهما): شبهاً ومثلاً هو ومن يساميه،
 وذلك نفي للمخلوق أن يكون مشابهاً للخالق ومثالاً له بحيث يستحقّ
 العبادة والتّعظيم.

ومن هذا قوله: ﴿ولم يكن له كفواً أحد﴾^(٢).
 وقوله: ﴿ليس كمثله شيء﴾^(٣).

^(١) سورة مريم: آية (٦٥)، وتام الآية: ﴿ربّ السّماوات والأرض وما بينهما
 فاعبده واصطبر لعبادته هل تعلم له سميّاً﴾.

^(٢) سورة الإخلاص: آية (٤)، وتام السّورة: ﴿قل هو الله أحد * الله الصّمد * لم
 يلد ولم يولد * ولم يكن له كفواً أحد﴾.

^(٣) سورة الشّورى: آية (١١)، وتام الآية: ﴿فاطر السّماوات والأرض جعل لكم
 من أنفسكم أزواجاً ومن الأنعام أزواجاً يذروكم فيه ليس كمثله شيء وهو
 السّميع البصير﴾.

إنما قصد به نفي أن يكون له شريك أو معبود ويستحقّ العبادة والتّعظيم، وهذا الشّبيه هو الذي أبطل نفيّاً ونهياً هو أصل شرك العالم، وعبادة الأصنام، ولهذا أنهى النبي (صلى الله عليه وسلم) أن يسجد لمخلوق مثله^(١)، أو يحلف^(٢)، أو يقول ما شاء الله وشئت، ونحو ذلك حذراً من هذا التّشبيه الذي أصل شرك العالم.

إنتهى كلام ابن القيم، وإنما نقلنا هذا لتعلموا صفة شرك المشركين، ولتعلموا أنّ هذه الأمور التي تكفّرون بها، وتخرجون المسلم بها من الإسلام ليست كما زعمتم أنّه الشّرك الأكبر شرك المشركين الذين كذبوا

(١) يشير ابن القيم إلى حديث قيس بن سعد الأنصاري قال: «أتيت الحيرة فرأيتهم يسجدون لمزربان لهم، فقلت: رسول الله أحقّ أن يسجد له. قال: فأتيت النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) فقلت: إني أتيت الحيرة فرأيتهم يسجدون لمزربان لهم، فأنت يا رسول الله أحقّ أن نسجد لك. قال: رأيت لو مررت بقبري، وكنت تسجد له؟ قال: قلت: لا، قال: فلا تفعلوا لو كنت آمراً أحداً أن يسجد لأحد لأمرت النساء أن يسجدن لأزواجهن لما جعل الله عليهنّ من حق». «

أنظر: أبو داود في [السنن]: (حديث ٢١٤٠)، والدارمي في [السنن]: (حديث ١٤٦٣).

(٢) يشير إلى قوله (صلى الله عليه وآله وسلم): «لا تحلفوا بآبائكم ولا بأمهاتكم ولا بالأنداد، ولا تحلفوا إلّا بالله، ولا تحلفوا إلّا وأنتم صادقون». «

أنظر: النسائي في [السنن]: (حديث ٣٧٦٩)، وأبو داود في [السنن]: (حديث ٣٢٤٨) عن أبي هريرة.

جميع الرّسل في الأصليين، وإنما هذه الأفعال التي تكفّرون بها من فروع هذا الشّرك..
ولهذا قال من قال من العلماء: أنّها شرك وسمّاها شركاً عدّها في
الشّرك الأصغر، ومنهم من لم يسمّها شركاً، وذكرها في المحرّمات، ومنهم
من عدّها بعضها في المكروهات كما هو مذكور في مواضعه من كتب أهل
العلم من طلبه وجده.

والله سبحانه يجنّبنا وجميع المسلمين ما يغضبه.. آمين.
والحمد لله ربّ العالمين.

فصل:

« السادس والعشرون: في الأحاديث التي تبين صفة المسلم »

ولنختتم هذه [الرسالة] بشيء مما ذكره النبي (صلى الله عليه وسلم)
وصفة المسلم:

الحديث الأول: حديث عمر أنّ جبريل (عليه السلام) سأل النبي (صلى
الله عليه وسلم) عن الإسلام..

قال: أن تشهد أن لا إله إلا الله، وأنّ محمّداً رسول الله، وتقيم
الصّلاة، وتؤتي الزّكاة، وتصوم رمضان، وتحجّ البيت إن استطعت إليه
سبيلاً.. ، قال: صدقت، قال: فأخبرني عن الإيمان؟. قال: أن تؤمن بالله،

وملائكته، وكتبه، ورسله، واليوم الآخر، وتؤمن بالقدر خيره وشره. قال: صدقت. قال: فأخبرني عن الإحسان؟. قال: أن تعبد الله كأنك تراه، فإن لم تكن تراه فإنه يراك. قال: صدقت «^(١).. إلى آخر الحديث. وفيه: «هذا جبريل جاءكم يعلمكم دينكم»، رواه مسلم، ورواه البخاري بمعناه.

الحديث الثاني: عن ابن عمر (رضي الله عنه) قال: سمعت رسول الله (صلى الله عليه وسلم) يقول: «بني الإسلام على خمس: شهادة أن لا إله إلا الله، وأن محمداً رسول الله، وإقام الصلاة، وإتاء الزكاة، وحج البيت، وصوم رمضان»^(٢)، رواه البخاري، ومسلم.

الحديث الثالث: في [الصحيحين] عن ابن عباس (رضي الله عنهما) قال: قدم وفد عبد القيس على رسول الله (صلى الله عليه وسلم) وقالوا: يا رسول الله إنا لا نستطيع أن نأتيك إلا في شهر حرام، وبيننا وبينك هذا الحي من كفار مضر، فامرنا بأمر فصل نخبر به من ورائنا، وندخل به

^(١) صحيح، مسلم في [الصحيح]: (حديث ٨)، والترمذي في [السنن]: (حديث ٢٦١٠)، وأبو داود في [السنن]: (حديث ٤٦٩٥)، والنسائي في [السنن]: (ج ٨/ص ٩٧)، والبخاري في [شرح السنن]: (حديث ٢)، والبخاري في [الصحيح]: (ج ١/ص ١٠٦، و ص ١١٥) في «كتاب الإيمان: باب سؤال جبريل النبي (ص)».

^(٢) صحيح، البخاري في [الصحيح]: (ج ١/ص ٤٧)، ومسلم في [الصحيح]: (حديث ١٦)، والبخاري في [شرح السنن]: (ج ١/ص ٧، و ص ٨، و ص ٩/حديث ١، و حديث ٢) في «كتاب الإيمان».

الجنة، فأمرهم بالإيمان بالله وحده.. قال: أتدرون ما الإيمان بالله وحده؟ قالوا: الله ورسوله أعلم. قال: شهادة أن لا إله إلا الله، وأنّ محمداً رسول الله، وإقام الصلاة، وإيتاء الزكاة، وصيام رمضان، وأن تعطوا من المغنم الخمس. وقال: أحفظوهنّ وأخبروا بهنّ من ورائكم»^(١).

الحديث الرابع: عن ابن عباس (رضي الله عنهما) أنّ النبي (صلى الله عليه وسلم) لما بعث معاذاً إلى اليمن قال: «إنّك تأتي أقواماً أهل كتاب، فليكن أوّل ما تدعوهم إليه شهادة أن لا إله إلاّ الله، وأنّ محمداً عبده ورسوله، فإن هم أطاعوك لذلك فأعلمهم أنّ الله إفترض عليهم خمس صلوات في كلّ يوم وليلة، فإن هم أطاعوك لذلك فأعلمهم أنّ الله إفترض عليهم صدقة تؤخذ من أغنيائهم فتردّ إلى فقرائهم»^(٢)، رواه البخاري.

^(١) صحيح أخرجه البخاري في [الصحيح]: (ج ١/ص ١٢٠، و ص ١٢٥) في «كتاب باب أداء الخمس من الإيمان»، ومسلم في [الصحيح]: (حديث ١٧) «كتاب الإيمان: باب الأمر بالإيمان بالله تعالى ورسوله (ص)، وشرائع الدين، والدعاء إليه، والسؤال عنه». والبغوي في [شرح السنن]: (ج ١/ص ٤٤/حديث ٢) «كتاب الإيمان: باب أنّ الأعمال من الإيمان، وأنّ الإيمان يزيد وينقص».

^(٢) صحيح، أخرجه البخاري في [الصحيح]: (ج ٨/ص ٥١) «كتاب المغازي: باب بعث أبي موسى، ومعاذ إلى اليمن قبل حجّة الوداع» وفي «كتاب الزكاة: باب وجوب الزكاة، وباب لا تؤخذ سرائر أموال الناس في الصدقة، وباب أخذ الصدقة من الغنائم وتردّ في الفقراء».

ومسلم في [الصحيح]: «كتاب الإيمان: باب الدعاء إلى الشهادتين، والشرائع الإسلامية» (حديث ١٩)، والبغوي في [شرح السنّة]: (ج ٥/ص ٤٧٢/حديث ١٥٥٧) عن ابن عباس «كتاب الزكاة: باب وجوب الزكاة»، ومسلم في [الصحيح]: (حديث ١٩)، والتزمذي في [السنن]: (حديث ٦٢٥)، والنسائي في [السنن]: (حديث ٢٤٣٥)، وأبو داود في [السنن]: (حديث ١٥٨٤). وابن ماجه في [السنن]: (حديث ١٧٨٣)، وأحمد بن حنبل في [المسند]: (حديث ٢٠٧٢)، والدارمي في [السنن]: (حديث ١٦١٤) كلّهم عن ابن عباس.

الحديث الخامس: عن ابن عمر قال: قال رسول الله (صلى الله عليه وسلم): «أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله، وأن محمداً رسول الله، وقيموا الصلاة، ويؤتوا الزكاة، فإذا فعلوا ذلك عصموا مني دماءهم وأموالهم إلا بحق الإسلام وحسابهم على الله»^(١)، رواه البخاري، ومسلم.

الحديث السادس: عن أبي هريرة (رضي الله عنه) قال: قال رسول الله (صلى الله عليه وسلم): «أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله، فإذا قالوها عصموا مني دماءهم وأموالهم إلا بحقها وحسابهم على الله»، رواه البخاري، ومسلم، ورواه أحمد، وابن ماجه، وابن خزيمة بزيادة «وأن محمداً رسول الله، وقيموا الصلاة، ويؤتوا الزكاة، ثم قد حرم عليّ أموالهم ودمائهم»^(٢).

^(١) صحيح، أخرجه البخاري في [الصحيح]: (ج ٣/ص ٢١١) في «كتاب الزكاة: باب وجوب الزكاة»، وفي «كتاب إستابة المرتدّين: قتل من أبى قبول الفرائض»، وفي «الإعتصام: باب الإقتداء بسنن رسول الله (ص)».

ومسلم في [الصحيح]: «كتاب الإيمان: باب الأمر بقتال الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله» (حديث ٢١)، والبغوي في [شرح السنة]: «كتاب الإيمان» (حديث ٢٣٢).
^(٢) صحيح، أخرجه البخاري في [الصحيح]: (ج ١/ص ٧٠، وص ٧٢) في «كتاب الإيمان: باب فإن تابوا وأقاموا الصلاة وآتوا الزكاة فخلّوا سبلهم»، ومسلم في [الصحيح]: (حديث ٢٢).

وأحمد بن حنبل في [المسند]: (ج ٣/ص ١٩٩)، والترمذي في [السنن]: (حديث ٢٦١٧)، وأبو داود في [السنن]: (حديث ٢٦٤١).

وابن ماجه في [السنن]: (حديث ١٧٨٣)، وأحمد بن حنبل في [المسند]: (حديث ٨٦٨٧)، والنسائي في [السنن]: (حديث ٣٩١٧).

الحديث السابع: عن أبي هريرة (رضي الله عنه) أنّ رسول الله (صلى الله عليه وسلم) قال: «أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله، ويؤمنوا بي، وبما جئت به، فإذا فعلوا ذلك عصموا مني دماءهم وأموالهم إلا بحقها»^(١)، رواه مسلم.

الحديث الثامن: حديث بريدة بن الحصيب كان النبي (صلى الله عليه وسلم) إذا بعث جيشاً وذكر الحديث، وفيه: «إذا حاصرتهم أهل المدينة وأهل حصن، فإن شهدوا أن لا إله إلا الله، فلهم ما لكم، وعليهم ما عليكم»^(٢)، رواه مسلم.

الحديث التاسع: عن المقداد بن الأسود أنه قال: «يا رسول الله! أرأيت إن لقيت رجلاً من المشركين فقاتلني فضرب إحدى يدي بالسيف فقطعها ثم لاذمني بشجرة، فقال: أسلمت لله! أفأقتله يا رسول الله بعد أن قالها؟ قال: لا تقتله. فقلت: يا رسول الله إنه قطع إحدى يدي ثم

^(١) صحيح، أخرجه مسلم في [الصحيح]: «كتاب الإيمان: باب الأمر بقتال الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله» (حديث ٢١).

والبخاري في [الصحيح]: «كتاب الزكاة: باب وجوب الزكاة» (ج ٣/ص ٢١١)، والبخاري في [شرح السنة]: «باب البيعة على الإسلام وشرائعه» (ج ١/ص ٦٦/حديث ٣٢).

^(٢) [صحيح مسلم]: (حديث ١٧٣١)، والترمذي في [السنن]: (حديث ١٦١٧)، وأبو داود في [السنن]: (حديث ٢٦١٢)، وأحمد بن حنبل في [المسند]: (حديث ٢٢٥٢١)، والدارمي في [السنن]: (حديث ٢٤٤٢).

قال ذلك بعد أن قطعها، أفأقتله؟ قال: لا تقتله فإنه بمنزلك قبل أن تقتله، وإنك بمنزلته قبل أن يقول كلمته التي قال «^(١)»، رواه البخاري ومسلم.

الحديث العاشر: حديث أسامة، وقتله الرجل بعدما قال لا إله إلا الله، فكيف تصنع بلا إله إلا الله يوم القيامة؟، فقال: يا رسول الله إنما قالها تعوّذاً.

قال: هلاً شققت عن قلبه، وجعل يكرّر عليه من لك بلا إله إلا الله يوم القيامة.

قال أسامة: حتى تمنيت إن لم أكن أسلمت إلا يومئذ «.

والحديث في [الصحيحين] لفظه عن أسامة قال: بعثنا رسول الله (صلى الله عليه وسلم) إلى الحرة من جهينه فصباحنا القوم على مياههم، ولحقت أنا رجل من الأنصار رجلاً منهم، فلما غشينا قال: لا إله إلا الله فكف عنه الأنصاري فطعنته برمحى حتى قتله، فلما قدمنا بلغ ذلك رسول الله (صلى الله عليه وسلم) فقال لي: «يا أسامة أقتلته بعد أن قال لا إله إلا الله، فما زال يكرّرها حتى تمنيت أنني لم أكن أسلمت قبل ذلك اليوم». وفي رواية أنه قال: أفلا شققت عن قلبه.

وروى ابن مردويه عن إبراهيم التيمي، عن أبيه، عن أسامة قال: لا أقتل رجلاً يقول لا إله إلا الله أبداً.

^(١) [صحيح البخاري]: (حديث ٤٠١٩)، ومسلم في [الصحيح]: (حديث ٩٥)، وأبو داود في [السنن]: (حديث ٢٦٤٤)، وأحمد بن حنبل في [المسند]: (حديث ٢٣٢٩٩).

فقال سعد بن مالك: وأنا والله لا أقتل رجلاً يقول لا إله إلا الله أبداً^(١).

الحديث الحادي عشر: عن ابن عمر (رضي الله تعالى عنه) قال: بعث رسول الله (صلى الله عليه وسلم) خالد بن الوليد (رضي الله عنه) إلى بني جذيمة فدعاهم إلى الإسلام، فلم يحسنوا أن يقولوا أسلمنا، فجعلوا يقولون صباناً صباناً، فجعل خالد يأمر ويقتل إلى أن قال: فقدمنا على رسول الله (صلى الله عليه وسلم) فذكرنا له، فرفع يديه، فقال: اللهم إني أبرأ إليك مما فعل خالد. مرتين « رواه أحمد، والبخاري^(٢) .

الحديث الثاني عشر: عن أنس، قال: كان رسول الله (صلى الله عليه وسلم) إذا غزا قوماً لم يغر حتى يصبح، فإذا سمع آذاناً أمسك، وإن لم يسمع آذاناً أغار بعدما يصبح «، رواه أحمد، والبخاري.

^(١) صحيح، أخرجه البخاري في [الصحيح]: (ج ٩/ص ٤) في «كتاب الديات»، ومسلم في [الصحيح]: (ج ١/ص ٩٧/حديث ٩٩)، وأحمد بن حنبل في [المسند]: (ج ١٧/ص ٨٢/حديث ٢١٦٤٢).

^(٢) صحيح، أخرجه البخاري في [الصحيح]: (حديث ٤٣٣٩، وحديث ٧١٨٩)، وعبد الرزاق في [المصنف]: (حديث ٩٤٣٤، وحديث ١٨٧٢١).

و[مشكل الآثار]: للطحاوي (حديث ٣٢٣١)، والبيهقي في [دلائل النبوة]: (ج ٥/ص ١١٣)، و[مسند أحمد بن حنبل]: (حديث ٦٣٨٢)، والنسائي في [السنن]: (حديث ٥٤٠٥) وابن حبان في [الصحيح]: (حديث ٤٧٤٩).

وعنه كان يغيّر إذا طلع الفجر، وكان يستمع الآذان، فإذا سمع آذان
أمسك وإلا أغار، فسمع رجلاً يقول: الله أكبر الله أكبر..
فقال رسول الله (صلى الله عليه وسلم): على الفطرة.
ثم قال: أشهد أن لا إله إلا الله.

فقال: خرجت من النار فتنظروا إليه، فإذا هو راعي معز»، رواه
مسلم^(١).

الحديث الثالث عشر: عن عصام المزني، قال: كان النبي (صلى الله
عليه وسلم) إذا بعث السرية، يقول: إذا رأيتم مسجداً، أو سمعتم منادياً فلا
تقتلوا أحد»^(٢)، رواه أحمد، وأبو داود، والترمذي، وابن ماجه.

الحديث الرابع عشر: عن أم سلمة عن النبي (صلى الله عليه وسلم):
« يستعمل عليكم أمراء فتعرفون وتنكرون، فمن أنكر فقد برئ، ومن

^(١) [صحيح مسلم]: (حديث ٣٨٢)، والترمذي في [السنن]: (حديث ١٦١٨)،
وأخرجه البخاري في [الصحيح]: (ج ٤/ص ١٢٣/حديث ٢٩٤٣) «كتاب الجهاد
والسير: باب دعاء النبي (ص) إلى الإسلام» عن أنس بن مالك. وأبو داود في
[السنن]: (حديث ٢٦٣٤)، والدارمي في [السنن]: (حديث ٢٤٤٥)، وأحمد بن
حنبل في [المسند]: (حديث ١١٩٤٢).

^(٢) أبو داود في [السنن]: في «كتاب الجهاد: باب دعاء المشركين» (حديث ٤٦٣٥)
والترمذي في [السنن]: في «كتاب السير» (حديث ١٥٤٩)، والبخاري في [شرح
السنة]: (ج ١١/ص ٦٠/حديث ٢٧٠٣) «باب الكف عن القتال إذا رأى شعار
الإسلام». وأحمد بن حنبل في [المسند]: (حديث ١٥٢٧٨).

كره فقد سلم، ولكن من رضي وتابع..

فقالوا: يا رسول الله! أفلا نقاتلهم؟

قال: لا ما صلوا»^(١)، رواه مسلم.

الحديث الخامس عشر: عن أنس، قال: قال رسول الله (صلى الله عليه وسلم): «من صلى صلاتنا، وأسلم، واستقبل قبلتنا، وأكل ذبيحتنا، فذلك المسلم الذي له ذمة الله ورسوله، فلا تخفروا الله في ذمته»^(٢)، رواه البخاري.

الحديث السادس عشر: عن أبي سعيد في حديث الخوارج، فقال ذو الخويصرة للنبي (صلى الله عليه وسلم): «إتق الله.. فقال: ويلك أأست أحق أهل الأرض أن يتقي الله؟ ثم قال: ثم ولي الرجل. فقال خالد: يا رسول الله ألا أضرب عنقه؟

^(١) [صحيح مسلم]: (حديث ١٨٥٤)، والترمذي في [السنن]: (حديث ٢٢٦٥)، وأبو داود في [السنن]: (حديث ٤٧٦٠).

وأحمد بن حنبل في [المسند]: (حديث ٢٥٩٨٩/ وحديث ٢٦٠٣٧، وحديث ٢٦٠٦٦، وحديث ٢٦١٨٨) عن أم سلمة.

^(٢) صحيح، أخرجه البخاري في [الصحيح]: «كتاب الصلاة: باب فضل إستقبال القبلة» (ج ١/ص ١٧٤/ حديث ٣٩١)، وفي «كتاب الأضاحي: باب من ذبح قبل الصلاة أعاد» (ج ٧/ص ١٨٦/ حديث ٥٥٦٣) عن أنس بن مالك والنسائي في [السنن]: (حديث ٤٩٩٧).

قال: لا لعله أن يكون يصلي.

قال خالد: وكم من مصل يقول بلسانه ما ليس في قلبه.
فقال: يا رسول الله (صلى الله عليه وسلم) لم أؤمر أن أنقب عن
قلوب الناس، ولا أشق بطونهم»^(١)، رواه مسلم.

الحديث السابع عشر: عن عبيد الله بن عبيد؛ بن الخيار، أن رجلاً
من الأنصار حدثه أنه أتى النبي (صلى الله عليه وسلم) في مجلس فساره
يستأذنه في قتل رجل من المنافقين، فجهر رسول الله (صلى الله عليه
وسلم) فقال: أليس يشهد أن لا إله إلا الله؟

فقال الأنصاري: بلى يا رسول الله ولا شهادة. فقال: أليس يشهد أن محمداً
رسول الله؟ قال: بلى، ولا شهادة له. قال: أليس يصلي؟ قال: بلى، ولا صلاة له.
قال: أولئك الذين نهى الله عن قتلهم»^(٢)، رواه الشافعي، وأحمد.

^(١) [صحيح البخاري]: (حديث ٣٣٤٤، وحديث ٣٦١٠، وحديث ٥٠٥٨، و
حديث ٦٩٣١، وحديث ٦٩٣٣).

ومسلم في [الصحيح]: (حديث ١٠٦٤)، والنسائي في [السنن]: (حديث
١٠٨٩٨)، وأبو داود في [السنن]: (حديث ٤٧٦٤، وحديث ٤٧٦٥).

وابن ماجه في [السنن]: (حديث ١٦٩)، وأحمد بن حنبل في [المسند]: (حديث
١٠٦٢٥، وحديث ١٠٧٣٤)، ومالك في [الموطأ]: (حديث ٤٧٧).

^(٢) أحمد بن حنبل في [المسند]: (ج ٤/ص ٨٨، وص ٩٩)، والطحاوي (حديث ١١٠٩)،
والنسائي في [السنن]: (ج ٧/ص ٨٠، وص ٨١)، وابن ماجه في [السنن]: (حديث ٣٩٢٩).
والدارمي في [السنن]: (حديث ٢٥٥٠)، والشَّهابي في [المسند] (حديث ٥٠٨)،
والطبراني في [الكبير]: (ج ١/ص ٢٠٧/حديث ٥٩٢).
ومسلم في [الصحيح]: (حديث ٣٣)، ومالك بن أنس في [الموطأ]: (حديث ٤١٥).

الحديث الثامن عشر: في [الصحيحين] عن أبي هريرة (رضي الله عنه) قال: «أتى إعرابي إلى النبي (صلى الله عليه وسلم) فقال: دلّني على عمل إذا عملته دخلت الجنة؟

قال: تعبد الله، ولا تشرك به شيئاً، وتقيم الصّلاة المكتوبة، وتؤتي الزّكاة المفروضة، وتصوم رمضان.

قال: والذي نفسي بيده لا أزيد على هذا، ولا أنقص منه. فلما ولى. قال النبي (صلى الله عليه وسلم): من سرّه أن ينظر إلى رجل من أهل الجنّة فلينظر إلى هذا»^(١).

الحديث التاسع عشر: عن عمران بن مرّة الجهني قال: جاء رجل إلى النبي (صلى الله عليه وسلم) فقال: يا رسول الله أ رأيت إن شهدت أن لا إله إلا الله، وأنك رسول الله، وصليت الصّلاة الخمس، وصمت رمضان وقته، فممن أنا؟.

قال: من الصّدّيقين والشّهداء»^(٢)، رواه ابن حبان، وابن خزيمة في [صحيحهما].

الحديث العشرون: عن العباس بن عبد المطلب قال: قال رسول

^(١) صحيح، أخرجه البخاري في [الصحيح]: (ج ٣/ص ٢٦٧/حديث ٤١) «كتاب الزّكاة: باب البيعة على إيتاء الزّكاة»، والنسائي في [السنن]: (ج ٧/ص ١٤٧/حديث ٤١٧٥)، ومسلم في [الصحيح]: (حديث ١٤)، وأحمد بن حنبل في [المسند]: (حديث ٨٣١٠).

^(٢) [صحيح ابن حبان وابن خزيمة] عن عمران بن مرّة الجهني.

الله (صلى الله عليه وسلم): «ذاق طعم الإيمان من رضي بالله رباً، وبالإسلام ديناً، وبمحمد نبياً»^(١)، رواه مسلم.

الحديث الحادي والعشرون: عن سعد، عن النبي (صلى الله عليه وسلم): «من قال حين سمع المؤذن يقول: أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأن محمد عبده ورسوله، رضيت بالله رباً، وبالإسلام ديناً، غفر له ذنبه»^(٢)، رواه مسلم.

الحديث الثاني والعشرون: في [الصحيحين] عن أبي هريرة (رضي الله عنه) قال: قال رسول الله (صلى الله عليه وسلم): «الإيمان بضع وسبعون شعبة أفضلها قول لا إله إلا الله، وأدناها إمطة الأذى عن الطريق، والحياء شعبة من الإيمان»^(٣)

^(١) صحيح، أخرجه مسلم في [الصحيح]: (حديث ٣٤)، وأبو يعلى المصلي في [المسند]: (حديث ٦٦٩٢)، والترمذي في [السنن]: (حديث ٢٦٢٣)، وابن حبان في [الصحيح]: (حديث ١٦٩٤)، وأحمد بن حنبل في [المسند]: (ج ٣/ص ٢٩٩/حديث ١٧٧٨، وحديث ١٧٧٩).

^(٢) صحيح، أخرجه مسلم في [الصحيح] «باب الآذان» (حديث ٣٨٦)، وعبد بن حميد في [المسند]: (حديث ١٤٢)، وابن ماجه في [السنن]: (حديث ٧٢١)، والبخاري في [السنن]: (حديث ١١٣٠)، وابن خزيمة (حديث ٤٢١، وحديث ٤٢٢)، وأحمد بن حنبل في [المسند]: (ج ٣/ص ١٣٤/حديث ١٥٦٥).

والنسائي في [السنن]: (حديث ٦٧٩)، وأبو داود في [السنن]: (حديث ٥٢٥)، والترمذي: (حديث ٢١٠) عن سعد بن أبي وقاص.

^(٣) صحيح، أخرجه ابن حبان في [الصحيح]: (ج ١/ص ١٩٢/حديث ١٦٦، وحديث ١٦٧) عن أبي هريرة، ومسلم في [الصحيح]: (ج ٢/ص ١١٤٨/حديث ١٥١٠) في «كتاب العتق: باب فضل عتق الوالد»، والترمذي في [السنن]: (ج ٤/ص ٣١٥/حديث ١٩٠٦).

وأبو داود في [السنن]: (حديث ٥١٣٧)، وابن ماجه في [السنن]: (حديث ٣٦٥٩)، والبخاري في [الصحيح]: (ج ١/ص ٩) في «كتاب الإيمان: باب أبواب الإيمان ولفظه بضع وستون».

وأحمد بن حنبل في [المسند]: (حديث ٩٠٩٧، وحديث ٩٤٥٥، وحديث ٩٤٥٦) عن أبي هريرة.

الحديث الثالث والعشرون: حديث ابن عباس (رضي الله عنهما):
«مرض أبو طالب، وجاءته قريش، وجاءه النبي (صلى الله عليه وسلم)،
وذكر الحديث، وفيه: أنَّ النبي (صلى الله عليه وسلم) قال: أريد منهم
كلمة واحدة يقولونها تدين لهم بها العرب، وتؤدِّي إليهم بها العجم
الجزية. قالوا: كلمة واحدة. قال: كلمة قولوا لا إله إلا الله.
فقاموا فزعين ينفضون ثيابهم، وهم يقولون ﴿أَجْعَلِ الْآلِهَةَ إِلَهًا وَاحِدًا
إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ عَجَابٌ﴾»^(١)، رواه أحمد، والنسائي، والترمذي وحسنه^(٢).

الحديث الرابع والعشرون: في [الصحيحين] عن سعيد بن المسيب،
عن أبيه لما حضرت أبا طالب الوفاة جاءه رسول الله (صلى الله عليه
وسلم) فوجد عنده أبا جهل؛ وعبد الله ابن أمية، فقال: إي عمّ قل لا إله
إلا الله كلمة أحاج لك بها عند الله.. فقال أبو جهل، وعبد الله بن أبي
أمية: أترغب عن ملة عبد المطلب؟ فقال أبو طالب آخر كلامه: بل على
ملة عبد المطلب، وأبى أن يقول لا إله إلا الله»^(٣).

^(١) سورة ص: آية (٥).

^(٢) صحيح، أخرجه أحمد بن حنبل في [المسند]: (حديث ٩٦٤٨)، والحاكم في
[المستدرک]: (ج ١/ص ٤٣١) وصحّحه ووافقه الذهبي والترمذي في [السنن]:
(حديث ٣٢٣٢)، عن عبد الله بن عباس.

^(٣) صحيح، أخرجه البخاري في [الصحيح]: (ج ٢/ص ١١٩) «كتاب الجنائز: باب
إذا قال المشرك عند الموت لا إله إلا الله»، ومسلم في [الصحيح]: (ج ١/ص ٥٥/
حديث ٢٥) «كتاب الإيمان: باب التلليل على صحّة السلام»، والترمذي في [السنن]:
(ج ٥/ص ٣٤١/حديث ٣١٨٨) «كتاب التفسير: باب تفسير سورة القصص».

وأحمد بن حنبل في [المسند]: (حديث ٢٣١٦٢)، عن المسبب بن حزن المخزومي.

الحديث الخامس والعشرون: حديث أبي بكر الصديق: «قلت: يا رسول الله ما نجاة هذا الأمر؟

فقال رسول الله (صلى الله عليه وسلم): من قبل مني الكلمة التي عرضت على عمي فردّها فهي له نجاة»^(١)، رواه أحمد.

الحديث السادس والعشرون: عن عبادة، قال: قال رسول الله (صلى الله عليه وسلم) من شهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأنّ محمداً عبده ورسوله، وأن عيسى عبد الله ورسوله وكلمته ألقاها إلى مريم، وزوج منه، وأنّ الجنة حقّ والنار حقّ أدخله الله الجنة، على ما كان من العمل»^(٢)، رواه البخاري ومسلم.

الحديث السابع والعشرون: عن أنس أنّ النبي (صلى الله عليه وسلم) قال لمعاذ: ما من أحد يشهد أن لا إله إلا الله وأنّ محمداً رسول الله صدقاً من قلبه إلاّ حرّمه الله على النار..

(١) أخرجه أحمد بن حنبل في [المسند]: (ج ١٠/ص ٢٥٩/حديث ٩٦٤٨، وحديث ٩٥٧٦)، والبيهقي في [شعب الإيمان]: (حديث ٩٢، ٩٣)، وأبو يعلى الموصلي في [المسند]: (حديث ٩، وحديث ١٠).

(٢) صحيح، أخرجه البخاري في [الصحيح]: (ج ١/ص ٥١٩/حديث ٤٢٥) «كتاب الصلاة: باب المساجد في البيوت».

ومسلم في [الصحيح]: (ج ١/ص ٦١/حديث ٣٣) «كتاب الإيمان: بالدليل على أنّ من مات على التوحيد دخل الجنة» عن أنس بن مالك، وأحمد بن حنبل في [المسند]: (ج ١٦/ص ٣٨٦/حديث ٢٢٥٧٤، وحديث ٢٢٦١٠).

قال: يا رسول الله أفلا أخبر به فيستبشروا.

قال: إذا يتكلموا.

فأخبر بها معاذاً عند موته ^(١)، رواه البخاري ومسلم.

الحديث الثامن والعشرون: عن عبادة، قال: قال رسول الله (صلى الله عليه وسلم): «من شهد أن لا إله إلا الله وأنّ محمداً رسول الله حرّم الله عليه النار» ^(٢)، رواه مسلم.

الحديث التاسع والعشرون: عن أبي ذر قال:

قال رسول الله (صلى الله عليه وسلم): «ما من عبد قال لا إله إلا الله ثمّ مات على ذلك إلاّ دخل الجنة» ^(٣)، رواه البخاري ومسلم.

^(١) صحيح، أخرجه البخاري في [الصحيح]: (ج ١/ص ١٩٩) «كتاب العلم: من خصّ بالعلم قوماً دون قوم كراهية أن لا يفهموا»، ومسلم في [الصحيح]: «كتاب الإيمان: باب الدليل على أن من مات على التوحيد دخل الجنة قطعاً» (حديث ٣٠)، والبخاري في [شرح السنة]: (ج ١/ص ٩٤/حديث ٤٩) «باب من مات لا يشرك بالله شيئاً».

^(٢) صحيح، أخرجه مسلم في [الصحيح]: في «كتاب الإيمان: باب الدليل على أن من مات على التوحيد دخل الجنة قطعاً» (حديث ٢٨)، وأحمد بن حنبل في [المسند]: (ج ١٦/حديث ٢٢٥٧٤، وحديث ٢٢٦١٠)، والبخاري في [الصحيح]: (ج ١/ص ٢١٩/حديث ٤٢٥) «كتاب الصلاة: باب المساجد في البيوت».

^(٣) صحيح، أخرجه البخاري في [الصحيح]: (ج ١٠/ص ٢٣٨) «كتاب اللباس: باب الثياب البيض»، ومسلم في [الصحيح]: «كتاب الإيمان» (ج ١/ص ٩٤/حديث)، والبخاري في [شرح السنة]: «باب من مات لا يشرك بالله شيئاً» (ج ١/ص ٩٦/حديث ٥١).

الحديث الثلاثون: في [الصحيحين] عن عتبان أن رسول الله (صلى الله عليه وسلم) قال: «إن الله حرم على النار من قال لا إله إلا الله يبتغي بها وجه الله»^(١).

الحديث الحادي والثلاثون: عن أبي هريرة (رضي الله عنه) أن رسول الله (صلى الله عليه وسلم) أعطاه نعليه، فقال: إذهب بنعليّ هاتين فمن لقيت وراء هذا الحائط يشهد أن لا إله إلا الله فبشّره بالجنة»^(٢)، رواه مسلم.

الحديث الثاني والثلاثون: عن أبي هريرة (رضي الله عنه): «قلت يا رسول الله من أسعد الناس بشفاعتك؟

قال: أسعد الناس بشفاعتي من قال لا إله إلا الله خالصاً من قلبه»^(٣) رواه البخاري.

الحديث الثالث والثلاثون: حديث أم سلمة، وذكر الحديث، وفيه فقال رسول الله (صلى الله عليه وسلم) أشهد أن لا إله إلا الله، وأني

(١) صحيح، أخرجه البخاري في [الصحيح]: (ج ٥/ص ٢٠٦٣/حديث ٥٠٨٦) «كتاب الأطعمة: باب ١٤ الخزيرة» عن عتبان بن مالك، ومسلم في [الصحيح]: (حديث ٣٣)، وأحمد بن حنبل في [المسند]: (حديث ١٦٠٤٧، وحديث ٢٣٢٥٨).

(٢) صحيح، أخرجه مسلم في [الصحيح]: (حديث ٣١).

(٣) صحيح، أخرجه البخاري في [الصحيح]: «كتاب الرقاق: باب صفة الجنة والنار» (ج ٥/حديث ٦٢٠١، وحديث ٢٤٠٢) عن أبي هريرة (ج ١/ص ٤٩ حديث ٩٩)، وأحمد بن حنبل في [المسند]: (حديث ٨٦٤١).

رسول الله لا يلقي الله عبدٌ بها غير شاك فيحجب عن الجنة»^(١)، رواه البخاري.

الحديث الرابع والثلاثون: عن عثمان بن عفان (رضي الله عنه) قال: قال رسول الله (صلى الله عليه وسلم): «من مات وهو يعلم أن لا إله إلا الله دخل الجنة»^(٢)، رواه مسلم.

الحديث الخامس والثلاثون: حديث أنس في الشفاعة، وفيه قال النبي (صلى الله عليه وسلم): «فيخرج من النار من قال لا إله إلا الله وفي قلبه من الخير ما يزن شعيرة، ثم يخرج من النار من قال لا إله إلا الله وفي قلبه من الخير ما يزن برة، ثم يخرج من قال لا إله إلا الله وفي قلبه من الخير ما

^(١) صحيح، أخرجه البخاري في [الصحيح]: (ج ٢/ص ٨٨٩/حديث ٢٣٥٢) «كتاب الشُّركة: باب الشُّركة في الطَّعام»، و(ج ٣/ص ١٠٨٨/حديث ٢٨٢٠) «كتاب الجهاد: باب حمل الزَّاد في الغزو»، ومسلم في [الصحيح]: (حديث ٢٧)، وأحمد بن حنبل في [المسند]: (حديث ٩١٧٠).

^(٢) صحيح، أخرجه مسلم في [الصحيح]: (ج ١/حديث ٢٦)، و[البزار]: (حديث ٤١٥)، وابن حبان في [الصحيح]: (حديث ٢٠١)، و[ابن منده]: (حديث ٣٣)، وأحمد بن حنبل في [المسند]: (ج ١/ص ٥٠٩/حديث ٤٦٤، و ص ٥٢٩/حديث ٤٩٨).

وعبد بن حميد في [المسند]: (حديث ٥٥)، و[ابن أبي شيبة]: (ج ٣/ص ٢٣٨)، والنسائي في [عمل اليوم والليلة]: (حديث ١١٤)، وفي [السنن]: حديث ١١١٣، وحديث ١١١٥).

يزن ذرة»^(١)، رواه البخاري، ومسلم، وفي [الصحيح] قريباً منه من حديث أبي سعيد، ومن حديث الصديق عن أحمد.

الحديث السادس والثلاثون: حديث معاذ، قال النبي (صلى الله عليه وسلم): «من كان آخر كلامه لا إله إلا الله دخل الجنة»^(٢).

الحديث السابع والثلاثون: عن معاذ، عن النبي (صلى الله عليه وسلم): «مقَاتِيعُ الْجَنَّةِ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ»^(٣)، رواه الإمام أحمد، والبرار.

الحديث الثامن والثلاثون: عن أبي هريرة (رضي الله عنه): «قام لنا رسول الله (صلى الله عليه وسلم) فقام بلال فنادى بالآذان، فلمّا سكت قال رسول الله (صلى الله عليه وسلم): «من قال مثل هذا يقيناً دخل الجنة»

^(١) صحيح أخرجه البخاري في [الصحيح]: (حديث ٧٤١٠)، ومسلم في [الصحيح]: (حديث ١٩٣)، والترمذي في [السنن]: (حديث ٢٥٩٣)، وأحمد بن حنبل في [المسند]: (حديث ١١٧٤٣، وحديث ١٢٣٦، وحديث ١٣٥١٦).

^(٢) صحيح، أخرجه مسلم في [الصحيح]: في «كتاب الجنائز: باب تلقين الموتى لا إله إلا الله» (حديث ٩١٦)، وأبو داود في [السنن]: «كتاب الجنائز: باب تلقين الميت» (حديث ٣١١٧).

والنسائي في [الجنائز]: (ج ٤/ص ٥) «باب تلقين الميت»، وابن ماجه في [كتاب الجنائز]: «باب ما جاء في تلقين الميت لا إله إلا الله» (حديث ١٤٤٥)، والحاكم في [المستدرک]: (ج ١/ص ٣٥١).

^(٣) أخرجه أحمد بن حنبل في [المسند]: (ج ١٦/ص ١٩٨/حديث ٢٢٠٠١).

الجنة»^(١)، رواه النسائي، وابن حبان في [صحيحه].

الحديث التاسع والثلاثون: عن رفاعة الجهني، قال: قال رسول الله (صلى الله عليه وسلم): «اشهد عند الله لا يموت عبد يشهد أن لا إله إلا الله، وأني رسول الله صادقاً من قلبه ثم يسدّد إلى سلك الجنة»^(٢)، رواه أحمد.

الحديث الأربعون: عن ابن عمر (رضي الله عنهما) قال: سمعت رسول الله (صلى الله عليه وسلم) يقول: «إني لأعلم كلمة لا يقولها عبد حقاً من قلبه فيموت على ذلك إلا حرمّ الله عليه النار لا إله إلا الله»^(٣)، رواه الحاكم.

الحديث الحادي والأربعون: عن أبي هريرة (رضي الله عنه) سمعت رسول الله (صلى الله عليه وسلم) يقول: «حضر ملك الموت رجلاً يموت

^(١) صحيح، أخرجه ابن حبان في [الصحيح]: (ج ٣/ص ٨٩/حديث ١٦٦٥) في ذكر البيان بأن الله جلّ وعلا إنما يغفر للمؤدّن ويدخله الجنة بأذانه إذا كان على يقين منه»، والنسائي في [السنن]: (ج ٤/ص ٣٤٦).

^(٢) أخرجه أحمد بن حنبل في [المسند]: (ج ١٢/ص ٤٩٥/حديث ١٦١٦٧)، وابن ماجه في [السنن]: في «كتاب الزهد: صفة محمّد (صلى الله عليه وآله وسلم) (ج ٢/ص ١٤٣٢/حديث ٤٢٨٥)، وابن حبان في [الصحيح]: (حديث ٢١٢).

^(٣) أخرجه الحاكم في [المستدرک]: (ج ١/ص ٧٢، و ص ٣٥١) عن عثمان بن عفان، وعبد الله بن عمر بن الخطاب، وأبو بعلي الموصلي في [المسند]: (حديث ٦٤)، وابن حبان في [الصحيح]: (حديث ٢٠٤).

فشقّ أعضائه فلم يجده عمل خيراً، ثمّ شقّ قلبه فلم يجد فيه خيراً، ثمّ فكّ لحييه فوجد طرف لسانه لا صقاً بجنكه، يقول: لا اله إلاّ الله، فغفر له بكلمة الإخلاص»^(١)، رواه الطبراني، والبيهقي، وابن أبي الدنيا.

الحديث الثاني والأربعون: حديث أبي سعيد، عن النبي (صلى الله عليه وسلم): «قال موسى: يا ربّ علّمني شيئاً أذكرك وأدعوك به؟ قال: قل لا اله إلاّ الله.

قال: يا ربّ كلّ عبادك يقولون هذا.

قال: قل لا اله إلاّ الله.

قال: إنما أريد شيئاً تخصّني به.

قال: يا موسى لو أنّ السّموات السّبع والأرضين السّبع في كفّة مبال بهن لا إله إلاّ الله»^(٢)، رواه ابن السني، والحاكم، وابن حبان في [صحيحهما].

الحديث الثالث والأربعون: عن أبي هريرة (رضي الله عنه) قال: قال رسول الله (صلى الله عليه وسلم): «من قال لا اله إلاّ الله نفعته يوماً من

^(١) أخرجه البيهقي في [شعب الإيمان]: (حديث ١٠١٥، وحديث ٩٢٣٥) والطبراني في [الكبير] وابن أبي الدنيا عن أبي هريرة.

^(٢) صحيح، أخرجه ابن حبان في [الصحيح]: (ج ٨/ص ٣٥/حديث ٦١٨٥) في «ذكر كليم الله ربّه يعلمه شيئاً يذكره به»، والحاكم النيسابوري في [المستدرک]: (ج ١/ص ٥٢٨)، وعبد الرزاق في [المصنف]: (ج ٢/حديث ١٣٩٣).

دهره يصيبه قبل ذلك ما أصابه»^(١)، رواه ابن حبان، والطبراني، والبزار، ورواته رواية صحيح.

الحديث الرابع والأربعون: عن عبد الله بن عمر، قال: قال رسول الله (صلى الله عليه وسلم): «ألا أخبركم بوصية نوح إبنه؟ فقال: يا بني إني أوصيك بإثنين: أوصيك بقول لا اله إلا الله فإنها لو وضعت في كفة ووضعتم السموات والأرض في كفة لرجحت بهن، ولو كانت حلقة لفصمتهن حتى تخلص إلى الله»^(٢)، رواه البزار، والنسائي، والحاكم.

الحديث الخامس والأربعون: عن عبد الله بن عمرو، عن النبي (صلى الله عليه وسلم): «خير ما قلت أنا والنبيين من قبلي لا اله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد، وهو على كل شيء قدير»^(٣)، رواه الترمذي.

الحديث السادس والأربعون: عن أبي هريرة (رضي الله عنه) قال: قال رسول الله (صلى الله عليه وسلم): «جدّدوا إيمانكم!

^(١) أخرجه ابن حبان في [الصحيح]: (ج ٢/ص ١٠٦) في «ذكر الكلمات التي إذا قالها المرء المسلم صدقه ربّه جلّ وعلا عليها»، والطبراني في [الكبير]: (ج ١/حديث ١١٢٣، وج ٦/حديث ٥٥٥٥، وج ١٢/حديث ١٣٥٩٥)، والبيهقي في [شعب الإيمان]: (حديث ٩٧).

^(٢) أخرجه الحاكم في [المستدرک]، والبزار في [المسند] عن عبد الله بن عمر.

^(٣) أخرجه الترمذي في [السنن]: (حديث ٣٥٨٥).

قالوا: يا رسول الله وكيف نجدد إيماننا؟

قال: أكثرُوا من قول لا إله إلا الله ^(١)، رواه أحمد، والطبراني.

الحديث السابع والأربعون: عن عبد الله بن عمر، قال: قال رسول الله (صلى الله عليه وسلم): «سيخلص رجل من أمتي على رؤوس الخلائق يوم القيامة فينشر عليه تسعة وتسعون سجلاً كلّ سجّل منها مد البصر، ثم يقول: أتتكر من هذا شيئاً أظلمك كتيبتي الحافظون؟»

فيقول: لا يا رب.

فيقول: ألك عذر؟

فيقول: لا يا رب.

فيقول الله تبارك وتعالى: إِنَّ لَكَ عِنْدَنَا حِسَّةً فَإِنَّهُ لَا ظُلْمَ عَلَيْكَ الْيَوْمَ.

فيخرج له بطاقة فيها أشهد أن لا إله إلا الله، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله.

فيقول: أحضره.

فيقول: يا رب ما هذه البطاقة مع هذه السجلات؟

قال: إِنَّكَ لَا تَظْلَمُ.

(١) أخرجه أحمد بن حنبل في [المسند]: (ج ٨/ص ٣٠٤/حديث ٨٣٨٧، وص ٣٩٥/حديث ٨٦٩٥)، والحاكم في [المستدرک]: (ج ٢/ص ٢٢٤)، والطبراني في [الكبير]: (ج ٩/ص ٤٢٢/حديث ١٤٢٩)، والسيوطي في [الجامع الصغير]: عن أبي هريرة، ورمز بأنه صحيح.

فتوضع السجّلات في كفة، والبطاقة في كفة فطاشت السجّلات، وثقلت البطاقة، فلا يثقل مع إسم الله شيء»^(١)، رواه الترمذي وحسنه، وابن ماجه، والبيهقي، وابن حبان في [صحيحه]، والحاكم، وقال: على شرط مسلم.

الحديث الثامن والأربعون: عن عبد الله بن عمر، عن النبي (صلى الله عليه وسلم): «حديث وفيه لا إله إلا الله ليس بينها وبين الله حجاب حتى تخلص إليه»^(٢)، رواه الترمذي.

الحديث التاسع والأربعون: عن حذيفة عن النبي (صلى الله عليه وسلم) أنّه قال: «يدرس الاسلام كما يدرس وشي الثوب حتى لا يدري ما صيام، ولا صدقة، ولا صلاة، ولا نكح، ويسري على كتاب الله في ليلة فلا يبقى في الأرض منه آية، ويبقى طوائف من الناس الشيخ الكبير والعجوزة الكبيرة، يقولون: أدركنا آباءنا على هذه الكلمة لا إله إلا الله، فنحن نقولها، فقال: صلة بن زفر لحذيفة فما يغني عنهم لا إله إلا الله، وهم لا يدرون ما صيام، ولا صلاة، ولا صدقة، ولا نكح.

فأعرض عنه حذيفة، فردّها عليه ثلاثاً كلّ ذلك يعرض عنه حذيفة، ثم أقبل في الثالثة، فقال: يا صلة تنجيهم من النار؟ يا صلة تنجيهم من

(١) صحيح، أخرجه الترمذي في [صحيح السنن]: تحقيق الألباني (ج ٢/ص ٣٣٢)، وص ٣٣٣/حديث ٢١٢٦، وحديث ٢٧٨٨، وحديث ٢١٢٧، وحديث ٢٧٨٩، وابن ماجه في [صحيح السنن]: تحقيق الألباني (حديث ٤٣٠٠).

(٢) أخرجه الترمذي في [السنن]: (حديث ٣٥١٨).

النار؟ يا صلة تنجيهم من النار؟»^(١)، رواه ابن ماجه، والحاكم في [صحيحه]، وقال: هذا حديث على شرط مسلم.

الحديث الخمسون: عن أنس بن مالك (رضي الله عنه) قال: قال رسول الله (صلى الله عليه وسلم): «ثلاث من أصل الإيمان: الكف عمّن قال: لا إله إلا الله لا تكفره بذنّب، ولا تخرجه من الإسلام بعمل»^(٢)، رواه أبو داود.

الحديث الحادي والخمسون: عن عبد الله بن عمرو أنّ النبي (صلى الله عليه وسلم) قال: «كفّوا عن أهل لا إله إلا الله لا تكفّروهم بذنّب، فمن كفر أهل لا إله إلا الله فهو إلى الكفر أقرب»^(٣)، رواه الطبراني.

الحديث الثاني والخمسون: في [الصحيحين] عن عبد الله بن مسعود (رضي الله تعالى عنه) أنّ النبي (صلى الله عليه وسلم) قال: «سباب المسلم فسوق، وقتاله كفر»^(٤). وفي [الصحيحين] أيضاً من حديث أبي

(١) صحيح، أخرجه ابن ماجه في [صحيح السنن]: (ج ٢/ص ٣٧٨/حديث ٣٢٧٣/ وحديث ٤٠٤٩) عن خديجة، والحاكم النيسابوري في [المستدرک]: (ج ٤/ص ٥٤٥) وقال: هذا حديث على شرط مسلم.

(٢) معناه صحيح: أخرجه أبو داود في [السنن]: في «كتاب الجهاد: باب في الغزو مع أئمة الجور» (حديث ٢٥٣٢).

(٣) أخرجه الطبراني في [الكبير]: (ج ١٢/ص ٢١١/حديث ١٣٠٨٩).

(٤) صحيح، أخرجه البخاري في [الصحيح]: «كتاب الفتن: باب قول النبي (صلى الله عليه وآله وسلم): «من حمل علينا السلاح فليس منّا».

ومسلم في [الصحيح]: «كتاب البر والصلة: باب النهي عن الإشارة بالسلاح إلى المسلم» (حديث ٢٦١٧)، والترمذي في [السنن]: «كتاب الفتن: باب ما جاء في إشارة المسلم إلى أخيه في السلاح» (حديث ٢١٦٣).

ذر عن النبي (صلى الله عليه وسلم): « لا يرمي الرجل رجلاً بالفسوق ولا يرميه بالكفر إلاّ ارتدت عليه إن لم يكن صاحبها كذلك »^(١).

وفي [الصحيحين] عن ثابت بن الضحّاك، عن النبي (صلى الله عليه وسلم): « من قذف مؤمناً بالكفر فهو كقتله »^(٢).

وفي [الصحيح] من حديث أبي هريرة (رضي الله عنه)، ومن حديث عبد الله بن عمر (رضي الله عنهما) أنّ رسول الله (صلى الله عليه وسلم) قال: « أيما رجل قال لأخيه: يا كافر فقد باء به أحدهما »^(٣).

^(١) صحيح، أخرجه البخاري في [الصحيح]: « كتاب الأدب: باب ما ينهى من السباب واللعن » (ج ١٠/ص ٣٨٨)، والبيهقي في [شرح السنة]: (ج ١٣/ص ١٣٢/حديث ٣٥٥٢).

^(٢) صحيح، أخرجه البخاري في [الصحيح]: « كتاب الحدود: باب قذف العبد »، ومسلم في [الصحيح]: « كتاب الإيمان: باب الغليظ على من قذف مملوكه بالزنا » (حديث ١٦٦٠).

وأبو داود في [السنن]: « كتاب الأدب: في حقّ المملوك » (حديث ٥١٦٥)، والترمذي في [السنن]: « كتاب البر والصلة: باب النهي عن ضرب الخدم وشتيمهم » (حديث ١٩٤٠).

^(٣) صحيح، أخرجه البخاري في [الصحيح]: « كتاب الأدب: باب من كفر أخاه بغير تأويل » (ج ١٠/ص ٤٤٨)، ومسلم في [الصحيح]: « كتاب الإيمان: باب بيان حال الإيمان من قال لأخيه المسلم: يا كافر » (حديث ٦٠).

وفي [الموطأ]: « كتاب الكلام: باب ما يكره من الكلام » (ج ٢/ص ٩٨٤)، والبيهقي في [شرح السنة]: « باب وعيد: من سب مسلماً أو رماه بكفر » (ج ١٣/ص ١٣٢/حديث ٣٥٥١).

والله سبحانه وتعالى أعلم، ونسأله من فضله أن يختم لنا بالإسلام والإيمان..

وأن يجنّبنا ممّا يغضب وجهه الكريم..

وأن يهدينا وجميع المسلمين صراط المستقيم..

إنّه رحيم.. كريم..

والحمد لله ربّ العالمين أوّلاً، وآخرأً، وظاهرأً، وباطناً، وصلى الله

على سيّدنا محمّد، وآله، وصحبه، وسلّم أجمعين.

= والحمد لله ربّ العالمين، والصلاة والسلام على خير الأنبياء والمرسلين، وعلى آله الطّيبين الطّاهرين.

وبعد:

هذا آخر ما كتبه من تحقيق وتعليق على كتاب الشيخ سليمان بن عبّاد الوهاب

النّجدي. المسمّى بـ[الصّواعق الإلهية في الردّ على الوهابية].

وأسأل الله تعالى أن ينفع به عباده المؤمنين، ويوحّد كلمتهم على كتابه، وسنة

نبيه محمّد (صلى الله عليه وسلم)، آمين، آمين.

والحمد لله ربّ العالمين.

كتبه: السّراوي

فهرس المصادر

- ١- [الإحسان في تقريب صحيح بن حبان]: تحقيق شعيب الأرناؤوط، الطبعة الأولى (١٤٠٨هـ)، مؤسسة الرسالة - بيروت.
- ٢- [إرواء الغليل في تخريج أحاديث منار السبيل]: محمد ناصر الدين الألباني، الطبعة الثانية (١٤٠٥هـ)، المكتبة الإسلامية.
- ٣- [الإستيعاب في أسماء الأصحاب]: ابن عبد البر، دار الكتاب العربي - بيروت.
- ٤- [الأسماء والصفات]: البيهقي، الطبعة الأولى (١٤٠٥هـ)، دار الكتاب العربي - بيروت.
- ٥- [الإصابة]: ابن حجر، دار الكتاب العربي - بيروت.
- ٦- [الأعلام]: الزركلي، دار العلم للملايين - بيروت.
- ٧- [تاريخ بغداد]: الخطيب البغدادي، دار الكتاب العربي - بيروت.
- ٨- [تاريخ الثقات]: العجلي، تحقيق عبد المعطي قلعجي، الطبعة الأولى (١٤٠٥هـ)، دار الكتب العلمية - بيروت.
- ٩- [التاريخ الكبير]: البخاري، دار الكتب العلمية - بيروت.
- ١٠- [تذكرة الحفاظ]: للذهبي، دار إحياء التراث العربي - بيروت.

- ١١- [تقريب التهذيب]: ابن حجر، تحقيق عبد الغفار بغدادى، الطبعة الثانية (١٣٩٥هـ)، دار المعرفة - بيروت.
- ١٢- [شعب الإيمان]: البهيقى، تحقيق محمد السعيد زغلول، الطبعة الأولى (١٤١٠هـ)، دار الكتب العلمية - بيروت.
- ١٣- [صحيح سنن الترمذى]: الألبانى، نشر مكتب التربية العربى لدول الخليج (١٩٨٨م).
- ١٤- [صحيح البخارى]: (أنظر فتح البارى).
- ١٥- [صحيح سنن ابن ماجة]: الألبانى، نشر مكتب التربية العربى لدول الخليج (١٩٨٨م).
- ١٦- [صحيح ابن خزيمة]: تحقيق محمد مصطفى الأعظمى، الطبعة الثانية (١٤١٤هـ)، المكتب الإسلامى - بيروت.
- ١٧- [صحيح سنن أبو داود]: الألبانى، نشر مكتب التربية العربى لدول الخليج (١٩٨٨م).
- ١٨- [صحيح سنن النسائى]: الألبانى، نشر مكتب التربية العربى لدول الخليج (١٩٨٨م).
- ١٩- [صحيح مسلم]: تحقيق فؤاد عبد الباقي، نشر إدارة البحوث العلمية - الرياض.
- ٢٠- [الضعفاء]: الكبير العقيلى، تحقيق عبد المعطى قلعجى، الطبعة الأولى (١٤٠٤هـ)، دار الكتب العلمية - بيروت.

٢١ - [الضعفاء]: النسائي، تحقيق محمود زايد، الطبعة الأولى (١٣٩٦هـ)، المكتب الإسلامي - بيروت.

٢٢ - [العلل]: ابن أبي عاصم، تحقيق محب الدين الخطيب، طبعة (١٤٠٥هـ)، دار المعرفة - بيروت.

٢٣ - [العلل]: الدارقطني، تحقيق محفوظ السلفي، الطبعة الأولى (١٤٠٥هـ)، دار طيبة - الرياض.

٢٤ - [العلل المتناهية]: ابن الجوزي، تحقيق إرشاد الحق الأثري - الهند.

٢٥ - [فتح الباري]: ابن حجر، نشر جامعة محمد ابن سعود الإسلامية، طبعة دار الرياض - مصر.

٢٦ - [الكامل]: ابن عدي، تحقيق سهيل زكار ويحيى غزاوي، الطبعة الثانية (١٤٠٩هـ)، دار الفكر - بيروت.

٢٧ - [كشف الأستار عن زوائد البزار]: الهيثمي، تحقيق حبيب الرحمن الأعظمي، الطبعة الأولى (١٣٩٩هـ)، مؤسسة الرسالة - بيروت.

٢٨ - [لسان العرب]: ابن منصور، دار الفكر - بيروت.

٢٩ - [لسان الميزان]: ابن حجر، منشورات مؤسسة الأعلمي — بيروت.

٣٠ - [المجروحين]: ابن حبان، تحقيق محمود زايد، دار المعرفة - بيروت.

٣١ - [مجمع الزوائد]: الهيثمي، تحقيق عبد الله محمد الدرويش، الطبعة الأولى (١٤١٢هـ) دار الفكر - بيروت.

٣٢ - [المستدرک]: الحاكم، دار الكتاب العربي - بيروت.

- ٣٣- [مسند أحمل بن حنبل]: تحقيق أحمد محمد شاكر، الطبعة الأولى (١٤١٦هـ)، دار الحديث - القاهرة.
- ٣٤- [مسند الحميدي]: تحقيق حبيب الرحمن الأعظمي، دار الكتب العلمية - بيروت.
- ٣٥- [مسند الشهاب القضاعي]: تحقيق حمدي السلفي، الطبعة الأولى (١٤٠٥هـ)، مؤسسة الرسالة - بيروت.
- ٣٦- [مسند أبي داود]: الطيالسي، دار المعرفة - بيروت.
- ٣٧- [مسند أبي يعلى الموصلي]: تحقيق حسين أسد، الطبعة الأولى (١٤٠٤هـ)، دار المأمون للتراث - دمشق.
- ٣٨- [المصنف]: ابن أبي شيبة، الطبعة الأولى (١٤٠٩هـ)، دار التاج - بيروت.
- ٣٩- [المصنف]: عبد الرزاق، تحقيق حبيب الرحمن الأعظمي، الطبعة الثانية (١٤٠٣هـ)، المكتب الاسلامي - بيروت.
- ٤٠- [معجم الطبراني الصغير]: تحقيق عبد الرحمن عثمان، المكتبة السلفية - المدينة المنورة.
- ٤١- [معجم الطبراني الكبير]: تحقيق حمدي السلفي، مكتبة ابن تيمية - القاهرة.
- ٤٢- [موطأ مالك]: المالكي، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي، مطبعة البابي الحلبي - مصر.

- ٤٣- [المنظم في التاريخ]: ابن القيم الجوزي، تحقيق محمد عبد القادر عطا، الطبعة الأولى (١٤١٢هـ)، دار الكتب العلمية.
- ٤٤- [الكامل]: ابن الأثير الجزري، طبعة مؤسسة الأعلمي (إيران) طهران.
- ٤٥- [شرح السنة]: للبغوي، تحقيق شعيب الأرنؤوط، الطبعة الأولى (١٣٩٠هـ) المكتب الاسلامي - بيروت.
- ٤٦- [البداية والنهاية]: ابن كثير، الطبعة الأولى، دار الشعب مصر - القاهرة.
- ٤٧- [تفسير الطبري]: الطبعة الأولى (١٤٠٤هـ)، بيروت.
- ٤٨- [تفسير ابن كثير]: الطبعة الثانية (١٤٠٦هـ)، بيروت.
- ٤٩- [الدر المنثور]: السيوطي، الطبعة الأولى (١٤٠٨هـ)، دار الفكر - بيروت.
- ٥٠- [ترجمة الامام علي بن أبي طالب من تاريخ دمشق]: تحقيق المحمودي، بيروت - لبنان.

فهرس المواضيع

٧	مقدمة المحقق.....
٣١	مقدمة المؤلف.....
	فصل « الأول: شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمد رسول الله (صلى
٤١	الله عليه وآله وسلم) ».....
٤٧	- النذر.....
٤٩	- الذبح.....
٥٢	- التبرك والتمسح.....
٥٣	فصل - « الثاني: الجاهل والمخطئ يعذر ».....
٥٦	فصل - « الثالث: قد يجتمع في المسلم الكفر والنفاق ».....
٥٧	فصل - « الرابع: خروج الخوارج ».....
٦١	فصل - « الخامس: في قتال أهل الردّة ».....
٦٧	فصل - « السادس: فرقة القدريّة ».....
٦٩	فصل - « السابع: فرقة المعتزلة ».....
٧١	فصل - « الثامن: فرقة المرجئة ».....
٧٢	فصل - « التاسع: فرقة الجهمية ».....

فصل - « العاشر: عدم تكفير السلف للجهمية »	٧٥
فصل - « الحادي عشر: يمكن أن يجتمع في الشخص إيمان ونفاق »	١٠٠
فصل - « الثاني عشر: حول المنافقين »	١٠٣
فصل - « الثالث عشر: لا يجوز أن يُقلد إلا من جمع شروط الإجتهد »	١٠٩
فصل - « الرابع عشر: الدعاء والنذر ليس بكفر »	١١٦
فصل - « الخامس عشر: أن لا تهلك الأمة الإسلامية بسنة عامة »	١٢٥
فصل - « السادس عشر: بطلان مذهبهم في تكفير من كفروه »	١٢٨
فصل - « السابع عشر: لا يجري الكفر على من ذبح للقبور جاهلاً »	١٣٣
فصل - « الثامن عشر: قول النبي (صلى الله عليه وآله وسلم): لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق »	١٣٥
فصل - « التاسع عشر: قول النبي (صلى الله عليه وآله وسلم): رأس الكفر نحو المشرق »	١٣٧
فصل - « العشرون: قول النبي (صلى الله عليه وآله وسلم): لا أخشى عليكم أن تشركوا بعدي »	١٤٢

فصل - « الحادي والعشرون: قول النبي(صلى الله عليه وآله وسلم):	
إن الشيطان قد يأس أن يعبد في جزيرة العرب ».....	١٤٥
فصل - « الثاني والعشرون: قول النبي(صلى الله عليه وآله وسلم):	
إن الشيطان قد أيس أن يعبد في أرضكم ».....	١٤٩
فصل - « الثالث والعشرون: قول النبي(صلى الله عليه وآله وسلم):	
المدينة المنورة خير لهم لو كانوا يعلمون ».....	١٥٢
فصل - « الرابع والعشرون: قول النبي(صلى الله عليه وآله وسلم): لا	
يذهب الليل والنهار حتى تعبد اللات والعزى ».....	١٥٧
فصل - « الخامس والعشرون: صفة مذهب أهل الشرك ».....	١٦٤
فصل - « السادس والعشرون: في الأحاديث التي تبين صفة	
المسلم ».....	١٧٢
فهرس المصادر.....	١٩٨
فهرس المواضيع.....	٢٠٣

دار ذي الفقار

بيروت - لبنان